كتاب
بذل النصح والشفقة
للتعريف بصحبة السيد ورقة

تأليف

الإمام العلامة برهان الدين البقاعي الشافعي

وفيه

ديوان ورقة بن نوفل

تحقيق وشرح

د. محمد نبيل طريفي

دار الفكر العربي

كتاب

بذل النصح والشفقة

للتعريف بصحبة السيد ورقة

كتاب
بذل النصح والشفقة
للتعريف بصحبة السيد ورقة

تأليف

الإمام العلاَّمة برهان الدين البقاعي الشافعي

وفيه

ديوان ورقة بن نوفل

تحقيق وشرح

د. محمد نبيل طريفي

دار الفكر العربي

بيروت ـ لبنان

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الطبعة الأولى ٢٠٠٣

ISBN 9953-25-046-4

9 789953 250465

دار الفكر العربي

مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر والتوزيع

كورنيش سليم سلام ـ بناية الشروق ـ الطابق الأول

هاتف: ٠١/٣١١١١٤ ـ ٠١/٣١١١١٥ ـ فاكس: ٠١/٣١٣٧٣٦

ص.ب: ١٤/٥٠٧٠ ـ بيروت ـ لبنان

Email: fikrarab@cyberia.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

« ربِّ أَوْزعني أنْ أشكرَ نعمتكَ التي أنْعَمْتَ عليّ ، وعلى والـديّ ، وأنْ أعمـلَ صالحاً ترضاه ، وأدخلني برحمتك في عبادكَ الصالحين » .

أما بعد :

منذ عدة أشهر كلفني رئيس قسم اللغة العربية بمراجعة رسالة لدبلوم الدراسات العليا بعنوان « **شعر ورقة بن نوفل** » جمع وتحقيق وشرح ودراسة .

وهي رسالة تنقسم إلى قسمين : الأول دراسة موسعة عن العصر الجاهلي « دينياً، اجتماعياً ، اقتصادياً » ، والثاني يتضمن جمع شعر ورقة بن نوفل .

خلال مراجعتي للرسالة ، وحديثي مع صاحب الرسالة ، ذكر لي مخطوطاً عنده عن ورقة بن نوفل بعنوان « **بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيد ورقة** » وهو موجود في مكتبة الأسد الوطنية .

وسألته هل أستاذك المشرف اطلع على المخطوط ؟ وما هو السبب في عدم تحقيق هذا المخطوط كرسالة دبلوم الدراسات العليا ؟ أجاب بالنفي .

وكان ظنّي أن المخطوط لا يتمتع بالقيمة العلمية والدينية ، لذلك استبعده الطالب .

وبعد مدة ليست بالقصيرة ، وخلال زيارة لي لدمشق ، طلبت من أحد أصدقائي الباحثين تصوير هذا المخطوط ، ومشكوراً أرسل لي صورة من المخطوط .

اطلعت عليه ، وكان مكتوباً بخط رديء ـ ربما كان هو السبب في استبعاده عن التحقيق ـ تحاملت على نفسي ، وقرأت المخطوط ، اكتشفت من خلال قراءتي المتأنية أنه يتضمن أخباراً دينية وتاريخية ، وأفكاراً تعتمد منهجاً علمياً منطقياً في إثبات صحبة السيد ورقة .

قلت في نفسي : ما هي فائدة عمل مجموع ، إذا كان هناك مخطوط ، يفوق بمعلوماته وأخباره العمل المجموع الذي حصّل به صاحبه على درجة دبلوم الدراسات العليا .

وخلال زيارة لي إلى بيروت ذكرت ذلك لأحد الأصدقاء الباحثين ، فأبدى دهشته من صحبة السيد ورقة ، وقال لي : لا علم لي بما تقول ، فأنا لم أطلع على شيء من هذا القبيل ، وأصرّ على تحقيق هذا المخطوط ، وتهاتف مع أحد أصحاب دور النشر التي رحبت بالفكرة مع دهشتها .

قمت بالتحقيق ، واكتشفت أن رسالة الدبلوم الآنفة الذكر بعد وجود هذا المخطوط كان خطأً علمياً قاتلاً ، لا أعلم على من يقع الخطأ فيه ؟

بدأت عملي الذي كابدت فيه ـ بسبب رداءة خط ناسخ المخطوط ـ مشقة لا يعرفها إلا مَنْ دفع إلى مضايقها ، ولكنني ـ والحق يقال ـ وجدت نفسي في نهاية المطاف سعيداً بما أنجزه الله تعالى على يديّ .

وها أنا أقدم هذا العمل بين يدي القراء ، هذا العمل الذي يثبت بعلمية واضحة ، لا غبار عليها ، أن ورقة بن نوفل ﷺ كان أول من آمن بالرسول الكريم صلوات الله عليه .

وهو يعيد لهذا الصحابي الجليل مكانته الدينية التي هضمته إيَّاها بعض الأقلام .

حسبي أنني بذلت فيه غاية جهدي ، و لم أدّخر وسعاً في عملي هذا الـذي أرجـو من اللّه الثواب عليه .

وآخـر دعوانا أنِ الحمد للّـه

اللاذقية في 5 صفر الخير عام 1422 هـ

الموافق 28 نيسان عام 2001 م

د. محمد نبيل طريفي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اختلف المؤرخون والأدباء والعلماء العرب والمسلمون قديماً وحديثاً في تحديد معنى لفظة «الجاهلية» . وفي اشتقاق هذا اللفظ ، وفي تحديد المدة الزمنية التي تعنيها لفظة «الجاهلية» . هذا الاختلاف يدعونا إلى استعراض بعض هذه الآراء لتحديد معنى وزمان الجاهلية .

لعل الجاحظ كان أول ـ على حدّ علمنا ـ من ذكر هذا التحديد الزمني في كتابه الحيوان ، في مقالة له بعنوان « تاريخ الشعر قبل الإسلام » . يقول الجاحظ[1] : « وأما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله ، وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ، ومهلهل بن ربيعة ... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له ، إلى أن جاء الإسلام ، خمسين ومائة عام . وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام » .

من قولة الجاحظ هذه تتوضح لنا المدة الزمنية لهذا العصر الذي سبق الدعوة الإسلامية ، وعليه يطرح السؤال التالي نفسه علينا : ما معنى الجاهلية ؟ وهل الجاهلية حقاً تعني الجهل نقيض العلم ؟ أم أن الجاهلية تحديد للفترة الزمنية قبل الإسلام اصطلح عليها ، أم أنها تعبيرٌ قصد به بعض الأخلاق والعادات السيئة في تلك الفترة الزمنية ، والتي كانت تدل على نزقٍ وطيش وجهل .

---

(1) الحيوان للجاحظ 54/1 .

ولنأخذ شاهداً لتوضيح معنى الجاهلية ، القرآن الكريم ، فهو من أقدم الكتب التي استخدمت هذه اللفظة . فلفظة «الجاهلية» وردت في القرآن الكريم في أربعة مواضع ، في قوله تعالى :

1 ـ ﴿ يَظنّونَ باللّهِ غيرَ الحقِّ ظَنَّ الجاهليةِ ﴾[1] .

2 ـ ﴿ أَفَحُكْمَ الجاهليةِ يَبغونَ ﴾[2] .

3 ـ ﴿ ولا تَبرجْنَ تَبرجَ الجاهليةِ الأُولى ﴾[3] .

4 ـ ﴿ إذْ جعلَ الذين كَفَروا في قلوبِهِمِ الحميةَ حميَّة الجاهليةِ ﴾[4] .

ففي تفسير الآية الأولى ، يقول الطبري : ظن الجاهلية ، من أهل الشرك ، شكًّا في أمر الله ، وتكذيباً لنبيه ﷺ ، ومحسبة منهم أن الله خاذل نبيه ، ومعمل عليه أهل الكفر .

ويقول في تفسير الآية الثانية : أفحكم الجاهلية يبغون ، يعني أحكام عبدة الأصنام والأوثان من أهل الشرك ، وبين أيديهم كتاب الله ، فيه بيان حقيقة الحكم الذي حكمت به فيهم ، وأنه الحق الذي لا يجوز خلافه .

أما في الآية الثالثة : تبرج الجاهلية الأولى ، يتعرض الطبري لبيان المقصود من قوله تعالى هذا ، الجاهلية الأولى ، فيذكر أن فيها أقوالاً مختلفة كثيرة ، منها : أنها الزمن بين آدم ونوح ، ومنها أنها ما بين موسى وعيسى ، ومنها أنها ما بين عيسى ومحمد ﷺ .

وفي الآية الرابعة والأخيرة : حميّة الجاهلية ، حين جعل سهيل بن عمرو في قلبه

---

(1) سورة آل عمران : 154/3 .

(2) سورة المائدة : 50/5 .

(3) سورة الأحزاب : 33/33 .

(4) سورة الفتح : 26/48 .

الحمية ، فامتنع أن يكتب في كتاب المقاضاة الذي كتب بين رسول ﷺ والمشركين « بسم اللّه الرحمن الرحيم » و « محمد رسول الله » ، كما امتنع هو وقومه من دخول رسول الله مكة عامة ، فقال القرآن : « حمية الجاهلية » لأن فعلهم هذا من أخلاق الكفر ، فليس فيه شيء مما أذن به الله ، ولا أحد من أنبيائه ورسله .

ولفظ الجاهلية قد يكون اسماً للحال ، وهو الغالب في الكتاب والسنة والأقوال المأثورة . أما في الكتاب الكريم فقد بيّنا الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ .

ومن السنة قول النبي ﷺ لأبي ذرٍّ حين عيّر رجلاً بأمه : « إنك امرؤ فيك جاهلية » .

ومن الأقوال المأثورة ، قول عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : « إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة » . وقول عائشة ، رضي اللّه عنها : « كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء » . وقولهم : « يا رسول اللّه كنّا في جاهلية وشرّ » .

فالمقصود في هذا كله ؛ حالٌ جاهلية ، أو طريقة جاهلية ، أو عادة جاهلية ، ونحو ذلك . وإن كانت في الأصل صفة ، فقد غلب عليها الاستعمال حتى صارت اسماً ، ومعناه قريبٌ من المصدر[1] .

وعلى ذلك : فالناس قبل مبعث النبي ﷺ ، كانوا في حال جاهلية ، جهلاً منسوباً إلى الجاهل ، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال ، إنما أحدثه لهم جاهل ، وإنما يفعله جاهل[2] .

ويستدل الألوسي ـ صاحب بلوغ الأرب ـ على ذلك بما رواه البخاري في صحيحه، عن ابن عباس ، رضي اللّه عنهما أنه قال : إذا سرّك أن تعلم جهل العرب ، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام : « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير

---

(1) بلوغ الأرب 16/1 ، وتاريخ الأدب لعلي الجندي 12/1 .

(2) بلوغ الأرب 16/1 .

علمٍ ، وحرّموا ما رزقهم اللّه افتراء على اللّه ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين »[1] .

وعلى هذا لم يكن العرب جاهليين جهلاً ينافي العلم ، فقد ثبت أنهم كانوا أهل ذكاء ودراية وخبرة ، وكانت لهم نظرات ثاقبة صادقة في الطبيعة وأحوال الإنسان بما لا يقلّ عن بعض نظرات الفلاسفة والباحثين والمفكرين .

وإذا كان للأمم الغابرة من أصحاب الحضارات القديمة كتبهم المدونة في الدين والأخلاق والأدب والفلسفة وغيرها من زُبَدِ الفكر يقرؤونها ويتأدبون بها ويتثقفون ، ولم يكن للجاهليين شيء من أمثال هذه الكتب ، ولكن كان لديهم هذا الشعر ، وكانوا يروونه ويتأدبون به ، وهكذا الجاهليون في قصائد شعرائهم يجدون المتعة الفنية ومادة الثقافة بما تضمنت من ذكر المآثر والمفاخر والمشاعر الإنسانية في مواقف الإنسان الجاهلي المختلفة في الحياة .

أضف لذلك أسلوب القرآن الراقي ، الذي فهمه الجاهليون وتمثلوا أفكاره ومعانيه ، وأدركوا مقاصده ، وأكثروا من الجدل والمناقشة حوله[2] .

إضافة لذلك آثارهم العظيمة التي يتحدث عنها التاريخ من مدن عظيمة ، ومبانٍ شاهقة ، وأعمال هندسية فنية ، ونظم في المعيشة والسياسة والتجارة والحروب ، تدل على تفكير عقلي سليم ، وإدراك قوي صحيح .

هذا كله ينفي عن العرب قبل الإسلام الجهل الذي ينافي العلم[3] ، اللهم إذا خصصنا هذا الجهل بناحية معينة ، وهي الناحية الدينية ، ففي تلك الحالة يكون وصف العرب قبل الإسلام بالجهل الديني وصفاً معقولاً ، ومطابقاً للواقع .

فالعرب قبل الإسلام كان فيهم المشركون والمجوس واليهود والنصارى وغيرهم ،

---

(1) بلوغ الأرب 17/1 .

(2) تاريخ الأدب العرب لعلي الجندي 15/1 .

(3) تاريخ الأدب العرب لعلي الجندي 15/1 .

لكنهم كانوا على العموم قبل البعثة المحمدية في ضلال ديني ، وظلام دامس في العقيدة الدينية . فلما جاء الإسلام كشف لهم الحقيقة ، وهداهم إلى الصراط المستقيم ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، فأزاح عنهم جهل العقيدة ، وأسبغ عليهم نور العلم بحقيقة اللّه ، والدين القويم الصحيح .

الأديان في العصر الجاهلي

عرف العرب قبل الإسلام أديان ومعتقدات مختلفة ، تبعاً لمقدرتهم على التفكير الديني ، أو تأثرهم بالأديان السابقة ، أو اختلاطهم بأهل الأديان التي لها أصل سماوي ، فكان فيهم الحنيفيون ، والوثنيون ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والزنادقة ، والصائبة .

وإذا كانت ديانة إبراهيم عليه السلام - الحنيفية ـــ قد انتشرت بين العرب ، وظلت الكعبة التي أرسى قواعدها هو وابنه إسماعيل ، تذكرهم باللّه الكبير ، فإن ديانتين كتابيتين أخريين كانتا تتسربان إلى الجزيرة العربية ، وتدعوان أيضاً إلى إله كبير ، وهما اليهودية والنصرانية[1] .

فأما اليهودية ، فقد انتشرت في الحجاز ، وصار اليهود قبائل وعشائر وبطوناً ، ولعل أهم قبائلهم : بنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو ثعلبة ، وبنو زريق ، وبنو حارثة[2] .

وقد ذكرت روايات أهل الأخبار إلى دخول قسم من العرب في اليهودية ، فقد تهوّد قوم من الأوس والخزرج لمجاورتهم يهود خيبر ، وقريظة والنضير ، كما تهوّد قوم من بني الحارث بن كعب ، وقوم من غسان وجذام[3] .

ويلاحظ في هذا المجال أنه لم يرد شيء عن تهود أفراد من القبائل التي تسكن مكة وما حولها .

ويبدو أن تأثير اليهودية في شمال الجزيرة العربية ، ظل في حدود ضيقة ، فعلى

---

(1) الوثنية في الأدب الجاهلي ، عبد الغني زيتوني ص177 .

(2) السيرة النبوية ، دار الكنوز الأدبية 514/1 ، والوثنية في الأدب الجاهلي ص177 .

(3) تاريخ اليعقوبي 298/1 ، والوثنية في الأدب الجاهلي ص178 .

الرغم من أن اليهود كانوا يعتقدون في إله واحدٍ ، هو «يهوه» إلا أنهم كانوا يعدّونه إلهاً قومياً خاصاً بإسرائيل وقبائلها[1] .

أما **النصرانية** ، فقد كانت أكثر انتشاراً من اليهودية ، لطابعها التبشيري ، فقد نُصَّ على أن قبائل عربية عدّة قد عرفت النصرانية ، ودان بها أفرادها ، أو قسم منهم . وأشهر هذه القبائل : بنو تغلب ، وبنو امرئ القيس ، وطيّئ ، ومَذْحج ، وبَهراء ، وسليح ، وتنوخ ، وغسان ، ولخم[2] .

ويلاحظ أن النصرانية قد وصلت إلى مكة ، ووجد من قريش مَنْ نُسبَ إليه التنصر ، وأبرز هؤلاء : عثمان بن الحويرث ، وورقة بن نوفل[3] . وفضلاً عن ذلك فقد كان بين سكان مكة عند ظهور الإسلام ، جماعة من النصارى ، كانوا من الغرباء والنازحين والعبيد الرقيق[4] .

وقد كان إله النصارى إله جميع البشر ، فلم يكن مختصاً بشعب معين ، كما زعم اليهود أنهم شعب اللّه المختار ، فقد قام رجال الدين النصراني منذ نشأة النصرانية بالتبشير بها ونشرها بين الشعوب ، وبذلك تميزت من اليهودية التي جمدت واقتصرت غالباً ، على بني إسرائيل[5] .

ومن هنا نجد أن اليهودية والنصرانية ، في الجزيرة العربية ، قبل الإسلام ، كانتا في أكثر الأحيان بعيدتين عن عقيدة التوحيد التي أتى بها إبراهيم ، عليه السلام ، لما أصاب هاتين الديانتين ، من التحريف والبعد عن حقيقة كل منهما . وقد ألمح

---

(1) اليهود في تاريخ الحضارة الأولى ، غوستاف لوبون ص69 ، والوثنية في الأدب الجاهلي ص178 .

(2) تاريخ اليعقوبي 298/1 ، والوثنية في الأدب الجاهلي ص179 .

(3) تاريخ اليعقوبي 298/1 ، والوثنية في الأدب الجاهلي ص179 .

(4) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 604/6 .

(5) المفصل في تاريخ العرب 582/6 .

القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ وقالت اليهود عُزَيْرٌ ابن اللّه ، وقالت النصارى المسيح ابنُ اللّه ﴾[1] .

إذاً فإن عقيدة التوحيد التي وجدت عند بعض الجاهليين والتي جعلت اللّه واحداً لا شريك له ولا ولد ، لم تأت عن اليهودية ، ولا عن النصرانية ، لعدم بقاء الوحدانية في هاتين الديانتين ، ولا دعاءِ أتباع كلٍّ منهما بوجود ابنٍ للّه ، ومن ثَمَّ الإشراك بألوهيته ، ونقض وحدانيته[2] .

ولعلّ الأقرب إلى الاحتمال هو أن تأثير الديانتين في العرب الوثنيين كان في إيجاد فكرة أنّ للّه أولاداً ؛ فقد رأينا أن فريقاً من العرب الجاهليين قد زعم أن للّه بنات هنّ الملائكة ، وهذا يشبه زعم اليهود أن عزيرٌ والنصارى في السيد المسيح[3] .

وإذا كان اللّه عند العرب الجاهليين يختلف عن اللّه عند اليهودِ والمسيحين ، فكيف كان اللّه في نظرهم ؟

صحيح أن الجاهليين العرب قد اعتقدوا اعتقاداً كبيراً في الأوثان ، وفي مقدرتها الذاتية ، غير أن أغلبهم كان يعتقد في وجود مقدرة أعظم منها ، هي مقدرة اللّه . فاللّه هو الأكبر ، وهو أعظم من اللات والعزّى .

وعلى الرغم من أن الوثنيين كانوا يرون أن اللّه رب آلهتهم ، ومن ثم فهو أعظم منها سلطة ومقدرة ، غير أنهم كانوا يعتقدون أن أصنامهم التي في متناول أيديهم ، أقرب منالاً لتنفيذ رغائبهم ، فهي آلهة تعيش في الأرض بينهم ، أما اللّه فهو في سمائه البعيدة .

بيد أن هذا لا يعني أنهم كانوا يشكون في أن قدرة اللّه لا تستطيع أن تنال مَنْ في الأرض . بل أغلب الظن أنهم كانوا يشعرون بأنهم بحاجة إلى وسطاء بينهم وبين

---

(1) سورة التوبة : 30/9 .

(2) الوثنية في الأدب الجاهلي ص180 .

(3) الوثنية في الأدب الجاهلي ص181 .

اللّـه ، ومن أقرب إلى اللّـه من بناته الملائكة ، ونسبائه أشراف الجن[1] ؟ .

ولذلك كانت أصنامهم في مكانـة قريبـة مـن اللّـه ، بـل إن عبـاداتهم الـتي مـن المفترض أن تكون خالصة للّـه ، قد اختلطت بما يُقـدّم لألهـة الأصنـام ، حتـى كـاد تقديسهم لهذه الآلهة ينسيهم اللّـه ربّها .

ومن هنا نجد أن اللّـه لم يبـق متفـرداً بالعبوديـة ، ومتوحـداً بالألوهيـة ، لـدى العرب الوثنيين ، إذ أنهم ، كما تروي أخبارهم ، منذ عهد عمرو بن لحـيّ ، قـد غيّروا دين إبراهيم عليه السلام ، الداعـي إلى التوحيـد بـأن اتخـذوا الأصنـام ، وأحلّوهـا مكانة تقترب من مكانة اللّـه ، حتى إنهم جعلوها شركاء وأنداداً له في التقديس والعبادة[2] .

لكن مـن المعتقـد ، عنـد أهـل الأخبـار والبـاحثين ، أن صفـة واحـدة يمكننـا أن نطلقها على العرب الوثنيين ، وهي الشرك ، والشرك في هذا المعنى ، هو أن يُجعـل للّـه شريكاً في ربوبيته ، مع عبادته[3] ، ومن الشرك أن يُعدل باللّـه غـيره ، فيُجعـل شريكاً له[4] .

واستناداً لهذا التعريف ، فإن الشرك هو إقرار بوجود اللّـه مع الاعتقاد في وجـود إله ، أو آلهة عدّة ، تعبد معه ، وهذا نقيـض التوحيـد الـذي يدعـو إلى الإيمـان بإلـه واحدٍ أحدٍ ، منفردٍ بذاته لا شريك له ، ولا نظير .

فمنذ أن أتى عمرو بن لحيّ بالأصنام إلى مكـة ، كـان هدفـه أن تُعبـد تقرّبـاً إلى اللّـه ، فكانت العـرب إذا حجّـت البيـت ، فـرأت تلـك الأصنـام ، سـألت قريشـاً وخزاعة عنها ، فيقولون نعبدها لتقربنا إلى اللّـه زلفى ، فلما رأت العرب ذلك

---

(1) الوثنية في الأدب الجاهلي ص193 .

(2) الوثنية في الأدب الجاهلي ص194 .

(3) تاج العروس «شرك» .

(4) لسان العرب «شرك» .

اتخذت أصناماً ، فجعلت كل قبيلة صنماً يصلون له تقرباً إلى اللّه[1] .

وتقادم بهم الزمن فرسخت في أذهان الجاهليين فكرة تعدد الآلهة ، ولم يعد الوثنيون يتصورون وجود إلهٍ واحدٍ ، حتى أن أهل مكة بعد حادثة الفيل ، لم يوحدوا اللّه الذي استغاثوا به ، ليدافع عن بلدهم ، بل مضوا على ما هم عليه من الوثنية .

وعبد المطلب نفسه الذي استجار باللّه ربّ الكعبة وحاميها ، كان قد استقسم بالأقداح ، عند هُبَل ، على أولاده ، أيهم يضحي به للّه ، ثم استقسم عنده مرة أخرى لتفديه ابنه عبد اللّه ، أبي الرسول ﷺ [2] .

وحينما دعا الرسول الكريم صلوات اللّه عليه قومه إلى الإسلام وعبادة اللّه ، لم يبعد عنه قومه وينفروا منه إلا عندما ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وعادوه[3] .

وإذا كان العرب الوثنيون قد أشركوا أصنامهم باللّه ، وأصبح تعدد الآلهة لديهم اعتقاداً متيناً ، فهل نُسِي دين إبراهيم الخليل ، عليه السلام تماماً ؟ وهل تلاشت عقيدة التوحيد في العصر الجاهلي ، فلم يبق إلا الوثنية والشرك ؟

لقد وجدنا أن اللّه كان معروفاً عند العرب القدماء ، وأغلب الذين درسوا تاريخ العرب القديم ، أكدوا أن العرب كغيرهم من الشعوب السامية ، موحدون بطبعهم ، ثم حادوا بعد ذلك عن التوحيد ، فعبدوا الأوثان وأشركوا باللّه[4] .

أو أنهم كانوا على دين إبراهيم الخليل الداعي إلى الإيمان بإله واحد ، متفرد بالعبودية ، فاعتقدوا فيه وحجّوا بيته الحرام ، ثم خلفت الخلوف بعدهم ، فنسوا ما

---

(1) تاريخ اليعقوبي 295/1 ، والوثنية في الأدب الجاهلي ص202 .

(2) السيرة النبوية 152/1 ، وما بعدها ، وأخبار مكة 69/1 .

(3) السيرة النبوية 264/1 .

(4) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 36/6 .

كانوا عليه ، وانحرفوا عن التوحيد إلى الشرك وعبادة الأصنام[1] .

إذاً فالجزيرة العربية قد عرفت التوحيد في العصر الجاهلي ، ويعدّ قُسّ بن ساعدة الإيادي أول من أظهر التوحيد بمكة وما حولها مع ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو ابن نفيل[2] .

وقد دعي هؤلاء النفر بالحنفاء ، ومفردهم الحنيف ، وهو في اللغة : المائل من خير إلى شر ، أو من شر إلى خير . وحنف عن الشيء وتحنّف : مال ، والحنيفية : الميل[3] .

وإذا كانت أقوال العلماء في المعنى الاصطلاحي قد تعددت ، غير أن معظمهم أجمع على أن الحنيف هو من بقي على دين إبراهيم عليه السلام .

---

(1) الوثنية في الأدب الجاهلي ص206 .

(2) الأوائل للعسكري 84/1 .

(3) لسان العرب «حنف» .

البقاعي[1]

صاحب الكتاب

(809 - 885 هـ = 1406 - 1480 م)

نسبه :

هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، أبو الحسن برهان الدين : مؤرخ أديب ، أصله من البقاع في سورية ، سكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة ، عاد إلى دمشق وتوفي فيها .

أحد شيوخ المذهب الشافعي وأعلامه المعروفين ، له العديد من المؤلفات الأدبية والدينية والتاريخية .

منها « عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران » ـ مخطوط ـ في أربع مجلدات. و « عنوان العنوان » ـ مخطوط ـ ، وهو مختصر « عنوان الزمان » . و « أسواق الأشواق » ـ مخطوط ـ اختصر فيه « مصارع العشاق » .

و « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » طبع في سبع مجلدات ، ويعرف بتفسير البقاعي . و« بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة ورقه » ـ مخطوط ـ و « جواهر البحار في نظم سيرة المختار » ـ مخطوط ـ .

---

(1) الأعلام 56/1 .

ورقة بن نوفل

نسبه :

هو ورقةُ بنُ نوفلِ بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ القرشيّ الأسديّ بن كلاب ابن مُرَّة بن كعب بن لؤيّ[1] . وأمه هند بنت أبي كبير[2] بن عبد بن قُصيّ[3] . يجتمع مع النبي ﷺ في جدّ جدّه[4] .

وورقة هو ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد بن أسد ، زوج النبي ﷺ .

فيكون قصيّ القرشيّ الأسديّ الجدّ الثالث لورقة وابنة عمه السيدة خديجة ، والجدّ الرابع للرسول الكريم صلوات اللّه عليه محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ .

والثلاثة ـ ورقة والسيدة خديجة والرسول الكريم ـ يلتقون في قصي نسباً ومقاماً.

---

(1) انظر ترجمته في : السيرة النبوية لابن هشام 222/1 ، ونسب قريش للمصعب ص207 ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص120 ، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير للذهبي ص159 ، والطبقات الكبرى لابن سعد 14/8 ، والإصابة في تمييز الصحابة 317/6 ، ومروج الذهب للمسعودي 87/1 ، وأسد الغابة لابن الأثير 416/5 ، وعيون الأثر لابن سيّد الناس ص51 ، وخزانة الأدب للبغدادي 361/3 ، وبلوغ الأرب للنويري 269/2 ، والأعلام للزركلي 114/8 .

(2) في الأغاني 119/3 : « بنت أبي كثير » .

(3) الأغاني 119/3 .

(4) الاختيارين ص258 ، وخزانة الأدب 362/3 ، وبلوغ الأرب 269/2 .

وقصي بن كلاب تزوج حُبَّى بنت حُليل بن حُبْشيَّة بن سلول بن كعب بن عمرو من خزاعة[1] . « فولدت له عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزّى ، وعبدا. فلما انتشر ولدُ قُصيّ ، وكثر ماله ، وعظم شرفه ، هلك حليل .

فرأى قصي أنه أولى بالكعبة ، وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر ، وأن قريشاً قرعة إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده ، فكلّم رجالاً من قريش ، وبني كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة ، فأجابوه »[2] .

« فكانت إليه الحجابة ، والسقاية ، والرفادة ، والندوة ، واللواء ، فحاز شرف مكة كلّه »[3] .

ولد ورقة في مكة ، لكننا لا نملك التاريخ الصريح لولادته ووفاته ، كل الذي نملكه مجموعة من الأخبار المتناقضة ، أهمها : ومات ورقة في فترة الوحي ، ﷺ ، قبل نزول الفرائض والأحكام »[4] .

وفي الأعلام يقول الزركلي في وفاته[5] : « وفي وفاته روايتان : إحداهما الراجحة،

---

(1) نسب قريش ص14 ، والسيرة النبوية 117/1 .

(2) السيرة النبوية 117/1 - 118 .

(3) السيرة النبوية 124/1 - 125 .

الحجابة : أن تكون مفاتيح البيت عنده فلا يدخله أحد إلا بإذنه . والسقاية : يعني سقاية زمزم ، وكانوا يصنعون بها شراباً في الموسم للحاج الذي يوافي مكة ويمزجونه تارة بعسل، وتارة بلبن ، وتارة بنبيذ ، يتطوعون بذلك من عند أنفسهم . والرفادة : طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم . والندوة : الاجتماع للمشورة والرأي وكانت الدار التي اتخذها قصي لذلك يقال لها دار الندوة . واللواء : يعني في الحرب ، لأنه لا يحمله عندهم إلا قوم مخصوصون .

(4) خزانة الأدب 363/3 .

(5) الأعلام 115/8 ، وخزانة الأدب 363/3 .

وهي في حديث البخاري المتقدم ، قال : « ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، يعني بعد بدء الوحي بقليل ؛ والثانية عن عروة بن الزبير ، قال في خبر تعذيب بلال: كانوا يعذبونه برمضاء مكة ، يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يشرك ، فيقول : أحد ، أحد، فيمرّ به ورقة ، وهو على تلك الحال ، فيقول : أحد ، أحد يا بلال ، وهذا يعني أنه أدرك إسلام بلال » .

أما بالنسبة لإسلامه ، فقد اختلف العلماء في إسلامه ﷺ ، فابن الأثير في كتابه « أسد الغابة » يعدّه من الصحابة ، لكنه ينقل قول ابن منده ، فيقول[1] : « قال ابن منده : اختلف في إسلامه ، وروى بإسناده عن الأعمش ، عن عبد اللّه .. » .

وفي الإصابة يعدّه ابن حجر من الصحابة ويستند على غيره من العلماء ، فيقول[2] : « ورقة بن نوفل ... ذكره الطبري ، والبغوي ، وابن قانع ، وابن السكن وغيرهم في الصحابة » .

وكان ورقة أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية ، وطلب الدين ، وقرأ الكتب ، وامتنع عن أكل ذبائح الأوثان[3] . وفي خبر يسوقه صاحب السيرة النبوية، يقول : « وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل ... وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً ، قد تتبع الكتب ، وعلم مِنْ عِلمِ الناس ، ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ... »[4] .

وكان من أوائل الذين حرّموا على أنفسهم الخمر وعبادة الأوثان وأظهروا التوحيد . يقول العسكري في الأوائل : « قس بن ساعدة الإيادي ، وهو أول من

---

(1) أسد الغابة 416/5 .

(2) الإصابة في تمييز الصحابة 317/6 .

(3) نسب قريش ص207 ، والأغاني 119/3 .

(4) السيرة النبوية 191/1 .

أظهر التوحيد بمكة ، وما حولها مع ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل »[1] .

وفي خبر آخر يسوقه صاحب السيرة النبوية يذكر فيه الحنفاء وبحثهم في الأديان: « قال ابن إسحاق : واجتمعت قريش يوماً في عيدٍ لهم عند صنم من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويديرون به ، وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة يوماً ، فخلص منهم أربعة نفر نجيًّا ، ثم قال بعضهم لبعضٍ : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعضٍ ؛ قالوا : أجل . وهم ورقة بن نوفل ... وعبيد اللّه بن جَحْش ... وعثمان بن الحويرث ... وزيد بن عمرو بن نفيل ...

قال بعضهم لبعض : تعلموا واللّه ما قومكم على شيء ! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ! ما حجرٌ نطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، لا يضرّ ولا ينفع ، يا قوم التمسوا لأنفسكم ديناً ، فإنكم واللّه ما أنتم على شيء . فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين إبراهيم » .

فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية ، واتبع الكتبَ من أهلها ، حتى علم علماً من أهل الكتاب .

هذا رأي بعض المصادر القديمة ، لكن بعضاً منها يعدّه قد أسلم يؤيد ذلك ما ورد في السيرة الحلبية : إن أول رجل أسلم ورقة بن نوفل ، لقوله للنبي ﷺ : أنا أشهد إنك الذي بشر بك عيسى بن مريم ، وإنك على مثل ناموس موسى ، وإنك نبيّ مرسل ، قد علمت ما فيه[2] .

وفي خبر ورقة في الإصابة يقول ابن حجر : « .... وفي إثبات الصحبة له نظر ... فلما توفي ، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم : « لقد رأيت القسّ في الجنة ، عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني » . وقد أخرجه البيهقي في الدلائل ... »[3] .

---

(1) الأوائل 84/1 .

(2) السيرة الحلبية 461/1 ـ 462 ، والإصابة 318/6 .

(3) الإصابة 318/6 .

لن نطيل الحديث حول هذه النقطة ، لأننا نعتقد أن مؤلف الكتاب قد أطال فيها وأجاد ، وفصل بما فيه الكفاية .

مخطوطة الكتاب :

لا نعرف لهذا الكتاب سوى مخطوطة وحيدة لا أخت لها محفوظة في مكتبة الأسد بدمشق برقم 3733 .

وهي نسخة فريدة عتيقة جليلة كتبت بخط نسخ قديم رديء ، فيها الكثير من التصحيف ، وعدم الضبط ، ويبدو أن ناسخها عمر محمد سجع لم يكن من النساخ المتمكنين .

تقع النسخة في ثمانٍ وستين ورقة مزدوجة من القطع الكبير ، وعدد أسطر كل صفحة 21 سطراً .

جاء في صفحة العنوان في المخطوطة : « كتاب بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيد ورقة ، تأليف الإمام العالم العلاّمة الحافظ المتقن ، ناصر السنة ، وقامع البدعة ، أبي الحسن الشيخ برهان الدين البقاعي الشافعي ، أمتع اللّه الوجود بوجوده وأتحف به ، وأعانه ، ونصره ، وأعاد ... وعلى المسلمين ، وختم تاريخه في عافية ... آمين آمين » .

وعلى نفس الصفحة كتب أيضاً : « هدية المرحوم رفيق بك العظم لمكتبة الملك الظاهر بدمشق سنة 1343 هـ وسنة 1925 م » .

وجاء في آخر الورقة الأخيرة نقلاً عن المؤلف : « وكان فراغي من تسويدها قبل الغروب من يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانية وثمانمائة في منزلي الملاصق للمدرسة الباذرابية من دمشق المزة ، جعلها اللّه دار سنة وجماعة إلى أن تقوم الساعة آمين » .

وفيها أيضاً بخط ناسخها عمر محمد سجع : « وكان الفراغ من كتبِ هذه النسخة

المباركة يوم الخميس عشرين شهر صفر المبارك سنة أربع وثمانين وثمانمائة ، أحسن اللّه ختامها على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى عفو ربه العلي ، عمر محمد سجع ، رحم اللّه سلفه ، وغفر ما أسلفه عنه وكرّمه » .

عملنا في تحقيق الكتاب :

يمكن لنا إجمال عملنا في تحقيق الكتاب بالمراحل الآتية :

1 ـ نسخنا الكتاب كله مباشرة من الأصل المخطوط .

2 ـ صححنا ما وقع فيه الغلط والتصحيف في مواضع كثيرة بالاستعانة بكتب السير وتراجم الصحابة ومصادر اللغة ، مثل الاستيعاب وأسد الغابة ، والإصابة ، والسيرة النبوية لابن هشام ، والسيرة الحلبية .

3 ـ عرّفنا بالعلماء المذكورين والأعلام الذين استشهد بهم المؤلف تعريفاً موجزاً اعتمدنا فيه على كتاب الأعلام للزركلي .

4 ـ خرجنا الأشعار الواردة في الكتاب من المصادر التاريخية وكتب السير ، وكذلك أحاديث الرسول ﷺ ، وكذلك الشواهد من آيات القرآن الكريم أشرنا إلى مواضعها في المصحف .

5 ـ شرحنا كثيراً من الألفاظ الغريبة في الأشعار والأخبار التي قدّرنا أنها تحتاج إلى شرح بالعودة إلى مصادر الأدب واللغة والمعاجم ونخص بالذكر الصحاح للجوهري ولسان العرب لابن منظور .

هذا وقد قدمنا لعملنا هذا بمقدمة عرفنا فيها بصاحب الكتاب البقاعي وذكرنا مؤلفاته .

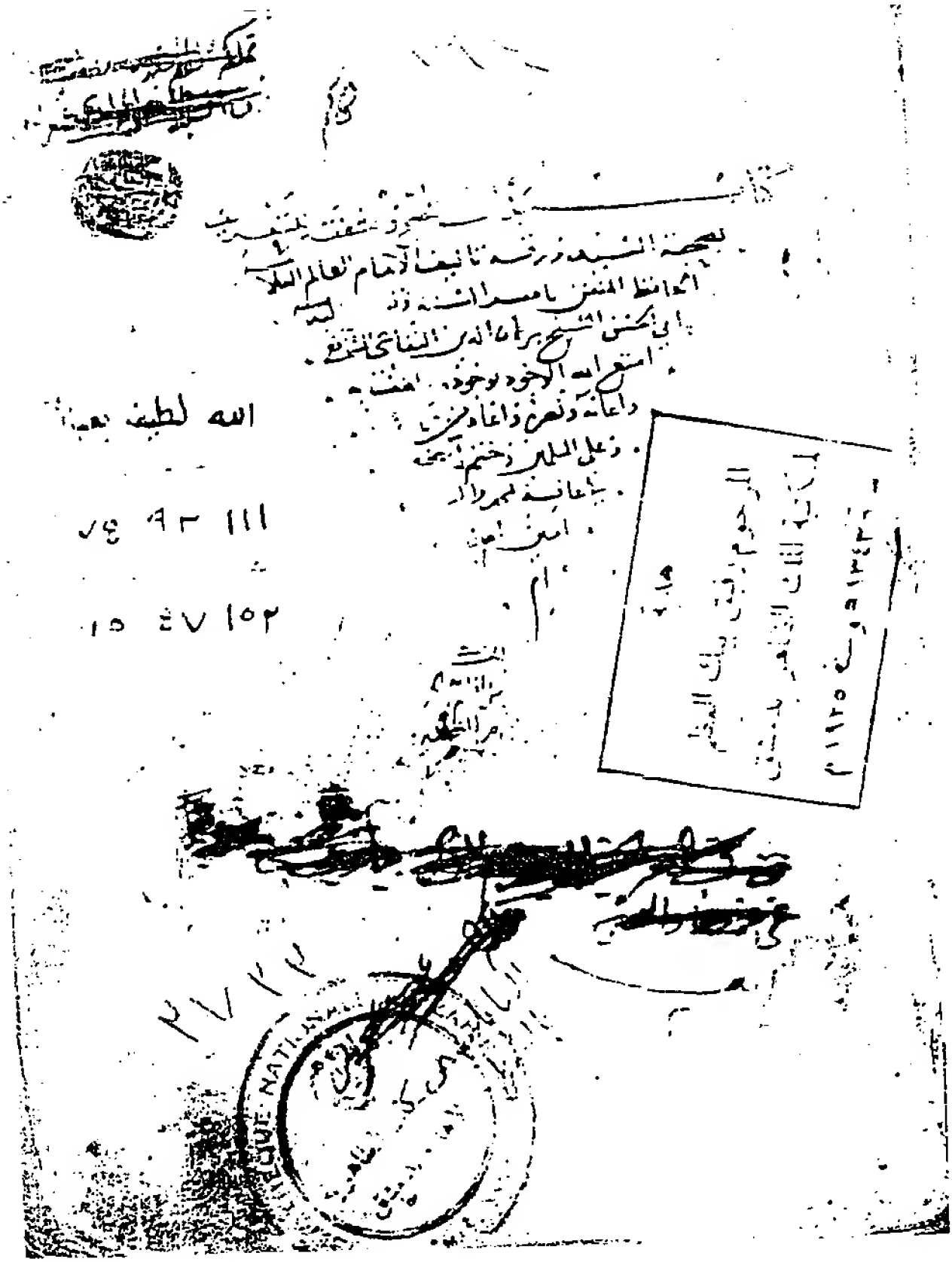

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

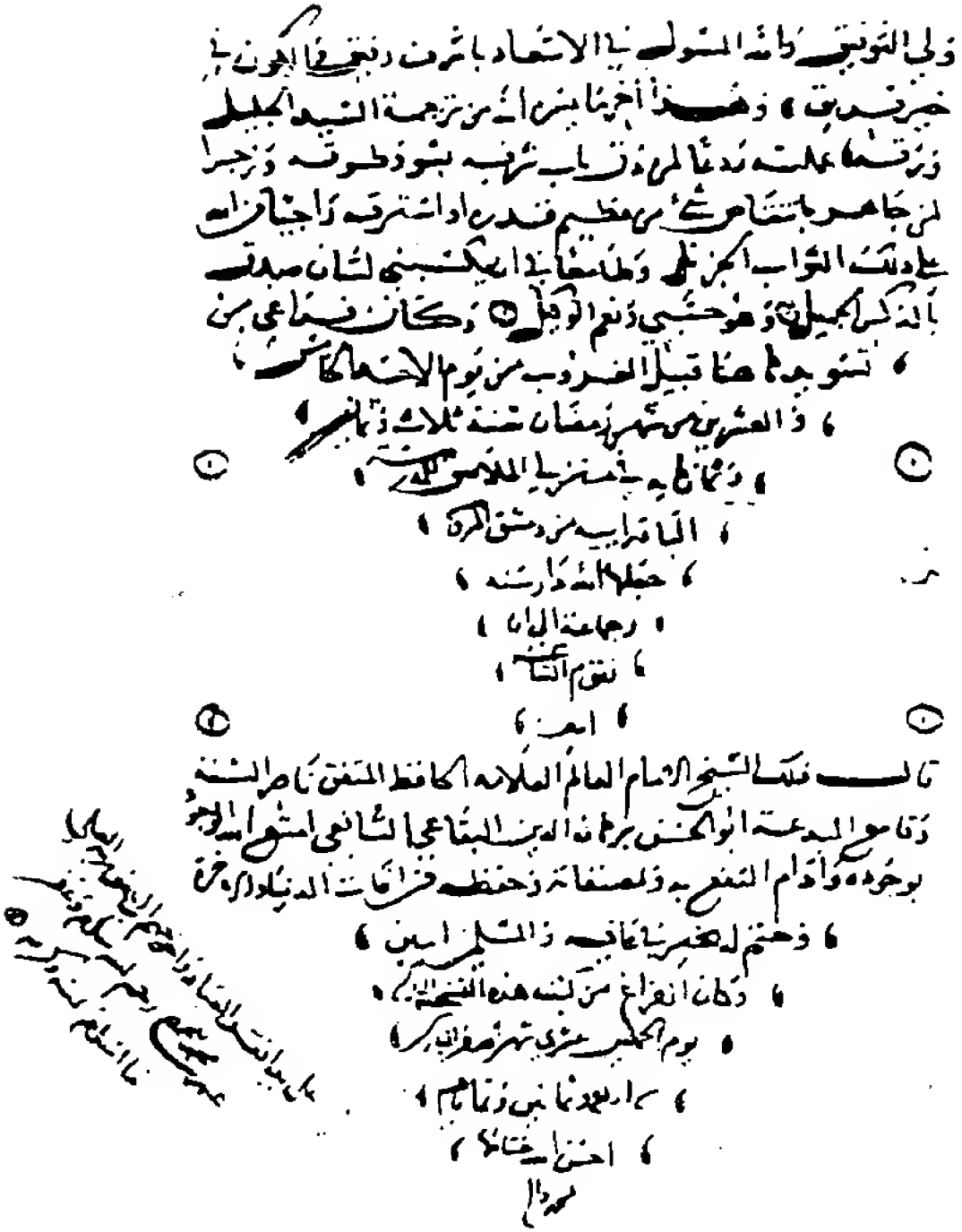

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

كتاب

بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيد ورقة

تأليف

الإمام العالم العلاَّمة الحافظ المتقن ناصر السنة وقامع

البدعة ، أبي الحسن الشيخ برهان الدين البقاعي

الشافعي أمتع اللّه الوجود بوجوده وأتحف به ،

وأعانه ، ونصره ، وأعاد .. وعلى المسلمين ،

وختم تاريخه في عافية .....

آمين آمين

2 / بسم اللّـه الرَّحمن الرَّحيم

الحمد للّـه الذي جعلَ أقربَ خلقه إليـه الأنبيـاء ، وأعـزَّ بهـم مَـنْ صدّقهـم مـن الأتقياء ، وجعل من شافههم بالتّصديق أصفى الأصفياء ، وأشهد أنْ لا إله إلا اللّـه رافع الأولياء ، وواضـع الأعـداء الأدنيـاء المكذبين الغاشين الأشـقياء ، وأشـهد أن سيدنا محمـد إمـام الأزكيـاء ، ورأس الألبـاء الأذكيـاء صلـى اللّـه عليـه وعلـى آلـه وأصحابه الأئمة الأوفياء الكلمة ، الأقويـاء الذيـن مَـنْ تكلـم في أحـد منهـم ، فقـد أغضب المصطفى ، وكفر شكر المنعم ، فأخلّ بالوفاء ، وسلّم تسليماً يفوقُ الدّر في الصّفاء، والشّمس في الضياء ، وبعد .

فهذا كتاب جليل العتاب ، هادٍ إلى المتاب من نقص أحدٍ من الصّحاب ، سمّيته: « بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيد ورقة »[1] ، رضي اللّـه عنه وأرضاه، وجعلنا ممن يصونُ جنابه ويرعاه .

حملني على تصنيفه وجمعه ، وتخريج رصيفه[2] أنَّ كثيراً من الطلبة وبعض المبرزين النّجبـة ممن اغتروا بما عندهم ، فغرهم ذلك حتى تجاوزوا حدّهم ، لـم تحنّكهم

---

(1) في الخزانة 361/3 – 362 : « ورقة بن نوفل : يعدّ من الصحابة ، وقـد ألـف أبـو الحسـن برهان الدين إبراهيم البقاعي الشافعي ، تأليفاً في إيمان ورقة بالنبي وصحبته له ، صلى اللـه عليه وسلم ، ولقد أجاد في جمعه ، وشـدّد الإنكـار علـى مـن أنكـر صحبتـه ، وجمـع فيـه الأخبار التي نُقلت عن ورقة ، رضي اللـه عنه ، بـالتصريح بإيمانـه بـالنبي صلـى اللـه عليـه وسلم ، وسروره بنبوته ، والأخبـار الشـاهدة لـه بأنـه في الجنـة ، ومـا نقلـه العلمـاء مـن الأحاديث في حقّه ، وما ذكروه في كتبهم المصنفة في أسماء الصحابة ؛ وسمّي تأليفه : بـذل النصح والشفقة ، للتعريف بصحبة السيد ورقة » .

(2) العمل الرصيف ، والكتابة الرصيفة : المحكمة الرصينة .

التجربة[1] ، ولا أدّبتهم الوقائع والمصائب ، طمعوا أن يزبّبوا الحصرم .

وراموا أن يبلغ رتبة أهل التقى مَنْ هو مجرمٌ ، وما أدّبهم ، ولا أزال داءهم وهذبهم شافي الغيّ من قول إمامنا الشّافعي : « إذا تصدر الحدَثُ فاته علمٌ كثيرٌ »، ولا بهرهم قول المصطفى ﷺ : « البِرُّ كبرٌ » . بل اقتفوا آثار من قال اللّه فيهم : ﴿ فلمّا جاءَتْهُم رسُلُهُمْ بالبَيِّناتِ فَرِحوا بما عندهم مِنَ العلمِ ﴾[2] .

ألقى الشّيطان في قلوبهم باطلاً ، وقولاً فارغاً من المعاني وعاطلاً ، وهو نفي الصّحابي الكبير العظيم القدر ، الخطير ، ورقة بن نوفل من الصّحبة ، مع ماله في الجاهلية /من عظيم الرتبة ، وجليل المآثر والقربة . 2/ب

ومنهم مَنْ أبعد جدًّا عن سبيل الاستقامة ، فنفى إسلامه مع أنّ الصّحبة والإسلام توأمان ، هما فيه متناسبان ، بل متلازمان ، متى نفي عنه أحدهما انتفى مناسبه . ومتى ثبت له ثبت لعمري صاحبه .

وذلك لأنه لا نزاع لأحدٍ من الناس في اجتماعه بالنبي ﷺ ، بعد إتيان جبريل عليه السّلام إليه ، لأن ذلك ثابت في الصّحيحين اللذين أجمعت الأمة على تلقيهما بالقبول ، ومعلوم لكل مَنْ عنده إحساس من الأصول ، أو علم الحديث أن الصّحابي : مَنْ لقي النبي ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام ، فالجنس ، وهو اللقاء قد ثبت .

فمتى سلمت الفصول لزم الإطلاق [في] الصحبة . ومتى ادّعى يقينها لم يكن إلا بنفي الفصول ، إما بنفي أن يكون مصدقاً حال اللّقاء ، أو نفي الموت على الإسلام ، وكل منهما كفرٌ ، فقد وقع مَنْ قال هذا في تكفير صحابي جليل بغير تأويل .

---

(1) حنّكته التجربة : هذبته وأبصرته بالأمور .

(2) سورة غافر : 83/40 .

فإن كان لا يدري فتلك مصيبة ، وإن كان يدري فالمصيبة أعظم . ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افتَرَى على اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بغيرِ عِلْمٍ إنَّ اللَّه لا يهَدِي القومَ الظالمينَ ﴾[1] .

وما رأينا أنه انتطح في ذلك عنزان ، ولا انفتح بلوم قائله فمٌ ، ولا انطلق بذمّه لسانٌ بنثر ناثرٍ جمَّل الوجود نثره وزانه ، أو شعر شاعر مطبوع تقيّ ، أو سارق أوزانٍ .

هذا مع أن ورقة رضي الله عنه قد وردَ إسلامه بالأسانيد الضعيفة تارة ، والحسنة أخرى، بل والصّحيحة المودعة في الصّحيحين اللذين تلقتهما الأمة بالقبول ، فصار مخالفهما مخالفاً للأئمة ، سالكاً غير سبيل الأمة . وورد توحيده للّه تعالى في الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ ، فنابذ قومه قريشاً :

3 **أولاً** : في الإشراك . فوحّد اللّه تعالى ، /علماً منه أنهم قَدْ أخطأوا دين أبيهم إبراهيم عليه السّلام ، وأنّ الشّرك لا يقول به عاقل فإن حاصله أنه بلوغ أقصى أنواع التذلل بعبادة ما لا يضرُّ ، ولا ينفعُ ، ولا يسمعُ ، ولا يبصر .

وثانياً : في اتباع الدّين الحقّ في ذلك الزّمان ، وهو دين عيسى عليه السّلام . ولم يتبع النصارى في التبديل بشهادة العلماء له بذلك ، كما ستعرفه ، وطاف كثيراً من الأقطار في طلب هذه المهمات الكبار حتى وضح له الحقّ وضوح النّهار ، وأعمل في ذلك الفكر ، وسأل أهل الذّكر ، وضرب في تقرّبهم أكباد المطي ، ولم يكن بالمتواني ، ولا البطيء من مكة المعمورة المباركة المشهورة إلى أقصى الشام والجزيرة .

ودار على الأحبار[2] والرّهبان حتى عرف حقيقة الإيمان فلا اقتدى به هؤلاء في الجولان ، ولا سكتوا عن الكلام فيما لا يعرفون خشية مِنْ مثل قوله تعالى :

---

(1) سورة الأنعام : 144/6 .

(2) الأحبار : جمع الحبر ، ومعناه العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه . والحبر : واحد أحبار اليهود.

﴿ وتَقُولونَ بأفواهِكُمْ ما ليسَ لكُمْ بهِ عِلْمٌ وتحسبُونَهُ هَيّناً وهو عندَ اللّهِ عَظيمٌ ﴾[1].
﴿ بل اتّبَعَ الذينَ ظَلَمُوا أهواءَهُمْ بغيرِ عِلْمٍ فمَنْ يَهْدِي مَنْ أضلَّ اللّهُ وما لهم مِنْ ناصرينَ ﴾[2] .

ولا سألوا أهل الذكر والإيمان في بلدهم ، ولا غيرها من البلدان ، ولا قبلوا منهم ما نصحوهم به ، فنقلوه ، ولا اعتنوا به ، ولا تأمّلوه ، ولا استحيوا من ملام يلحقهم، ولا عتاب . ﴿ ومَنْ يبدّل نعمةَ اللّهِ مِنْ بعدِ ما جاءَتْهُ فإنّ اللّهَ شديدُ العقابِ ﴾[3] . فقد نابذوا بفعلهم هذا ما مضى من الأخبار ، فعرّضوا أنفسهم للخزي والصّغار[4].

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في كتاب[5] « الحوادث والبدع » ، قال عبد اللّه بن مسعود[6] ﷺ : « لا يزال الناس بخيرٍ ما أخذوا العلم عن أكابرهم ، فإذا أخذوا عن أصاغرهم وشرارهم هلكوا » .

وروى أبو خيثمة[7] في حقّ العلم ، عن عبد اللّه أيضاً ، قال : « إنكم لن تزالوا

---

(1) سورة النور : 15/24 .

(2) سورة الروم : 29/30 .

(3) سورة البقرة : 211/2 .

(4) الصغار : الذل والهوان .

(5) الطرطوشي : محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي ، أبو بكر ، أديب ، من فقهاء المالكية ، الحفاظ ، من أهل طرطوشة بشرقي الأندلس ، تفقه في بلاده ورحل للمشرق فزار العراق ومصر وفلسطين ولبنان ، أقام مدة في الشام . من أشهر كتبه « الحوادث والبدع » . « الأعلام 133/7 » .

(6) ابن مسعود : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، صحابي جليل ، من أكابرهم فضلاً وعقلاً ، وقرباً من النبي صلى الله عليه وسلم ، من أهالي مكة السابقين للإسلام ، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة . « الأعلام 137/4 » .

(7) أبو خيثمة : زهير بن حرب بن شداد النّسائي البغدادي ، محدّث بغداد في عصره . أصله=

بخيرٍ ما دام العلم في ذوي أسنانكم[1] ، فإذا كان العلم في الشّباب أَنِفَ ذو السنّ أن /يتعلم من الشّباب » . 3/ب

وروى الإمام أحمد[2] في كتاب « الزهد » عن سلمان ﷺ ، قال : « لا يزال الناس بخيرٍ ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر ، فإذا ذهب الأول قبل أن يتعلم الآخر ، فذاك حين هلكوا » .

وثالثاً : بتشوقه إلى استنباء محمد ﷺ ، واستبطائه لذلك ، وقوله فيه : إنه المبشر به في كتب اللّه تعالى القديمة ، وإنشاده في ذلك الأشعار العظيمة .

ورابعاً : بالثبات عند المفاجأة بالحقيقة بتصديق النبي ﷺ في إتيان جبريل عليه السلام إليه ، وتثبيته له في ذلك وعزمه على الجهاد معه ، إذا جاء وقته ، فما أدري ما شبهة المتوقف في صحبته بعد ذلك ! ما هو إلا ضلال بعيد ، وظلام في القلب شديد ، ولا سيّما إذا انضم إلى هذا مناضلة هذا المتوقف عن بعض من هو كفّارٌ عنيد ، إذْ سكوته عنه مراعاة له ، ولمن يقول : إن حاله شديد ، لا سيما أنه لم يكن له بين المسلمين وزمن الموحدين إلا ديوان شعره الدال على خساسة قدره ، وخُبْثِ طويته وسرّه . لأنه بين كفر وضلالة ، وخلاعة وبطالة ، وليس له قصيدة نبوية ، ولا وعظيَّة ربّانية ، خلافاً لحال ورقة فيما سَعُدَ به من محبة اللّه ورسوله ، ورزقه .

- من «نسا» ، وشهرته ببغداد . من أشهر كتبه : « كتاب العلم » ، أكثر الإمام مسلم من الرواية عنه . « الأعلام 51/3 » .

(1) ذوو أسنانكم ، أي : أصحاب السن منكم ، أراد : الكبار في السن الذين حنكتهم التجارب .

(2) الإمام أحمد : أحمد بن حنبل ، أبو عبد اللّه الشيباني الوائلي ، إمام المذهب الحنبلي ، وأحد الأئمة الأربعة . طلب العلم وسافر من أجله إلى جميع الأقطار المسلمة . صنف «المسند» ستة مجلدات ، يحتوي على ثلاثين ألف حديث . من أهم كتبه : «كتاب الزهد». سجن أيام المعتصم . « الأعلام 203/1 » .

وصحّ أن ورقة ﷺ ابن عمّ النبي ﷺ ، وابن عمّ زوجه الصدِّيقة الكبرى خديجة رضي اللّه عنها .

وقد أمَرَ النبي ﷺ بتعظيم مَنْ يدلي إليه بنسب ، وبتعظيم أصحابه رضي اللّه عنهم ، وهو أولهم سلاماً .

وسيتضح لك أن حاصل هذا الكتاب الناطق بالصواب ، الناصر لأولي الألباب ، الخاذل لمنابذي الآداب المفرّقين بين الأصحاب ، أنه مرتبٌ على أصول ، هي
4 كالفصول ، منها ذكر إجمال ما فيه من أمرِ /ورقة ، ثم الموازنة بين أمره ، وأمر ابن الفارض[1] ، ثم آيات ناهية عن موالاة الظالمين ، ثم أحاديث لذلك .

ثم الإيضاء بالصحابة رضي اللّه عنهم بآيات وأحاديث ، وغير ذلك من خطبة الاستيعاب ، وخطبة الإصابة لشيخنا ابن حجر[2] ، ثم الإيضاء بخصوص قريش ، ثم الحبّ في اللّه ، والبغض فيه ، ثم تعظيم طلب العلم وطلبته ، ولا سيما أهل الحديث ، ثم

---

(1) ابن الفارض : عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاة ، من أشهر شعراء الصوفية ، يلقب بسلطان العاشقين . في شعره فلسفة تتعلق بما يسمى «وحدة الوجود» . كان أول اشتغاله بفقه الشافعية ، حُبّب إليه سلوك طريق الصوفية ، فتزهد وتجرّد ، وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة والخرابات بالقاهرة . اختلف في شأنه ، كشأن بقية الصوفيين الشعراء ، كابن عربي ، ... من الكفر إلى القبطانية ، وكثرت التصانيف من الفريقين في هذه القضية . قال عنه الذهبي : كان سيد شعراء عصره، وشيخ الاتحادية ، وما ثمّ إلا زيّ الصوفية ، وإشارات مجملة ، وتحت الزيّ والعبارة فلسفة وأفاعي ، وأورد ابن حجر أبياتاً صرح فيها ابن الفارض بالاتحاد . « الأعلام 55/5 - 56 ».

(2) ابن حجر : أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، من أئمة العلم والتاريخ . ولع في أول حياته بالشعر والأدب ، ثم أقبل على الحديث . رحل للحجاز واليمن وغيرهما لسماع الشيوخ ، أصبح حافظ الإسلام في عصره . من أشهر كتبه « الإصابة في تمييز أسماء الصحابة » . « الأعلام 178/1 » .

ترجمة زيد بن عمرو[1] ، ثم أحاديث في فضله ، وفضل غيره ، ثم ذكر ورقة ﷺ .

وإيراد الأخبار والأشعار في توحيده ، ثم أخباره في تصديق النبي ﷺ ، وفيه ما يلزم من ردّ الإيمان في حال النبوة المجردة عن رسالة في تكفير أتباع الأنبياء الذين لم يرسلوا ، ثم بقية الأخبار ، ثم حديث الصّحيحين .

ثم من تكلم عليه من العلماء ، وقال بإيمان ورقة ، وهم ابن حَجَر والبِرْمَاوي[2] ومُغَلْطاي[3] والسُّهَيْلي[4] والنّووي[5] في ذكره وذكر زيد بن عمرو والتعجب مَمَنْ توقف في صحبته وإلزامه بأن جعله دون أهل الفترة في زعم كثير من الناس مع تحقق إشراكهم باللّه .

---

(1) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العُزَّى القرشي ، أحد حكماء قريش ، ونصير المرأة ، وهو ابن عمّ عمر بن الخطاب . مات و لم يدرك الإسلام ، وكان يكره عبادة الأوثان ، ولا يأكل مما ذبح عليها . رحل إلى الشام باحثاً عن عبادات أهلها ، فلم تستمله اليهودية ولا النصرانية . كان يعبد الله على دين إبراهيم الخليل . « الأعلام 60/3 » .

(2) البرماوي : محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني البرماوي ، أبو عبد الله ، شمس الدين : عالم بالفقه والحديث ، شافعي المذهب . أقام مدة في دمشق تصدر للإفتاء والتدريس في القاهرة . « الأعلام 188/6 » .

(3) مغلطاي : بِمغلطاي بن قَليج بن عبد الله البكجري المصري ، الحنفي ، أبو عبد الله : مؤرخ ، من حفاظ الحديث ، عارف بالأنساب ، تركي الأصل ، مستعرب . تصانيفه أكثر من مئة ، منها « شرح البخاري » و « شرح سنن ابن ماجة » . « الأعلام 275/7 » .

(4) السهيلي : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي ، حافظ ، عالم باللغة والسير، ضرير ، ولد في مالقة ، من أشهر كتبه « الروض الأنف » . « الأعلام 313/3 » .

(5) النووي : يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني ، الشافعي ، محيي الدين : علامة بالفقه والحديث . مولده ووفاته في «نوا» من أعمال حوران بسورية . لها تآليف كثيرة من أهمها « رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين » و « مختصر طبقات الشافعية لابن الصلاح » . « الأعلام 149/8 » .

ثم كلام ابن أبي حَمْرَة[1] وابن كثير[2] ، وذكر مُخَيْريق[3] وغيره مِمَنْ ورقة أحقّ منهم بالصحبة . ثم كلام الشيخ زين الدّين العراقي[4] وولده والكُفَيْري[5] والنجم ابن قاضي عَجْلون[6] رحمهم اللّه أجمعين .

ثم تعريف الصحابي ، ثم مَنْ عدّ ورقة في كتابه في أسماء الصحابة ، ثم حاصل ترجمة ورقة إجمالاً ، ثم الكلام على أسرار الآيات التي نزلت على النبي ﷺ ، والأية ومناسبتها للأولية .

---

(1) ابن أبي جمرة : عبد الله بن سعد بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي ، أبو محمد ، من العلماء بالحديث ، مالكي . أصله من الأندلس ووفاته بمصر . من أشهر كتبه « جمع النهاية » اختصر به صحيح البخاري ، و « بهجة النفوس » . « الأعلام 89/4 » .

(2) ابن كثير : عبد الله بن كثير الداري المكيّ ، أبو معبد ، أحد القراء السبعة . كان قاضي الجماعة بمكة . « الأعلام 115/4 » .

(3) مخيريق النضري : صحابي ، كان من علماء اليهود وأغنيائهم : أسلم ، وأوصى بأمواله للنبي صلى الله عليه وسلم . استشهد في غزوة أحد . « الأعلام 194/7 » .

(4) الحافظ العراقي : عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن ، أبو الفضل ، زين الدين ، المعروف بالحافظ العراقي ، بحاثة ، من كبار حفاظ الحديث ، كردي الأصل . له الكثير من التصانيف من أشهرها : « نكت منهاج البيضاوي » و « نظم الدرر السنية » و « في مصطلح الحديث » . « الأعلام 344/3 » .

(5) الكفيري : محمد بن أحمد بن موسى ، أبو عبد الله ، شمس الدين الكفيري الدمشقي ، عالم بالحديث . نشأ وعاش في دمشق . له الكثير من التصانيف ، منها : « التلويح إلى معرفة الجامع الصحيح » و « الكوكب الساري في شرح صحيح البخاري » و « زهر الروض » . مات بدمشق بعد مرض طويل . « الأعلام 331/5 » .

(6) ابن قاضي عجلون : محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ، أبو الفضل ، نجم الدين ابن قاضي عجلون : فقيه شافعي ، دمشقي المولد والمنشأ . سكن القاهرة ، وولي بها إفتاء دار العدل وتدريس الفقه في جامع طولون . « الأعلام 238/6 » .

وجملة المقصود أيضاً من هذا الكتاب بالذات أنه اشتمل على أخبار نقلت عن ورقة ﷺ صريحة في إيمانه بالنبي ﷺ ، وسروره بنبوته ، وعلى أخبار شاهدة له /بأنه في الجنة . وعلى علماء نقلوا هذه الأحاديث في مصنّفاتهم ، وعلى ما نقول عن العلماء بأنه مؤمن ، وأنه صحابي ، وعلى علماء ذكروه في كتبهم المصنفة في أسماء الصحابة ﷺ ، فبان بذلك أنه على غاية الإذعان للدعوة المحمدية وحسن الإجابة .

4/ب

واتضح أن الجاهل بحاله في غاية البعد عن الإصابة بعماه عن تبلّج الصبح ليس دونه ضبابة . وإنكاره للشّمس من غير حائل ، ولا سحابة .

فأما الذين نقلوا الأخبار الدالة على إيمانه ، فالإمام أحمدُ بن حَنْبل والبُخاري[1] ومُسْلِم[2] وابن إِسْحَاق[3] وابنُ هِشَام[4] وأبو زُرْعَةَ الرَّازيّ[5]

---

(1) البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، أبو عبد الله : حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ ، صاحب « الجامع الصحيح » المعروف « بصحيح البخاري » . ولد في بخارى يتيماً ، رحل كثيراً في طلب العلم ، فزار خراسان والعراق والشام ومصر . « الأعلام 34/6 » .

(2) مسلم : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، أبو الحسين : حافظ ، من أئمة المحدثين . ولد بنيسابور ، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق . أشهر كتبه «صحيح مسلم » و « المسند الكبير » . « الأعلام 221/7 » .

(3) ابن إسحاق : محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء ، المدني : من أقدم مؤرخي العرب . من أهل المدينة . له « السيرة النبوية » التي هذبها ابن هشام . زار الإسكندرية ، وسكن بغداد ومات فيها . قال عنه ابن حبّان : لم يكن أحد بالمدينة يقارب ابن إسحاق في علمه أو يوازيه في جمعه . « الأعلام 28/6 » .

(4) ابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد ، جمال الدين : مؤرخ ، عالم بالأنساب واللغة وأخبار العرب . ولد ونشأ بالبصرة ، وتوفي بمصر . أشهر كتبه « السيرة النبوية » و « القصائد الحميرية » . « الأعلام 166/4 » .

(5) أبو زرعة الرازي : عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ ، المخزومي بالولاء ، أبو =

والبَيْهَقي[1] وأبو نُعَيم[2] والمحاملي[3] والمَسْعُودي[4] والسُّهَيْلي والكَلاَعي[5] ومُغَلْطاي والنّاصر بن الفُرات[6] وغيرهم .

- زرعة الرازي : من حفاظ الحديث ، الأئمة . من أهل الري . زار بغداد ، وحدّث بها ، وجالس أحمد بن حنبل . كان يحفظ مئة ألف حديث . توفّي بالريّ . « الأعلام 194/4 ».

(1) البيهقي : أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر : من أئمة الحديث . ولد في خسروجرد بنيسابور . نشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة ، قال عنه إمام الحرمين : ما من شافعيّ إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي . له الكثير من الكتب أشهرها : « دلائل النبوة » و « الترغيب والترهيب » . « الأعلام 116/1 » .

(2) أبو نعيم الأصبهاني : أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني : حافظ ، مؤرخ ، من الثقات في الحفظ والرواية . ولد ومات بأصبهان . من تصانيفه : « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » و « معرفة الصحابة » و « دلائل النبوة » . « الأعلام 157/1 » .

(3) المحاملي : الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل المحاملي الضبّي ، أبو عبد الله البغدادي : قاضٍ ، من الفقهاء المكثرين من الحديث . ولي قضاء الكوفة وفارس ستين سنة. له : « الأجزاء المحامليات » و « أمالي المحاملي » . « الأعلام 234/2 » .

(4) المسعودي : علي بن الحسين بن علي ، أبو الحسن المسعودي ، من ذرية عبد الله بن مسعود : مؤرخ ، رحالة ، بحاثة ، من أهل بغداد . أقام بمصر وتوفي فيها . من تصانيفه « مروج الذهب » و « أخبار الزمان ومن أباده الحدثان » . « الأعلام 277/4 » .

(5) الكلاعي : سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعيْ الحميري ، أبو الربيع ، محدّث الأندلس وبليغها في عصره ، من أهل بلنسية . صنف العديد من الكتب ، منها : « الاكتفا بسيرة المصطفى والثلاثة الخلفا » و « كتاب معرفة الصّحابة والتابعين » . « الأعلام 136/3 » .

(6) ابن الفرات : محمد بن عبد الرحيم بن علي بن محمد ، ناصر الدين الحنفي ، المعروف بابن الفرات ، مؤرخ مصري ، له : « تاريخ ابن الفرات » و « الطريق الواضح المسلوك إلى معرفة تراجم الخلفاء والملوك » . « الأعلام 200/6 » .

وأما رواة الأخبار الشاهدة بأنه في الجنة فجابر بن عبد اللّه[1] وعائشة ، وعبيد ابن عمير الليثي ﷺ ، وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام ولكن لم يلقَ النبي ﷺ .

وأما الذين ذكروا هذه الأحاديث عن هؤلاء الرواة في مصنفاتهم فالإمام أحمد بن حنبل والتِّرمِذِيّ[2] وابن إسْحاق والبَزَّار[3] وأبو زُرْعَة الرَّازي وأبو يعلى الموصلي[4] وأبو موسى المدِيْني[5] والبيهقي وأبو نعيم وأبو عمر ابن عبد البر والسُّهيلي .

---

(1) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي : صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ ، وله ولأبيه صحبة . روى له البخاري ومسلم وغيرهما الكثير من الأحاديث . « الأعلام 104/2 » .

(2) الحكيم الترمذي : محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، أبو عبد الله : باحث ، عالم بالحديث وأصول الدين . من أهل ترمذ ، نفي منها بسبب تصنيفه كتاباً خالف فيه ما عليه أهلها ، فشهدوا عليه بالكفر . وقيل : اتّهم باتّباع طريقة الصوفية في الإشارات ؛ وقيل : فضل الولاية على النبوة ، فحمل إلى مدينة بلخ فأكرمه أهلها . له الكثير من المؤلفات والتصانيف والرسائل ، منها كتاب « نوادر الأصول في أحاديث الرسول » و « غرس الموحدين » . « الأعلام 272/6 » .

(3) البزار : أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ، أبو بكر البزار : حافظ ، من العلماء بالحديث . من أهل البصرة . حدّث في آخر عمره بأصبهان وبغداد والشام . له مسندان ، أحدهما كبير سماه « البحر الزاخر » . « الأعلام 189/1 » .

(4) أبو يعلى الموصلي : أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي : حافظ ، من علماء الحديث ، ثقة مشهور ، نعته الذهبي بمحدّث الموصل . له مسندان كبير وصغير . « الأعلام 171/1 » .

(5) المديني : محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني ، أبو موسى : من حفاظ الحديث ، المصنفين فيه ، مولده ووفاته بأصبهان : زار بغداد وهمذان . له تصانيف أهمها : « خصائص المسند » أي : مسند الإمام ابن حنبل . و « تتمة معرفة الصحابة ». « الأعلام 313/6 » .

والحافظ أبو الفتح ابن سيّد الناس[1] والحافظ عماد الدين ابن كثير والحافظ مغلطاي والعلامة شمس الدين الكرماني والحافظ الكبير زين الدين العراقي وولده الإمام ولي الدين أبو زرعة والحافظ الكبير أبي الفضل ابن حجر والشيخ شمس الدين الكفيري وغيرهم .

وأما الذين قالوا إنه مؤمن وصحابي لزوماً أو تصريحاً كالسهيلي والشيخ محي الدين النووي وابن كثير والعارف أبو محمد عبد اللّه بن أبي جمرة والحافظ /زين الدين العراقي وولده الإمام ولي الدين وابن حجر والعلامة شمس الدين البرماوي والكفيري ، والعلامة نجم الدين ابن قاضي عجلون وغيرهم .

وأما الذين عدوه في الصحابة بإيداعهم لاسمه في مصنفاتهم في أسماء الصحابة ﷺ : فأبو موسى المديني وأبو عبد اللّه بن منده[2] والإمام موفق الدين ابن قدامة[3] والحافظ شمس الدين الذهبي[4] والحافظ شهاب الدين ابن حجر وغيرهم .

---

(1) ابن سيد الناس : محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، ابن سيد الناس ، اليعمري الربعي ، أبو الفتح ، فتح الدين : مؤرخ ، عالم بالأدب ، من حفاظ الحديث ، أصله من إشبيلية مولده ووفاته بالقاهرة . من تصانيفه : « عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير » و « تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة » . « الأعلام 34/7 » .

(2) ابن منده : محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى ، أبو عبد الله العبدي ، الأصبهاني : من كبار حفاظ الحديث ، الراحلين في طلبه ، المكثرين من التصنيف فيه . من كتبه : « فتح الباب في الكنى والألقاب » و « معرفة الصحابة » . « الأعلام 29/6 » .

(3) ابن قدامة : عبد الله بن قدامة الجماعيلي المقدسي ، ثم الدمشقي الحنبلي ، أبو محمد ، موفق الدين : فقيه ، من أكابر الحنابلة ، له تصانيف عدة ، منها : « المغني » و «العمدة» و « فضائل الصحابة » . تعلّم في دمشق ، ورحل إلى بغداد ، ثم عاد لدمشق وتوفي بها . « الأعلام 67/4 » .

(4) الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، شمس الدين ، أبو عبد الله : حافظ، مؤرخ ، علامة محقق ، تركماني الأصل ، من أهل ميافارقين . مولده ووفاته بدمشق . رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان . له العديد من الكتب : « تذكرة الحفاظ » =

فصار المريد لنفسه عن الصحبة كمن يسعى في قصده المهم إلى خلقٍ ، وينزل في واحد بعدما طلع في ألفٍ ، فلا يخشى المتوقف بعد الدلائل أن يبلى بأشد الغوائل ، فيقرّع بنحو قوله تعالى : ﴿ سأصْرِفُ عنْ آياتي الذينَ يَتكَبَّرُونَ في الأرضِ بغيرِ الحقّ وإنْ يَرَوا كُلَّ آيةٍ لا يؤمنوا بها وإنْ يَرَوا سبيلَ الرُّشْدِ لا يتخذُوه سبيلاً وإنْ يَرَوا سبيل الغَيِّ يتخذُوهُ سبيلاً ذلك بأنهم كذّبُوا بآياتِنا وكانُوا عنها غَافِلينَ والذين كذّبوا بآياتنا ولِقاءَ الآخرةِ حَبِطَتْ أعمالهم هَلْ يُجْزَون إلا ما كانُوا يعملونَ ﴾[1] .

فيا للّه للعجب من هذه القضيّة ما أسماها من قضية ، ومن هذه البلية ما أردأها وأسوأها من بليّة بنفي صحابي قرشيّ من الإيمان ، فلا ينتطح في ذلك عنزان ، وما أوصى به النبي ﷺ من احترام أصحابه ، وحذّر من التكلم فيهم ، والتعلق بشيء من أسبابه ، ولا سيما إذا وازنتها بالأمر العارض في تكفير ابن الفارض فإنه استفتي شخص عن قوله في تائيته[2] : [الطويل]

وإنْ عَبَدَ النارَ المجوسُ وما انْطَفَتْ ... كما جاءَ في الأخبارِ من ألْفِ حِجَّةِ[3]

فما عَبَدوا غَيْري وإنْ كان قَصْدُهُمْ ... سِوايَ وإنْ لَم يعقدوا عَقْدَ نِيَّتي

وإنْ خَرَّ للأحْجارِ في البُدِّ عاكِفٌ ... فَلا تَعْدُ في الإنكار بالعَصَبيَّةِ[4]

فَقَدْ عَبَدَ الدِّينارَ مَعْنًى مُنزَّهٌ ... عَنِ العارِ في الإشْراكِ بالوَثَنِيَّة

وما اخْتارَ مَنْ للشَّمْسِ عَنْ غَرَّةٍ صَبا ... وأسفارها مِنْ نُورِ إشراقِ غُرَّتي

5/ب

= و « الإعلام بوفيات الأعلام » و « تجريد أسماء الصحابة » . « الأعلام 326/5 » .

(1) سورة الأعراف : 146/7 - 147 .

(2) الأبيات من تائية ابن الفارض المطولة والمشهورة ، هي في ديوانه ص22 - 63 .

(3) المجوس : عبدة النار ؛ ويقول مذهبهم بالأصلين : النور والظلمة .

(4) خرّ : سجد . والأحجار : جمع حجر ، وهي قطعة مربعة من النسيج يعلقها كاهن الروم على جانب فخذه الأيمن وقت التقدمة . والعصبية : القرابة .

وإنْ نار بالتّنزيلِ مِحْرابُ مَسْجدٍ كما نارَ بالإنْجيلِ هَيْكَلُ بيعةِ[1]

وأسْفارُ تَوْراةِ الكَلِيْمِ لِقَوْمِهِ تُناجِي بها الأحْبارُ في كُلِّ لَيْلَةِ[2]

وقَد بَلَغَ الإنْذارَ عَنّيَ مَنْ بَغَى وقامَتْ بِيَ الأعْذارُ في كُلِّ فِرْقَةِ

فَما زاغَتِ الأبصارُ في كُلِّ مِلّةٍ ولا زاغَتِ الأفْكارُ في كُلِّ نِحْلَةِ[3]

فقال المفتي : هذا كفرٌ : فقالوا : وقائله . فقال : كافرٌ ؛ فإنّا نحكم بالظاهر ، وهذا ظاهره كفرٌ ، وتأويل الكفر كفرٌ بالإجماع . قال أهل الأصول : التأويل بغير دليل ، أو ما يشبه الدليل لعب .

فكفر هذا القائل ظاهر بهذا الكلام وغيره مما هو مثله أو أفحش منه في تائيته المحقق نسبتها إليه بالآحاد والتواتر ، ونسبة العلماء لها إليه ، وبشهادة العلماء عليه بالكفر ، وهم أئمة عصره ، وكل عصر بعده .

فمن أهل عصره سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السلام[4] ، والحافظ الفقيه الأصولي تقي الدين ابن الصلاح[5] ، والإمام المحدث الصوفي قطب الدين محمد

---

(1) محراب المسجد : صدره وأشرف موضع فيه . والبيعة : الكنيسة .

(2) الأحبار : جمع الحبر ، وهو العالم ، وأراد حبر اليهود .

(3) زاغت الأبصار : مالت مكراً وخديعة . والنحلة : المذهب .

(4) عز الدين بن عبد السلام : لم نجد له خبراً فيما عدنا إليه منْ مصادرنا القديمة .

(5) تقي الدين ابن الصلاح : عثمان بن عبد الرحمن ، صلاح الدين بن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي ، أبو عمرو ، تقي الدين ، المعروف بابن الصلاح، أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال . ولد في شرخان وانتقل إلى الموصل ، ثم إلى خراسان ، فبيت المقدس ، حيث ولي التدريس في الصلاحية ، وانتقل لدمشق فولاه الملك الأشرف تدريس دار الحديث . له كتاب « معرفة أنواع علم الحديث » و « الأمالي » و « الفتاوي » . « الأعلام 207/4 » .

ابن أحمد القسطلاني[1] شيخ الكاملية ، وصنف كتاباً في التحذير من الاتحادية، والثلاثة شافعيون .

والإمام جمال الدين أبو عمرو عثمان بن الحاجب المالكي[2] ، والعلامة القاضي نجم الدين أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي[3] ، نزيل القاهرة ، أدرك من حياة ابن الفارض ثلاثين سنة ، وصنّف كتاباً حافلاً في الرّدّ عليه في تائيته ، بلغ النهاية في الجودة .

والعلامة أبو علي عمر بن خليل السّكوني[4] المالكي . ومن بعدهم الإمام قاضي

---

(1) قطب الدين : محمد بن أحمد بن علي القيسي الشاطبي ، أبو بكر ، قطب الدين التوزري القسطلاني : عالم بالحديث ورجاله ، أصله من توزر بإفريقية ، ومولده بمصر ، ومنشأه بمكة . ارتحل إلى بغداد والشام وأخذ عن علمائها ، تولى مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة إلى أن توفي . له : « الإفصاح عن المعجم من الغامض والمبهم » وهو في أسانيد رجال الحديث ، و « اقتداء الغافل باهتداء العاقل » . « الأعلام 323/5 » .

(2) ابن الحاجب : عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب: فقيه مالكي ، من كبار العلماء بالعربية ، كردي الأصل ، ولد في أسنا « من صعيد مصر » ، ونشأ في القاهرة ، وسكن دمشق ، ومات بالإسكندرية . كان والده حاجباً ، فعرف به . من تصانيفه : « الكافية » و « الشافية » و « منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل » . « الأعلام 211/4 » .

(3) ابن حمدان : أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النميري الحرانيّ ، أبو عبد الله : فقيه حنبلي أديب . ولد ونشأ بحران ، ورحل إلى حلب ودمشق ، وولي نيابة القضاء في القاهرة ، فسكنها وأسنّ وكفّ بصره وتوفي بها . من كتبه : « الرعاية الكبرى » و «الرعاية الصغرى » وكلاهما في الفقه . « الأعلام 119/1 » .

(4) السكوني : عمر بن محمد بن حمد بن خليل ، أبو علي ، السكوني : مقرئ ، من فقهاء المالكية . إشبيلي نزل بتونس . له كتب منها : « كتاب الأربعين مسألة في أصول الدين على مذهب أهل السنة » و « لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام » . « الأعلام 63/5 ».

القضاة تقي الدين بن دقيق العيد[1] القائل قبيل موته : لي أربعون سنة ما تكلمت بكلمة إلا أعددت لها بين يدي اللّه جواباً . وقاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن
6 ابن بنت الأعزّ[2] ، والإمام زين الدين عمر الكتاني[3] ، /والإمام قاضي القضاة بدر الدين بن جَماعَة[4] الشافعيون .

والعلامة شرف الدين عيسى الزَّواوي[5] المالكي شارح صحيح مسلم ، وقاضي القضاة سعد الدين الحارثي الحنبلي[6] وقاضي القضاة علاّمة زمانه تقي الدين

---

(1) ابن دقيق العيد : محمد بن علي بن وهب بن مطيع ، أبو الفتح ، تقي الدين القشيري ، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد : قاض ، من أكابر العلماء بالأصول ، مجتهد . أصل والده من منفلوط المصرية . تعلم بدمشق والإسكندرية والقاهرة . ولي قضاء الديار المصرية . له تصانيف منها : « إحكام الأحكام » و « الإلمام بأحاديث الأحكام » . كان مليحاً مع غزارة علمه ، وله أشعار وملح وأخبار . « الأعلام 283/6 » .

(2) ابن بنت الأعز : عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خليفة العلامي المصري الشافعي : وزير ، فقيه . كان القاضي الأعزّ وزير الملك الكامل بن أيوب ، جدّه لأمه ، فعرف بابن بنت الأعزّ . « الأعلام 315/3 » .

(3) زين الدين الكتاني : لم نجد له خبراً فيما عدنا إليه من مصادرنا القديمة .

(4) ابن جماعة : محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي ، بدر الدين ، أبو عبد الله : قاض ، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين . ولد في حماة ، وولي الحكم والخطابة بالقدس ، ثم القضاء في مصر ، فقضاء الشام . توفي بمصر . له تصانيف منها : « المنهل الروي في الحديث النبويّ » و « كشف المعاني في المتشابه من المثاني » و « مختصر في السيرة النبوية » . « الأعلام 297/5 - 298 » .

(5) الزواوي : عيسى بن مسعود بن منصور الزواوي الحميري المالكي ، شرف الدين : فقيه ، من العلماء بالحديث . من أهل زواوة بالمغرب . تفقه ببجاية والإسكندرية . ذهب إلى مصر ودرس في الأزهر ، وناب في الحكم بدمشق . له عدة تصانيف منها : « شرح جامع الأمهات » و « إكمال الإكمال » . « الأعلام 109/5 » .

(6) الحارثي : مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثي ، سعد الدين ، العراقي ثم =

السُّبْكي[1] ، والحافظ شمس الدين الذهبي ، والحافظ العلامة كمال الدين جعفر الأُدْفُوي[2] الشافعيون .

والعلامة شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حَجَلَة[3] الحنفي ، وصنّف في ذلك فأطنب وأجاد ، وعارض قصائده الكفرية والخلاعية بقصائد نبوية طنّانة ، والحافظ عماد الدين ابن كثير الشافعي ، وغير واحد من مشايخه ، والإمام ابن حبّان[4] ،

- المصري : فقيه حنبلي ، نسبته إلى الحارثية من قرى غربي بغداد . ولد ونشأ بمصر ، سكن دمشق فولي بها مشيخة الحديث النورية ، ثم عاد لمصر . كان سنيًّا أثرياً متمسكاً بالحديث . من كتبه : « شرح المقنع لابن قدامه في الفقه » و « شرح سنن أبي داود » . « الأعلام 216/7 » .

(1) السبكي : علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي ، أبو الحسن ، تقي الدين : شيخ الإسلام في عصره ، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين . ولد في سبك من أعمال المنوفية بمصر . انتقل للقاهرة ، ثم للشام . من كتبه : « الدرّ النظيم » و «السيف المسلول على من سبّ الرسول » و « الابتهاج في شرح المنهاج » . « الأعلام 302/4 » .

(2) الأدفوي : جعفر بن تغلب بن جعفر الأدفوي ، أبو الفضل ، كمال الدين : مؤرخ ، له علم بالأدب والفقه والفرائض . ولد في أدفو « بصعيد مصر » ، تعلم بقوص والقاهرة . توفي بالقاهرة بعد عودته من الحج . « الأعلام 122/2 » .

(3) ابن أبي حجلة : أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني ، أبو العباس ، شهاب الدين ، من أهل تلمسان . سكن دمشق ، وولي مشيخة الصوفية . كان حنيفياً يميل إلى مذهب الحنابلة ، ويكثر من الحطّ على أهل « الوحدة » وخصوصاً ابن الفارض . « الأعلام 268/1 » .

(4) ابن حبّان : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي ، أبو حاتم البُسْتي ، ويقال له : ابن حبّان : مؤرخ ، علامة ، محدث . ولد في بُسْت من بلاد سجستان ، وتنقل في الأقطار ، رحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة . أحد المكثرين من التصنيف . قال عنه ياقوت : أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره . من كتبه : « المسند الصحيح » . « الأعلام 78/6 » .

والعلامة أبو أمامة ابن النّقاش[1] ، والحافظ ضياء الدين المَوْصِلي[2] ، والعلامة شمس الدين العَيْزَري[3] .

وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني[4] الشافعي ، والشيخ شرف الدين يعقوب التّبّاني الحنفي[5] ، والشيخ برهان الدين إبراهيم بن محمد الصفاقسي[6] صاحب إعراب

---

(1) ابن النقاش : محمد بن علي بن عبد الواحد الدكالي ، ثم المصري ، أبو أمامة ، ويقال له : ابن النقاش : واعظ ، مفسر ، فقيه . له : « شرح العمدة » و « الفروق » و « إحكام الأحكام الصادرة بين شفتي سيد الأنام » . مات بالقاهرة . « الأعلام 286/6 » .

(2) الموصلي : عمر بن بدر بن سعيد الوراني الموصلي ، الحنفي ، ضياء الدين ، أبو حفص : عالم بالحديث . مولده بالموصل ، ووفاته بدمشق . له كتب ، منها : « العقيدة الصحيحة في الموضوعات الصريحة » و « الجمع بين الصحيحين » . « الأعلام 42/5 » .

(3) العيزري : محمد بن محمد بن محمد بن خضر ، من سلالة عروة بن الزبير بن العوام ، من قريش ، شمس الدين العيزري : فقيه شافعي ، من العلماء ، كثير التصانيف . مولده بالقدس ، ومنشأه بالقاهرة ، وإقامته بغزة . من كتبه : « الغياث » و « أدب الفتوى » و « غرائب السير » . « الأعلام 44/7 » .

(4) البلقيني : عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني ، العسقلاني الأصل ، ثم البلقيني المصري الشافعي ، أبو حفص ، سراج الدين : مجتهد ، حافظ للحديث ، من العلماء بالدين. ولد في بلقينة من غربية مصر ، وتعلّم بالقاهرة ، وولي قضاء الشام ، وتوفي بالقاهرة . له الكثير من التصانيف ، منها : « التدريب » و « تصحيح المنهاج » و « الملمات برد المهمات » . « الأعلام 46/5 » .

(5) التبّانيّ : يعقوب بن جلال بن أحمد التباني ، شرف الدين ، رومي الأصل . له علم بفروع الحنفيّة والعقليات . وَلِيَ نظر الكسوة ووكالة بيت المال . مات فجأة . له مؤلفات غير تامة . عرف بالتباني لسكناه بالتبانة خارج القاهرة . « الأعلام 197/8 » .

(6) الصفاقسي : إبراهيم بن محمد الجمل ، أبو إسحاق : عالم بالقراآت ، نحوي من أهل صفاقس . رحل إلى تونس وتفقه بها . له : « نظم جامعة الشتات في عدد الفواصل =

القرآن ، وأخوه شمس الدين محمد ، وقاضي القضاة ولي الدين أبو زرعة أحمد العراقي الشافعي .

ونادرة زمانه علماً وعملاً الشيخ علاء الدين محمد البخاري[1] الحنفي ، وقاضي القضاة شيخ الإسلام حافظ عصره شهاب الدين ابن حجر ، ومحقق زمانه قاضي القضاة شمس الدين محمد بن علي القبابائي[2] .

وشيخ أهل اليمن بدر الدين حسين ابن الأهدل[3] الشريف الصوفي الفقيه الشافعيون . وقاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين البِسَاطي المالكي[4] ، وشرح تائيته وتكفيره له في قوله : [الطويل]

* أُنَزِّه عن دعوى الحلولِ عقيدتي *

- والآيات » وكتاب في « الوقف » . « الأعلام 68/1 » .

(1) محمد البخاري : محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مودود ، شمس الدين الجعفري البخاري : فقيه حنفي ، عالم بالتفسير ، من أهل بخارى . جاور بمكة ، ومات بها ، أو بالمدينة . له كتب منها : « فصل الخطاب لوصل الأحباب » و « الفصول الستة » و « تفسير القرآن » . « الأعلام 44/7 ـ 45 » .

(2) شمس الدين محمد بن علي : لم نجد له خبراً فيما عدنا إليه من مصادرنا القديمة .

(3) ابن الأهدل : حسين بن عبد الرحمن بن محمد الحسيني العلوي الهاشمي ، بدر الدين ، أبو محمد ، والأهدل أحد جدوده : مفتي الديار اليمنية ، واحد علمائها المتفننين . ولد ونشأ في أبيات حسين باليمن ، وانتقل إلى زبيد ، ومنها إلى مكة . أصبح مفتي الديار اليمنية . من تصانيفه : « كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين » . « الأعلام 240/2 » .

(4) البساطي : محمد بن أحمد بن عثمان الطائي البساطي ، أبو عبد الله ، شمس الدين : فقيه مالكي ، من القضاة . ولد في بساط « من الغربية بمصر » . انتقل إلى القاهرة ، فتفقه واشتهر . درّس وناب في الحكم ، ثم تولى القضاء بالديار المصرية . من كتبه : «شفاء الغليل في مختصر الشيخ خليل » و « حاشية على المطول » و « مقدمة في أصول الدين » . « الأعلام 332/5 » .

وقال في تمثيله الاتحاد بالمصروعة والجنّ ، ومَنْ ظنّ هذا برهاناً ، فجنونه أعظم من جنون المتبوعة ، وذلك بعد أن أشار في الخطبة إلى ابن الفارض خارج عن سياج الشرع والعقل والعرف ، وشيخ الإسلام قاضي القضاة سعد الدين ابن الدَّيْري[1] وقاضي القضاة بدر الدين محمود العيني[2] .

6 ب والعلامة /كمال الدين ابن الهُمام[3] الحنفيون ، والشيخ محيى العَجيسي المالكي[4]، والعلامة عز الدين عبد السلام المقدسي[5] شيخ الصلاحية ، والعلامة فقيه زمانه

---

(1) ابن الديري : سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبي بكر بن مصلح ، أبو السعادات، المكنى سعد الدين ، النابلسي الأصل ، المقدسي الحنفي ، نزيل القاهرة المعروف بابن الديري . انتقل إلى مصر ، فولي فيها قضاء الحنفية ، اعتزل بعدها القضاء وتوفي بمصر . من كتبه : « الحبس في التهمة » و « السهام المارقة في كبد الزنادقة » . « الأعلام 87/3 ».

(2) العيني : محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد ، أبو محمد ، بدر الدين العيني الحنفي : مؤرخ، علامة ، من كبار المحدثين . أصله من حلب ومولده في عينتاب . أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس . ولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية . من تصانيفه : « عمدة القارئ في شرح البخاري » و « تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر » و « البناية في شرح الهداية » و « المقاصد النحوية » . « الأعلام 163/7 » .

(3) ابن الهُمام : محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود ، السيواسي ثم الإسكندري كمال الدين ، المعروف بابن الهُمام : إمام ، من علماء الحنفية . عارف بأصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه . من كتبه : « فتح القدير » و « التحرير » و « المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة » . « الأعلام 255/6 » .

(4) العَجيسي : يحيى بن عبد الرحمن بن محمد العَقيلي الزَّرماني العجيسي : عالم بالنحو . من فقهاء المالكية . نسبته إلى عجيس قبيلة من البربر في المغرب . نشأ في بجاية ، ورحل إلى المشرق ، واستقر ودرس ومات بالقاهرة . من كتبه : « شرح ألفية ابن مالك » . « الأعلام 153/8 ».

(5) المقدسي : محمد بن أحمد بن سعيد ، عز الدين المقدسي : فقيه حنبلي ، من القضاة . أصله من بيت المقدس ، انتقل إلى صالحية دمشق ، ثم إلى حلب ، جاور بالمدينة ، وولي قضاء=

تقي الدين أبو بكر قاضي شُهْبَة الدمشقي[1] ، والعلامة علاء الدين القرقشندي[2] ، والشيخ شمس الدين البلاطنسي[3] شيخ الشاميين في زمانه ، والشيخ زين الدين عبد الرحمن السّاوي[4] ، والعلامة شهاب الدين أحمد بن أبي القاسم[5] .

والعلامة زين الدين خطّاب[6] ، والعلامة الصالح كمال الدين ابن إمام الكاملية[7] الشافعيون ، والشيخ أبو القاسم النويري المالكي[8] . وشيخ الإسلام عبد الأول ابن

- الحنابلة بمكة ، من كتبه : « الشافي والكافي » و « سفينة الأبرار » . « الأعلام 332/5 ».

(1) ابن قاضي شُهْبَة : أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي ، تقي الدين : فقيه الشام في عصره ومؤرخها وعالمها ، من أهل دمشق . اشتهر بابن قاضي شهبة لأن أبا جدّه ـ نجم الدين عمر الأسدي ـ أقام قاضياً بشهبة ، من قرى حوران أربعين سنة . من تصانيفه : « الإعلام بتاريخ الإسلام » و « المنتقى من تاريخ الإسلام للذهبي » . « الأعلام 61/2 » .

(2) علاء الدين القرقشندي : لم نجد له خبراً فيما عدنا إليه من مصادرنا القديمة .

(3) شمس الدين البلاطنسي : لم نجد له خبراً فيما عدنا إليه من مصادرنا القديمة .

(4) ابن سهلان السّاوي : عمر بن سهلان الساوي ، زين الدين : فيلسوف ، يعرف بالقاضي الساوي . من أهل ساوة ـ بين الري وهمدان ـ استوطن نيسابور وتعلم بها . من كتبه : «البصائر النصيرية » أحرقت تصانيفه بعد موته . « الأعلام 47/5 » .

(5) الإخميمي : أحمد بن أبي القاسم بن سعيد ، شهاب الدين ، الإخميمي المصري : فاضل . قال ابن قاضي شهبة : أخذ عن الميدومي وجمال الدين الإسنومي . توفي بالقاهرة . له عدة تصانيف . « الأعلام 198/1 » .

(6) زين الدين خطّاب : لم نجد له خبراً فيما عدنا إليه من مصادرنا القديمة .

(7) ابن إمام الكاملية : محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي ، أبو عبد الله ، كمال الدين ابن إمام الكاملية : فقيه شافعي ، من أهل القاهرة . كان يلي إمامة مدرسة الكاملية كأبيه . له كتب منها : « طبقات الأشاعرة » و « اختصار تفسير البيضاوي » و « شرح مختصر ابن الحاجب » . « الأعلام 48/7 » .

(8) النويري : محمد بن محمد بن محمد ، أبو القاسم ، محب الدين النويري : فقيه مالكي عالم=

صاحب الهداية السمرقندي الحنفي[1] ، فهولاء نيّف وأربعون إماماً شهدوا بكفره . وقد ذكرت المستند في عزو هذا القول إلى هؤلاء الجماعة في آخر كتابي : « الفارض لتكفير ابن الفارض » .

وهذا بعد شهادته هو على نفسه ، وشهادة شُرّاح تائيته عليه بأن جميع أهل زمانه من أهل الطريقة والشريعة رموه بالكفر والفسق والزندقة ورذّلوه وأهانوه ، وذلك في شرح قوله : [الطويل]

وخلعُ عَذارِي فيك فَرْضي وإنْ أَبى اقْـ ... ـتـرابيَ قومي والـخلاعـةُ سُنّتـي
ولَيْسُوا بقومي ما اسْتَعابُوا تَهتكي ... وأَبْدُوا قِلًى واستحسنوا فيكِ جَفْوتي[2]
وأَهْلِيَ في دينِ الـهَوَى أهـلُـهُ وقَدْ ... رضوا لِيَ عاري واسْتطابوا فَضِيْحَتِي
فَمَنْ شاءَ فَليغضبْ سواك فَلا أَذًى ... إذا رَضِيَتْ عَنّي كرامُ عَشِيْرَتي
دَلَلْتُ بِها في الـحيِّ حتّى وجدتني ... وأَدْنَى مقالٍ عـنـدهُـمْ فوقَ هِـمَّتِي
وأَحْملنِي وَهْناً خضوعِي لَهم فَلَمْ ... يَرونِي هَوَاناً بِي مُـخِّلاً لـخدمةِ[3]
ومن درجات العِزِّ أمسيتُ مـخـلـداً ... إلى دركاتِ الذُّلِّ مِنْ بعدِ نَـجْـوَتي

- بالقراآت . ولد في الميمون ـ من قرى صعيد مصر ـ تعلم بالقاهرة ، حجّ مراراً ، وأقام بغزة والقدس ودمشق ، توفي بمكة . لـه تصانيف ، منهـا : « شرح المقدمات الكافية في النحو والصرف والعروض والقافية » و « الغياث » و « شرح الدرة المضية » . « الأعلام 47/7 ».

(1) السمرقندي : محمد بن يوسف بن محمد بن علي بن محمد العلوي الحسني أبو القاسم ، ناصر الدين ، المدني السمرقندي : فقيه حنفي ، عالم بالتفسير والحديث والوعظ ، من أهل سمرقند . حج وبعد عودته أقام ببغداد . لـه تصانيف : « الفقه النافع » و « جامع الفتاوى » . « الأعلام 149/7 » .

(2) القلى : البغض والكراهية .

(3) الوهن : الضعف .

فلا باب يخشَى ولا جاه يُرتَجى ولا جارٍ لِي يَحْمِي لِفَقْد حَمِيَّتي

7 / كأنْ لَم أكُنْ فيهم خطيراً ولَم أزل لَدَيْهِمْ حَقِيراً في رَخائِي وشدَّتِي

فلما قال هذا المفتي بكفر هذا الذي كلامه ظاهر في الكفر ، وقد كفّره هؤلاء العلماء الذين هم أعلام الشريعة ، وشهد هو على نفسه بأن أهل زمانه أهانوه بسبب هذا الاعتقاد الخبيث غاية الإهانة .

ورموه من قوسٍ واحدة قامت لذلك القيامة وكثرت للقائل بتكفيره الملامة مع قوله : إن المراد إنما هو التحذير من كلامه هذا الذي هو ظاهر في الكفر ، ومنابذ للشريعة ، وهادم لها ، وإعذامه[1] من بين الناس ، فإنه يثير الفتن ويدعو إلى الضلال وسائر أنواع الخلاعة والخبال[2] .

فليس لإبقائه فائدة واحدة ، وفي إعذامه فوائد ، وفي التعصب له غوائل قواتل :

الأولى : الانتصار للبدعة .

الثانية : إثارة الفتنة بين المسلمين من غير داعٍ شرعي .

الثالثة : إثبات ما يشوش عقائد المسلمين .

الرابعة : الاستهانة بإطلاق الألفاظ القبيحة في الشرع .

الخامسة : تجربة أهل الضلال على أن يفعلوا مثل فعله . ويطلقوا من الكلام مثل إطلاقه ، فيعظم الخطب[3] بالجسارة[4] على انتهاك حرمة الشرع .

السادسة : إضعاف أهل السنة بإيقاد نار الفتنة .

السابعة : وسم الإنسان نفسه بالمحاماة لأهل الإلحاد وتعريضها لذم أهل السنة له

---

(1) الإعذام : اللوم والعتاب .

(2) الخبال : الفساد والجنون .

(3) الخطب : المصيبة الجلل .

(4) الجسارة : المضي والنفاذ في الأمر .

على طول الآباد .

إلى غير ذلك من الآفات والأمور المعضلات ، وللكلام فيه والتحذير منه فوائد جلائل :

الأولى : بيان الأمر على ما هو عليه ، وتمييز الحق من الباطل من غير ضررٍ يلحق به في الدنيا ، ولا في الآخرة ، وذلك من أعظم مقاصد العقلاء .

الثانية : السلامة من خطر المخالفة للآيات والأحاديث المحذرة من كتمان العلم، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الثالثة : حيازة /الثواب الموعود على ذلك ، لأنّا مكلفون بالحكم على الظاهر ، واللّه متولي السرائر . 7/ب

الرابعة : إصلاح ذات البين[1] .

الخامسة : إزالة ما يشوّش العقائد ، ويجلب المفاسد .

السادسة : تقوية أهل الإسلام الناصرين لسنة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام .

السابعة : قمع أهل الفساد وإذلال المتلبسين بالعناد .

الثامنة : اتباع سبيل المؤمنين والكون في حزب اللّه ورسوله ، وسائر النبيين صلى اللّه عليهم وسلم أجمعين .

التاسعة : الإبعاد عن حمى ربّ العباد بالتّنزه عن الشبهات والمجانبة للملبسات .

العاشرة : إقامة البرهان على ما يدّعيه الإنسان من تلبّسه بالإيمان على ما أشار عليه قوله تعالى : ﴿ الم ، أَحَسِبَ الناسُ أنْ يُتركُوا أنْ يقولوا آمنّا وهُمْ لا يُفْتَنونَ ولقد فَتَنّا الذينَ من قَبْلِهم فليعلمنَّ اللّهُ الذين صَدَقُوا وليعلمنّ الكاذبينَ ﴾[2] .

---

(1) البين : الوصل .

(2) سورة العنكبوت : 2/29 ـ 3 .

في أمثال ذلك من الآيات البيِّنات ، وهي كثيرات ، ومن لم يرهب من هذه المفاسد ، ويرغب في هذه الفوائد ، فقد هان عنده ما يدّعيه من إيمانه ، وبان أنه لا رجاء له في أمانه يوم حشره من رقيبه وديّانه .

فقد بان أن العلماء شاهدون بخبث هذا المستفتى عنه ، وكفره ، وكلامه واضح الدلالة على قبيح أمره ، فليس في الانتصار له فائدة ، وفي إعدام كلامه المصلحة العظيمة الزائدة الجليلة الأمر والفائدة .

ومع ذلك فأكثر المحامون له من هجاء الناقل لكفره بالأشعار ، وأوسقوه أذًى ، وأفحشوا في الانتصار ، فقال لهم : إنما أريد بهذا نصرة الدين ، وتأييد سيد الأولين الآتي لمحق الشرك والمشركين .

ولا شك أن من أُذِي من هذا حاله لأجل نصرة الدين ، فهو كافر . وقال في ذلك: [الوافر]

نَصَرْنا سُنَّةَ المختار حقًّا فهاجينا لذاك الأمرِ كافِرُ[1]

8 / ورامُوا نصرَ شاعِرِهِمْ فخابُوا وضلَّلَ سَعْيَهُمْ فِي نصرِ شاعِرُ[2]

ولقد زاد هؤلاء على من بيّن اللّه حالهم بقوله : ﴿ وإذا قِيْلَ لهم تَعالَوا إلى ما أَنْزلَ اللّهُ وإلى الرّسولِ قالوا حَسْبُنا ما وجدنا عليه آباءَنا أَوَ لَو كان آباؤُهُمْ لا يعلمونَ شيئاً ولا يهتدونَ ﴾[3] .

إنهم إذا قيل لهم هذه كتب سلفكم من العلماء لا يلتفون ، بل يقنعون بما استقرّ في أنفسهم من قبل ذلك من الظنون ، فإنا للّه وإنّا إليه راجعون .

ثم بعد المحاولات والمصاولات والمجاولات والمماحلات وتصنيف المصنفات وإكثار

---

(1) المختار : أراد الرسول الكريم صلوات اللّه عليه .

(2) راموا : أرادوا وطلبوا .

(3) سورة المائدة : 104/5 .

المؤلفات ، صار أحقّهم أمراً ، وأسلمهم منذراً الذي يقول : أليس قد ثبت إسلامه أو يقول : أنا لا أفهم كلامه مؤولٌ ، أو يقول : أنا لا أجرّب في نفسي ، فإن هؤلاء قوم لهم أحوال مع اللّه ، مَنْ تكلم فيهم عطب ، أو يقول : من قال إن هذا كلامه حتى يثبت .

وكل هذه الأقوال الباطلة مسلّمة كما تراها أن ظاهر الكلام منكرٌ ، فيلزم قائلها أن يعين من ينهى عن المنكر على إعذامه[1] من بين المسلمين بالقتل أو الإحراق ، كما فعل العلماء ، أو غير ذلك من أنواع العذم ، فإن كل ما ظاهرة منكر ، يشوّش على المسلم وجوده بينهم .

وكل ما يشوّش أمرهم تجب إزالته ، ومَنْ تخلّف عن المساعدة في ذلك دَلَّ كلفه على كذبه ، فيما قال ، وعلى سوء طويته ، وأنه يعتقد ظاهر ذلك الكلامَ ، ولكنه لا يقدر على إظهار اعتقاده ، فهو يتستر بمثل هذه الخرافات . هذا حال أقوالهم إجمالاً .

وأما التفصيل ، فمن قال : أليس قد ثبت إسلامه ، فجوابه : إن النزاع إنما هو في الولاية ، لا في مطلق الإسلام ، وإلا لما حصل النزاع والخصام ، ولو أراد أن يذكر أحداً من أهل عصره ، وصفه بالعدالة ، فضلاً عن الولاية ، ما وجد إلى ذلك سبيلاً .

على أنّا لو فرضنا /مرمى كلامه ، أنه وحده كان الخارج مقدماً ، ولو كان أقلّ 8/ب
فضلاً عن أن يكون الخارجون من ذكرناهم ، والمعدل لم يوجد .

وأما السيد ورقة ﷺ ، فقد علمت من نقل إسلامه على وجه الإجمال ، وسيعرف ذلك على سبيل التفصيل ، فهل التوقف عن مدح هذا ، وذمّ ذاك ، إلا مجرد هوًى ليس له دواء .

---

(1) إعذامه : قطعه واستئصاله .

وأما من يقول : أنا ساكت لا يلزمني الكلام ، فما درى أنه ملزم بأنه يعرف الوليّ فيواليه ، والعدو فيعاديه ، وما علم أن داءه من هنا أتى ، فإن من لم يحفظ الصحة أقحمت عليه الأدواء ، وهي لازمة وملحّة . وقد ورد في الأثر أنه ما أحيا أحدٌ بدعة إلا أمات سُنّة .

وأما من يقول : إنه مسلم فإن التسليم أسلم ، فإنه ما شعر أن التسليم لأهل الفساد هدمٌ للدين ، ونبذٌ لسنّةِ سيّد المرسلين .

وأما من يقول : أنا لا أفهم كلامه ، فإنك تجده ، إذا ذكر كلام اللّه أول متصدٍّ للبحث فيه ، والادّعاء للسبق في جميع معانيه ، فقد فضّل شعره الخبيث المتناقض ، كما بيّنته في كتابي : « الفارض لتكفير ابن الفارض » على الكتاب المعجز .

ومن يقول كلامه مؤول فقد سلّم أنه كفرٌ وتأييد ما تقرر من أن تأويل الكفر كفرٌ . ونابذ ما تقرّر من أن تأويل الكفر كفر ، لأنه لعب في الدين ، كما قال أهل الأصول إلا لدليلٍ دلّنا عليه ، واضطرّنا إليه ، ولا دليل في أمره لأنه ليس له كلام مأثور عنه تردّ حاله إليه إلا ديوانه الخبيث الذي هو بين كفر وضلالة وخلاعة وبطالة . فلا أعجب من حال هذا إن نطق بالكفر من حكم العلماء بكفره أوّل له ما لا يسوغ تأويله ، ليبقى الكفر بين المسلمين .

وإن جاء بالتصديق فصدّق أول كلامه ، ليحكم عليه بالكفر الذي كان مجانباً
9 له قبل ذلك ، وساعياً جهده في تجنب المهالك /فهل سمعت لمن يعمى أشد من هذا العمى الذي تكاد تنشق منه الأرض ، وتنهدّ السماء ، فصار أمرهم دائراً مع الهوى الذي من شأنه أن يقود النفس إلى شهواتها التي يزينها لها الشيطان .

و لم يزالوا يتمادون مع الهوى إلى أن صارت لهم فيه ملكة ، فأعماهم عن أسرار قوله تعالى : ﴿ ولا تَتّبعِ الهوى فَيُضِلّكَ عن سبيل اللّه ﴾[1] .

فاستهانوا قوله : ﴿ إنَّ الذين يَضِلُّون عَنْ سبيلِ اللّهِ لهم عَذابٌ شديدٌ بما نَسُوا

---

(1) سورة ص : 26/38 .

يومَ الحساب ﴾[1] .

ومَنْ يقولُ : أنا لا أجرّب بالكلام فيه في نفسي ، فإن مَنْ تكلم فيه عطب ، فيكفيهم دليلاً على كذبهم ، وسوء اعتقادهم ، مشاهدتهم سلامة المتكلم فيه ، وعطب المحامي له ، والساكت عنه ، على أن ذلك لا عبرة به بوجهٍ ، فإن مبنى الأمر بالمعروف على الصبر على المصائب .

وأما من يقول حتى يثبت أن هذا كلامه فقد سلّم أنه مما يتبرأ منه ، وجهل الطرق التي يثبت بها الكلام عمن تكلم به .

وقد استوفيت ذلك في كتابي : « الفارض لتكفير ابن الفارض » ، وهذا كله تسليم للمدعي ، وَحَيدَهُ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونسيان للآيات البينات ، وللأحاديث الواضحات .

قال اللّه تعالى : ﴿ ولتكُنْ منكم أمّةٌ يدعونَ إلى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروف وينْهَون عن المنكرِ وأولئك هُمُ المفلحونَ ولا تكُونُوا كالذينَ تفرّقوا واختلَفُوا مِنْ بَعْد ما جاءَهُمْ البيناتُ وأولئكَ لهم عذابٌ عظيمٌ ﴾[2] .

﴿ يا أيُها الذين آمنوا لا تَتّخِذوا بِطانَةً من دونكم لا يَألُونَكُمْ خَبالاً ودُّوا ما عَنِتُّم قد بدتِ البغضاءُ مِنْ أفواهِهِمْ وما تُخْفي صدورُهُمْ أكبرُ ، قد بيَّنّا لكُمُ الآياتِ إنْ كُنتُمْ تَعقلونَ ﴾[3] .

﴿ إنْ تَمْسَسْكُم حَسَنَةٌ تَسوؤُهُمْ وإنْ تُصِبْكُم سَيِّئَةٌ يَفْرحُوا بها وإنْ تَصْبِروا وتتّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كيدُهم شيئاً إنّ اللّهَ بما يَعلمونَ مُحيطٌ ﴾[4] .

---

(1) سورة ص : 26/38 .

(2) سورة آل عمران : 104/3 .

(3) سورة آل عمران : 118/3 .

(4) سورة آل عمران : 120/3 .

9 ب

وإذا ﴿ قِيلَ لَهُمْ تَعالَوا قاتِلُوا في سبيل اللّه أوِ ادْفَعوا /قالوا لو نَعلمُ قتالاً لاتّبعناكم هم للكفر يومئذٍ أقربُ مِنْهُمْ للإيمان يقولونَ بأفواهِهِمْ ما ليسَ في قلوبهِمْ واللّه أعلم بما يكتُمونَ الذين قالُوا لإخوانِهِمْ وقَعَدُوا لو أطاعُونا ما قُتِلوا قُلْ فادرَؤُوا عن أنفسكُمْ الموتَ إنْ كنتمْ صادقينَ ﴾[1] .

وتجد أحقهم الذي يخذل ، بل يقبّح على مَنْ ينهى عن المنكر حاله ، ويفيّل رأيه ناسياً قوله تعالى : ﴿ الذين قال لَهُمُ الناسُ إنَّ الناسَ قدْ جمعُوا لكم فاخْشَوْهُمْ فزادَهُمْ إيماناً وقالُوا حَسْبُنا اللّهُ ونِعْمَ الوكيلُ فانقلَبُوا بنعمةٍ مِنَ اللّهِ وفضلٍ لم يَمْسَسهم سوءٌ واتّبعُوا رِضوانَ اللّه واللّه ذو فَضْلٍ عَظيمٍ ﴾[2] .

وإذا أصابَ أحدهم أدنى مصيبةٍ ، فقيل له : هذا بكلامك في فلان ، إن كان ساعد في الخير بكلمة انخلع قلبه وارتدّ على عقبه ناسياً قوله تعالى : ﴿ لتَبْلُوَنّ في أموالكم وأنفسكم ولتَسْمَعُنَّ من الذين أوتُوا الكتابَ مِنْ قبلكُمْ ومِنَ الذين أشْرَكُوا أذًى كثيراً وإنْ تَصْبِرُوا وتَتّقُوا فإنَّ ذلكَ مِنْ عَزْمِ الأمورِ ﴾[3] .

في أمثالها من الآيات والأحاديث المعلمة ، بأنه مبنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الأذى العظيم : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تَتّخِذوا الكافرينَ أولياءَ مِنْ دُونِ المؤمنينَ أتريدونَ أنْ تجعَلُوا للّه عليكُمْ سُلطاناً مُبيناً ﴾[4] .

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تتّخِذُوا اليهودَ والنّصارى أولياءَ بَعْضُهُمْ أولياءُ بعضٍ ومَنْ يَتَوَلّهُمْ منكم فإنّه منهم إنّ اللّه لا يَهْدِي القومَ الظالمين فَتَرَى الذين في قلوبهم مَرَضٌ يسارعون فيهم يقولونَ نَخْشَى أنْ تُصيبنا دائرةٌ فعسى اللّه أنْ يأتيَ بالفتحِ أو أمرٍ من عندهِ فَيُصْبِحُوا على ما أسرّوا في أنفسِهِمْ نَادِمينَ ﴾[5] .

---

(1) سورة آل عمران : 167/3 .

(2) سورة آل عمران : 173/3 - 174 .

(3) سورة آل عمران : 186/3 .

(4) سورة النساء : 144/4 .

(5) سورة المائدة : 51/5 .

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا مَنْ يرتدَّ منكُمْ عَنْ دِينِهِ فسوفَ يأتِي اللّهُ بقومٍ يحبُّهُمْ ويحبُّونَهُ أذلّةٍ على المؤمنينَ أعزَّةٍ على الكافرينَ يجاهدونَ في سبيلِ اللّهِ ولا يخافونَ لومةَ لائمٍ ذلكَ فَضْلُ اللّه يُؤتِيه مَنْ يشاءُ واللّهُ واسعٌ عليمٌ /إنّما وليُّكُمُ اللّهُ ورسولُهُ والذين آمنُوا الذينَ يُقيمونَ الصلاةَ ويؤتونَ الزّكاةَ وهُمْ راكِعُونَ ومَنْ يتولَّ اللّهَ ورسولَهُ والذينَ آمنوا فإنّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الغالِبونَ ﴾[1] .

﴿ تَرَى كثيراً منهم يَتولون الذينَ كَفَروا لبئسَ ما قدّمَتْ لهم أنْفُسُهُمْ أنْ سَخِطَ اللّهُ عليهِمْ وفي العذابِ هُمْ خالدونَ ولَوْ كانوا يؤمنون باللّهِ والنبيِّ وما أُنزِلَ إليه ما اتّخذوهم أولياءَ ولكنَّ كثيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[2] .

﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا أطِيْعُوا اللّهَ ورسولَهُ ولا تَوَلّوا عنْهُ وأنتُمْ تَسمعونَ ولا تَكُونُوا كالذينَ قالُوا سَمِعْنا وهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾[3] .

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تخونُوا اللّهَ والرسولَ وتَخُونُوا أماناتِكم وأنتُمْ تَعلمونَ واعلَمُوا أنّما أموالُكُم وأولادُكُم فتنةٌ وأنَّ اللّهَ عندَهُ أجرٌ عظيمٌ ﴾[4].

﴿ والذينَ كَفَروا بعضُهُمْ أولياءُ بَعْضٍ إلاّ تَفْعلُوهُ تَكُنْ فِتنةٌ في الأرضِ وفَسادٌ كَبيرٌ ﴾[5] . أي : إن لم ينصر بعضكم بعضاً كما يفعل الكفار وأهل الفسق ، تكن فتنة ... إلى آخره .

﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا لا تَتّخِذُوا آباءَكُمْ وإخوانَكُمْ أولياءَ إنِ اسْتَحبُّوا الكُفْرَ على الإيمانِ ومَنْ يتولّهم مِنْكُم فأولئكَ هُمُ الظّالمون قُلْ إنْ كانَ آباؤكم وأبناؤُكُمْ

---

(1) سورة المائدة : 5/54 – 56 .

(2) سورة المائدة : 5/80 – 81 .

(3) سورة الأنفال : 8/20 – 21 .

(4) سورة الأنفال : 8/27 – 28 .

(5) سورة الأنفال : 8/73 .

وإخوانُكُمْ وأزواجُكُم وعشيرتُكُمْ وأمْوالٌ اقترفْتموها وتجارةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها ومساكِنُ ترضَوْنَها أحبَّ إليكم من اللّهِ ورسولِهِ وجهادٍ في سبيلِهِ فتربَّصوا حتّى يَأتيَ اللّهُ بأمرِهِ واللّهُ لا يَهْدِي القومَ الفاسقينَ ﴾[1] .

﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا ما لكُمْ إذا قِيلَ لكُمْ انْفِروا في سبيلِ اللّهِ اثّاقَلْتُمْ إلى الأرضِ أرَضِيتمْ بالحياةِ الدّنيا مِنَ الآخرةِ فَما مَتاعُ الحياةِ الدُّنيا في الآخرةِ إلا قليلٌ ﴾[2] .

﴿ ويَحلفونَ باللّهِ إنّهم لمنْكُمْ وما هُمْ مِنْكُمْ ولكنهم قَومٌ يَفْرَقُونَ ﴾[3] .

﴿ يَحلفونَ باللّهِ ما قالُوا ولقَدْ قَالُوا كلمةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بعدَ إسْلامِهِمْ وهَمُّوا بما لَمْ ينالُوا وما نَقَمُوا إلاّ أنْ أغناهم اللّهُ ورسولُهُ منْ فضلِهِ فإنْ يَتُوبوا يَكُ خيراً لَهُمْ وإن يتولَّوا يعذّبهم اللّه عذاباً أليماً في الدُّنيا والآخرةِ وما لهم في الأرضِ مِنْ ولي ولا نصيرٍ ﴾[4] .

﴿ ولَيَحْلِفُنَّ إنْ أردنا إلاّ الحُسْنَى واللّهُ يَشهدُ إنهم لكاذبونَ ﴾[5] .

10/ب ﴿ ومِنَ النّاسِ مَنْ يعبُدُ اللّهَ على حَرفٍ فإنْ أصابَهُ /خَيرٌ اطمأنَّ بهِ وإنْ أصابَتْهُ فِتْنةٌ انقلبَ على وَجْهِهِ خَسِرَ الدّنيا والآخرةَ ذلك هو الخُسرانُ المبينُ ﴾[6] .

﴿ يَدْعُو لمن ضَرُّهُ أقربُ من نَفْعِهِ لبئسَ المولى ولبئسَ العشيرُ ﴾[7] .

﴿ إنَّ اللّهَ يُدافعُ عنِ الذينَ آمنوا إنّ اللّه لا يُحبُّ كُلَّ خوّانٍ كفورٍ أُذنَ للذينَ

---

(1) سورة التوبة : 9/23 - 24 .

(2) سورة التوبة : 9/38 .

(3) سورة التوبة : 9/56 .

(4) سورة التوبة : 9/74 .

(5) سورة التوبة : 9/107 .

(6) سورة الحج : 22/11 .

(7) سورة الحج : 22/13 .

يُقاتلون بأنهم ظُلِمُوا وإنَّ اللّـهَ على نصرهِمْ لَقديرٌ الذينَ أُخْرِجوا مـن ديـارِهِم بغـيرِ حَقٍّ إلاّ أنْ يقولوا ربُّنا اللّـه ولولا دَفعُ اللّـهِ النّـاسَ بعضَهُـم ببعـضٍ لَهُدِّمـت صوامـعُ وبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يذكر فيها اسمُ اللّـهِ كثـيراً ولينصُـرَنَّ اللّـهُ مَـنْ ينصـرُهُ إنّ اللّـهَ لقويٌّ عزيزٌ الذين إنْ مكّنّاهم في الأرض أقـامُوا الصـلاةَ وآتـوا الزكـاةَ وأمـروا بالمعروف ونَهَوا عن المنكر وللّـهِ عاقبةُ الأمورِ ﴾[1] .

﴿ آلم أَحَسِبَ الناسُ أن يُتْرَكُوا أنْ يقولوا آمنّا وهُمْ لا يُفْتَنـون ولقَـدْ فَتَنّـا الذيـن قبلَهُمْ فليعلَمَنَّ اللّـهُ الذين صَدَقُوا وليعلَمَنَّ الكاذبينَ ﴾[2].

﴿ ومنَ الناسِ مَنْ يقولُ آمنا باللّـه فإذا أُوذِيَ في اللّـه جَعَلَ فتنـةَ النـاسِ كعـذَابِ اللّـهِ ولئن جاءَ نَصْرٌ من ربك ليَقُولُنَّ إنّا كُنّا معكم أوَ ليسَ اللّـهُ بأعلمَ بما في صُدُورِ العالمينَ وليعلَمَنَّ اللّـهُ الذينَ آمنوا وليعلَمَنَّ المنافقينَ ﴾[3].

﴿ مَثَلُ الذين اتّخَذوا من دون اللّـهِ أولياءَ كمثلِ العنكبـوتِ اتّخـذَتْ بيتـاً وإنّ أوْهَنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمونَ ﴾[4] .

﴿ ومَنْ لا يُجِب داعيَ اللّـهِ فليس بمعجزٍ في الأرضِ وليـسَ لـهُ مـن دونِـهِ أوليـاءُ أولئكَ في ضَلالٍ مُبينٍ ﴾[5] .

﴿ إنَّ الذين يُحادُّونَ اللّـهَ ورسولَه كُبِتُوا كما كُبِتَ الذين مِنْ قبلِهِمْ وقَـدْ أنزلنـا آياتٍ بيّناتٍ وللكافرينَ عَذابٌ مُهينٌ ﴾[6].

﴿ إنَّ الذين يُحادُّونَ اللّـهَ ورسولَه أولئكَ في الأذلّينَ كَتَبَ اللّـه لأَغْلِبَنَّ أنا وَرُسُلِي

---

(1) سورة الحج : 38/22 - 41 .

(2) سورة العنكبوت : 1/29 - 3 .

(3) سورة العنكبوت : 10/29 - 11 .

(4) سورة العنكبوت : 41/29 .

(5) سورة الأحقاف : 32/46 .

(6) سورة المجادلة : 5/58 .

إن اللّـه قويٌّ عَزيزٌ لا تجدُ قوماً يؤمنونَ باللّـه واليومِ الآخـرِ يـوآدُّونَ مَـنْ حـادَّ اللّـهَ ورسولَه ولو كانُوا آباءَهُم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتَهم أولئك كَتَبَ في
11 قلوبهم الإيمانَ وأيَّدهـم بـروحٍ منـه ويدخِلُهُـمْ /جَنّـاتٍ تَجـري مـن تحتِهـا الأنهـارُ خالدينَ فيها رَضِيَ اللّـهُ عَنهم ورضُوا عنْهُ أولئك حِزبُ اللّـهِ ألا إنّ حزبَ اللّـهِ هُـمُ المفلحونَ ﴾[1] .

﴿ هُوَ الذي أخرجَ الذينَ كَفَروا مِنْ أهلِ الكِتـابِ مِـنْ ديـارِهِمْ لأولِ الحَشْرِ مـا ظَنَنتُمْ أنْ يخرجُوا وظَنّوا أنّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِنَ اللّـهِ فأتاهُمُ اللّـهُ مـنْ حيـثُ لم يَحْتَسِبُوا وقذفَ في قلوبِهِم الرُّعْبَ يُخرِبون بيوتَهم بأيدِيْهِم وأيْدِي المؤمنينَ فاعْتَبِرُوا يا أولي الأبْصارِ ﴾[2].

﴿ يا أيّها الذينَ آمنُوا لا تَتّخذوا عَدُوّي وعَدُوّكم أولياءَ تُلْقُون إليهم بالمودةِ وقد كَفَروا بما جاءَكُمْ مِنَ الحقّ يخرجونَ الرّسولَ وإيّاكُمْ أنْ تؤمنوا باللّـهِ رَبِّكُمْ إنْ كنتُمْ خرجتُمْ جِهاداً في سبيلي وابتغاءَ مَرضاتِي تُسِرُّون إليهم بالمودةِ وأنا أعْلَمُ بما أخفيتُـمْ وما أعلنتم ومَنْ يفعلْهُ منكم فقد ضَلَّ سواءَ السّبيل إنْ يَثْقَفُوكم يكونُوا لكُـمْ أعـداءً ويَبْسُطُوا إليكم أيديَهُمْ وألسنتَهُمْ بالسّوءِ وَوَدُّوا لو تكفُرُونَ لـنْ تنفعَكُـمْ أرحـامُكُمْ ولا أولادُكُمْ يومَ القيامةِ يَفْصِلُ بينكم واللّـه بما تعلمونَ بَصيرٌ قد كانَتْ لكُـمْ أسـوةٌ حسنةٌ في إبراهيمَ والذين مَعَهُ إذْ قالوا لقومِهِمْ إنّا بُرآءُ منكُمْ ومِمـا تَعْبـدُون مِـنْ دُون اللّـهِ كَفَرْنا بكُمْ وبَدَا بيننا وبينكم العداوةَ والبغضاءَ أبداً حتّى تُؤْمنـوا باللّـهِ وحـدَهُ إلاّ قولَ إبراهيمَ لأبيه لأستغفرنَّ لكَ وما أملِكُ للّـه مِنَ اللّـهِ مِـنْ شَـيءٍ ربّنـا عليـك توكلنا وإليكَ أنَبْنا وإليكَ المصيرُ ربّنا لا تجعلنا فِتنةً للذين كَفَرُوا واغْفِرْ لنا ربَّنا إنّـكَ أنتَ العزيزُ الحكيمُ لقد كان لكُمْ فيهم أسـوةٌ حَسَنةٌ لِمَـنْ كـانَ يَرْجُـو اللّـهَ واليـومَ الآخرَ ومَنْ يتولَّ فإن اللّـهَ هو الغنيُّ الحميدُ ﴾[3] .

---

(1) سورة المجادلة : 20/58 - 22 .

(2) سورة الحشر : 2/59 .

(3) سورة الممتحنة : 1/60 - 6 .

هذه الآيات البيِّنات .

وأما الأحاديث القاطعات فكثيرة جداً . منها ما أخرجه مسلم في صحيحه ، عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنهم أن النبي ﷺ ، قال : « مَنْ رأى منكم منكراً فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، /[فإن لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الإيمان] » . 11/ب

وعن ابن عباسٍ رضي اللّه عنهما في قول اللّه ﷻ : ﴿ قُلِ الحمدُ للّهِ وسلامٌ على عبادِهِ الذينَ اصْطَفَى ﴾[1] .

قال أصحاب محمد ﷺ ، وقال السُّدِّي[2] والحسنُ البَصْرِيّ[3] وابنُ عيينة[4] والثّوريّ[5] قال : إنما وضع اللّه ﷻ أصحاب رسوله ﷺ الموضعَ الذي وضعهم فيه بثنائه عليهم في العدالة والدين والأمانة ، لتقوم الحجّة على جميع أهل الملّة بما

---

(1) سورة النمل : 59/27 .

(2) السُّدِّي : إسماعيل بن عبد الرحمن السّدي : تابعي ، حجازي الأصل ، سكن الكوفة . قال فيه ابن تغري بردي : « صاحب التفسير والمغازي والسير ، كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس » . « الأعلام 317/1 » .

(3) الحسن البصري : الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد : تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه ، أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك . ولد بالمدينة ، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب . قال عنه الغزالي : كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء . « الأعلام 226/2 » .

(4) ابن عيينة : لم نجد له خبراً فيما عدنا إليه من مصادرنا القديمة .

(5) الثوري : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، من بني ثور بن عبد مناة ، من مضر ، أبو عبد الله : أمير المؤمنين في الحديث . كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى . ولد ونشأ في الكوفة . له من الكتب : « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » و « الفرائض » . « الأعلام 104/3 » .

أدّوه عن نبيهم ﷺ من فريضة وسنّة ، فـ ﷺ ، ورضيَ اللّـه عنهم أجمعين ، فنعم العون كانوا له على الدين .

وأسند عن أنس رضي الله عنه ، قال : قـال رسـول اللّـه ﷺ : « إنّ مَثَـلَ أصحـابي في أمّتي كالملح في الطعام ، لا يصلح الطعام إلا بالملح » . انتهى .

قلت : فهذا الحديث رواه البغوي في شرح السنة ، وأبـو يعلـى والـبزار . وقـال شيخنا الحافظ شهاب الدين البوصيري[1] ، وله شاهد من حديث سمرة بـن جنـدب رضي اللّـه عنه ، رواه البزار في مسنده ، والطّبَراني[2] في معجمه .

قال ابن عبد البر[3] : « وقد جمع قوم من العلماء في ذلـك كتبـاً صنّفوهـا »[4] ، ثم قال : « وأرجو أن يكون كتابي هذا أكـبر كتبهـم تسـمية ، وأعظمهـا فـائدة ، وأقلّها مؤونة ، على أني لا أدّعي الإحاطة ، بل أعترف بالتقصير الذي هو الأغلـب على الناس »[5] . انتهى كلام ابن عبد البرّ .

---

(1) البوصيري : لعله محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري ، شرف الدين ، أبو عبد الله ، صاحب البردة المشهورة في الرسول الكريم . « الأعلام 139/6 ».

(2) الطبراني : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم : من كبار المحدثين: أصله من طبرية الشام ، وإليها نسبته . ولد بعكا ، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة ، توفي بأصبهان . له ثلاثة معاجم في الحديث ، منهـا : « المعجـم الصغـير » . وله كتب في « التفسير » و « الأوائل » و « دلائل النبوة » . « الأعلام 121/3 » .

(3) ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبـد البر النمـري القرطبي المـالكي ، أبـو عمر : من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ ، أديب ، بحاثة . يقال له : حافظ المغرب : ولـد بقرطبة ، ورحل في شرقي الأندلس وغربها . ولي قضاء لشبونه وشنترين ، وتوفي بشاطبة. من كتبه : « الدرر في اختصار المغازي والسير » و « الاستيعاب في معرفـة الأصحـاب » و « أنس المجالس » . « الأعلام 240/8 » .

(4) الاستيعاب : 19/1 .

(5) الاستيعاب : 20/1 .

وقال شيخنا حافظ عصره شهاب الدين أحمد بن حجر في خطبة كتابه «الإصابة في أسماء الصحابة »[1] . لمّا ذكر مَنْ صنف في أسماء الصحابة . وذكر ابن عبد البرّ ، وسمّي كتابه « الاستيعاب » لظنّه أنه استوعب ما في كتب من قبله ، ومع ذلك ففاته شيء كثير .

وقال شيخنا في الفصل الثالث[2] من الفصول التي قدمها قبل سوق الأسماء ، وهو في بيان حال الصحابة من العدالة ، بعد أن ساق آيات في تفضيلهم أوردها
12 الحافظ أبو بكر الخطيب في كتابه /« الكفاية » ، منها : ﴿ يا أيُّها النبيُّ حَسبُكَ اللّه ومَنِ اتّبَعَكَ من المؤمنين ﴾[3] .

ومنها قوله : ﴿ للفقراء المهاجرينَ الذين أُخرِجُوا مِنْ ديارِهم وأموالهم يَبتغونَ فضلاً من اللّه ورضواناً ويَنصرونَ اللّهَ ورسولَهُ أولئك هُمُ الصّادقونَ والذين تبوّؤا الدارَ والإيمانَ مِنْ قبلهم يُحِبُّون مَنْ هاجر إليهم ولا يجدونَ في صدورهم حاجةً ممّا أوتوا ويُؤْثِرونَ على أنفسهم ولو كان بِهِمْ خصاصةٌ ومَنْ يُوْقَ شُحَّ نفسه فأولئك هُمُ المفلحونَ والذين جاؤُوا مِنْ بعدِهِمْ يقولونَ ربَّنا اغفِرْ لنا ولإخوانِنا الذينَ سَبقونا بالإيمان ولا تجعَلْ في قلوبِنا غِلاًّ للذين آمنوا ربنا إنكَ رؤوفٌ رحيمٌ ﴾[4].

في آيات كثيرة يطولُ إيرادها ، وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها ، وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم ، ولا يحتاج أحدٌ منهم مع تعديل اللّه له إلى تعديل أحد من الخلق .

ثم قال ، ثم روى - يعني الخطيب - في كتابه « الكفاية » بسنده إلى أبي زرعة الرازي ، أنه قال : « إذ ا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول اللّه ﷺ ،

---

(1) الإصابة في تمييز الصحابة : 2/1 .

(2) الإصابة : 7/1 .

(3) سورة الأنفال : 64/8 .

(4) سورة الحشر : 8/59 - 10 .

فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول حقٌّ ، والقرآن حقٌّ ، وما جاء به حقٌّ ، وإنما أدّى لنا ذلك كله الصحابة ﷺ ، وهؤلاء يريدون أن يجرّحوا[1] شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى . وهم زنادقة »[2] . انتهى .

وقال البغوي[3] في تفسيره : قال ابن أبي سليمان : الناس على ثلاثة منازل : الفقراء المهاجرين ، والذين تبؤوا الدار والإيمان ، والذين جاؤوا من بعدهم ، فاجتهد أن لا تكون خارجاً من هذه المنازل .

ثم قال ، قال مالك بن أنس : مَنْ تنقص أحداً من أصحاب رسول اللّه ﷺ ، وكان في قلبه عليهم غِلٌّ[4] ، فليس له حقٌّ في فيء المسلمين . ثم قال : ﴿ ما أفاءَ اللّه على رسوله من أهل القرى ...﴾[5] حتى أتى على هذه الآية . انتهى .

12/ب قال شيخنا والأحاديث الواردة /في تفضيل الصحابة رضي اللّه عنهم كثيرة ، ومن أدَلّها على المقصود ما رواه الترمذي وابن حبّان في صحيحه . قلت والإمام أحمد بن حنبل من حديث عبد اللّه بن معقل ﷺ ، قال : قال رسول اللّه ﷺ : « اللّهُ اللّهُ في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبمحبتي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى اللّه، ومن آذى اللّه فيوشك أن يأخذه » .

وقال أبو محمد ابن حزم : الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً . قال اللّه تعالى :

---

(1) التجريح : النقصان والعيب والفساد .

(2) الزنادقة : جمع زنديق ، وهو الملحد .

(3) البغوي : الحسين بن مسعود بن محمد الفرّاء ، أو ابن الفرّاء ، أبو محمد : فقيه ، محدّث ، مفسّر . نسبته إلى بغا ، من قرى خراسان . له « التهذيب » في فقه الشافعية ، و « شرح السنة » و « الجمع بين الصحيحين » . « الأعلام 259/2 » .

(4) الغلّ : الضغن والحقد والحسد .

(5) سورة الحشر : 7/59 .

﴿ لا يَسْتَوي مِنْكُمْ مَنْ أنفقَ مِنْ قَبلِ الفَتْحِ وقاتَلَ أولئكَ أعظَمُ درجةً مِنَ الذينَ أنفَقُوا مِنْ بَعدُ وقَاتَلُوا وكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الحسنى ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ إنَّ الذينَ سَبَقَتْ لهمُ مِنّا الحُسْنَى أولئكَ عَنْها مُبْعَدونَ ﴾[2] . فثبت أن الجميع من أهل الجنة ، وأنّه لا يدخل أحدٌ منهم النّارَ ، لأنهم المخاطبون بالآية السابقة .

ثم قال شيخنا ، وقد كان تعظيم الصحابة ﷺ ، ولو كان اجتماعهم به ﷺ قليلاً مقرراً عند الخلفاء الراشدين وغيرهم . فمن ذلك ما قرأت في كتاب أخبار الخوارج تأليف محمد بن قدامة المَرْوَزِي[3] ، بخط بعض مَنْ سمع منه في سنة تسع وأربعين ومائتين .

قال : حدثنا علي بن الجعد ، زهير هو الجفعي عن الأسود بن قيس ، عن نبيح العنزي ، قال : كنت عند أبي سعيد الخدري ﷺ ، ثم ساق شيخنا بسنده من جهة يعقوب بن شيبة الفحل إلى نبيح العنزي ، عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

قال : كنّا عنده وهو متّكئ ، فذكرنا علياً ومعاوية ﷺ ، فتناول رجل معاوية ﷺ فاستوى أبو سعيد ﷺ جالساً ، ثم قال : كنّا ننزل رفاقاً مع رسول اللّه ﷺ ،
13 فكنا في رفقة /فيها أبو بكر ﷺ ، فنزلنا على أهل أبيات ، وفيهم امرأة حبلى، ومعنا رجل من أهل البادية .

فقال للمرأة الحبلى : أيسرّكِ أن تلدي غلاماً ، قالت : نعم . قال : إن أعطيتني

---

(1) سورة الحديد : 10/57 .

(2) سورة الأنبياء : 101/21 .

(3) المروزي : محمد بن نصر المروزي ، أبو عبد الله : إمام في الفقه والحديث . كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة فمن بعدهم بالأحكام . ولد ببغداد ، ونشأ بنيسابور ، ورحل رحلة طويلة استوطن بعدها سمرقند ، وتوفي بها . له كتب كثيرة منها : « القسامة » و « المسند » . « الأعلام 125/7 » .

شاة ولدت غلاماً ، فأعطته ، فسجّع لها أسجاعاً ، ثـم عمـد إلى الشـاة ، فذبحهـا ، وطبخها ، وجلسنا نأكل منها ومعنا أبو بكر ﷺ ، فلما علم القصة قام فتقيـأ كـل شيء أكل .

قال : ثم رأيت ذلك البدوي وقد أتى بـه عمـر بـن الخطـاب ﷺ ، وقـد هجـا الأنصار ﷺ ، فقال لهم : لولا أن له صحبة من رسـول اللّـه ﷺ ، مـا أد ري مـا نال فيها لكفيتموه ، لكن له صحبة من رسول اللّه ﷺ ـ لفـظ علـي بـن الجعـد ـ ورجال هذا الحديث ثقات . وقد توقف عمر ﷺ عن معاتبته ، فضلاً عـن معاقبتـه لكونه علم أنه لقي النبي ﷺ .

وفي ذلك أبين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء ، كما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ من قوله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لو أنفق أحدكم مَثَلَ أُحُدٍ ذهباً ، ما أدرك من أحدهم ، ولا نصيفه » .

وتواتر عنه قوله ﷺ : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم » .

وروى البزار في مسنده ، بسند رجال موثوقين ، من حديث سعيد بن المسيب ، عن جابر ﷺ ، قال : قـال رسـول اللّـه ﷺ : « إنَّ اللّـهَ اختـار أصحـابي علـى العالمين ، سوى النبيين والمرسلين » . انتهى كلام شيخنا .

وحديث أبي سعيد ﷺ ، رواه الستة ، ولفظه : « لا تَسبّوا أصحـابي ، فلـو أن أحدكم أنفق ... » .

وعند عبد بن حمد في مسنده : أنفق كل يوم ... الحديث .

قال العلامة شمس الدين البرماوي ، أي : لا يسبّ أحدٌ أصحابي ، لا إن كان منهم ، ولا من غيرهم . ورواه /أبو دواد الطيالسي عن أبي هريـرة ﷺ ، ولفظـه : «لو أنّ لرجل أحداً ذهباً ، فأنفقه في سبيل اللّـهِ ، وفي الأرامل والمساكين والأيتـام ، ليدرك فضلَ رجل من أصحابي ساعة من النهار ، ما أدركه أبداً » .

13/ب

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين رضي اللّـه عنهما ، أنّ النبي ﷺ ، قال : « خير القرون » . وفي روايةٍ : « خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » . وللدارميّ عن عمر ﷺ ، وعبد بن حمد في مسنده ، عن ابنه عبد اللّـه ﷺ ، أن النبي ﷺ ، قال : « أصحابي كالنجوم ، فبأيّهم اقتديتم اهتديتم » .

قال البرماوي في شرح خطبة نظمه في رجال العمدة . وروى أيضاً من حديث جابر ﷺ ، ومن حديث ابن عباس رضي اللّـه عنهما ، وأسانيده كلها ضعيفة ، لكن بعض طرقه يقوّي بعضاً . انتهى . وروى صاحب الفردوس عن أنس ﷺ : أنَّ النبي ﷺ ، قال : « أصحابي بمنزلة النجوم في السماء ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

وأول الحديث : « مهما أوتيتم من كتاب اللّـه ، فالعمل به لا عذر لأحدٍ في تركه » . ورواه أبو يعلى ، وأبو الشيخ عنه ﷺ بلفظٍ : « مثل أصحابي مثل النجوم يهتدي بها ، فإذا غابت تحصروا » .

ويقوّيه حديث مسلم عن أبي موسى ﷺ ، أن النبي ﷺ ، قال : « النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعدُ ، وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي ، أتى أمتي ما يوعدن » .

ثم قال البرماوي ، ما معناه : إن مَنْ أثنى اللّـه عليه بهذا الثناء ، يمتنع أن يكون فاسقاً ، فدلّ بطريق الالتزام على عدالتهم .

14 وقد حكى ابن عبد البر في مقدمة « الاستيعاب » إجماع /أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة ، أن الصحابة ﷺ كلهم عدول . انتهى كلام البرماوي .

قلت : وقوله تعالى : ﴿ أولئك همُ الصادقون ﴾ .

نصٌّ في ذلك .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب[1] في كتابه « الكفاية » : عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل اللّه لهم ، وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم في نص القرآن . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ كنتُمْ خيرَ أمّةٍ أخرجَتْ للنّاسِ ﴾[2] .

وقوله : ﴿ وكذلكَ جَعَلْناكُمْ أمّةً وَسَطاً لتكونُوا شُهداءَ على النّاسِ ويَكونَ الرسولُ عليكُمْ شَهِيداً ﴾[3] .

وهذا اللفظ ، وإن كان عامًّا فالمراد به الخاص ، وقيل : هو وارد في الصحابة ﷺ دون غيرهم . إلى أن قال في آيات يكثر إيرادها ، ويطول تعدادها . ووصف الرسول ﷺ لهم مثل ذلك ، وأطنب في تعظيمهم ، وأحسن الثناء عليهم ، ثم أسند عن عبد اللّه بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ ، قال : « خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » . الحديث .

وعن أبي هريرة ﷺ ، بلفظ : « خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم » .

قال أبو هريرة ﷺ : فلا أدري ذكره مرتين ، أو ثلاثاً . وعن عمران بن حصين رضي اللّه عنهما ، كما مضى .

وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما ، قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مهما أوتيتم من كتاب اللّه ، فالعمل به لا عذر لأحدٍ في تركه ، فإن لم يكن في كتاب ، فسنّةً مني ماضية ، فإن لم تكن سنّة مني ، فما قال أصحابي ، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء ، فأيّها أخذتم به اهتديتم ، واختلاف أصحابي لكم رحمة » . انتهى .

---

(1) الخطيب البغدادي : أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، أبو بكر ، المعروف بالخطيب : أحد الحفاظ المؤرخين المقدّمين . مولده في « غزية » منتصف الطريق بين الكوفة ومكة ، ومنشأه ووفاته ببغداد . له الكثير من المؤلفات أشهرها : « تاريخ بغداد » و « الكفاية في علم الرواية » و « شرف أصحاب الحديث » . « الأعلام 172/1 » .

(2) سورة آل عمران : 110/3 .

(3) سورة البقرة : 143/2 .

وقد تقدم هنا قريباً عن أنسٍ ﷺ ، عن أبي يعلى ، وأبي الشيخ . وقال الخطيب، وعن عمر بن الخطاب ﷺ ، قال : قال رسول اللّه ﷺ : « سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي ، /فأوحى اللّه تعالى إليّ : يا محمد ، إنّ أصحابك 14/ب عندي بمنزلة النجوم في السماء ، فبعضها أضوى من بعضٍ ، فمن أخذ بشيء ممّا هم عليه من اختلافهم ، فهو عندي على هُدًى » . انتهى كلام الخطيب .

والأحاديث في فضائلهم كثيرة ، منها ما روى الإمام أحمد في مسنده ، عن أبي هريرة ﷺ ، قال : سُئِلَ رسول اللّه ﷺ : « أيّ الناس خيرٌ ، قال : أنا والذين معي ، ثم الذين على الأثر ، ثم كأنه رفض مَنْ بقي » . وأصله في الصحيح .

ومنها في خصوص قريش ، ما رواه أحمد وأبو يعلى الموصلي والبزار في مسانيدهم، وابن حبّان في صحيحه عن عثمان بن عفان ﷺ أن النبي ﷺ ، قال : « مَنْ أهان قريشاً ، أهانه اللّه » .

وقال شيخنا الإمام شهاب الدين البوصيري ، وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص ، ﷺ ، رواه الترمذي في جامعه ، وابن أبي عمر ، وأبو بكر بن أبي شيبة في مسنديهما .

وشاهد أيضاً من حديث أنسٍ ﷺ رواه البزار في مسنده والطبراني في الأوسط والكبير . وروى أحمد في مسنده والبزار والطبراني عن إسماعيل بن عبد اللّه بن رفاعة ، يعني ابن رافع العجلاني ﷺ ، أن النبي ﷺ ، قال : « إنّ قريشاً أهل أمانة وصدقٍ فمن بغى لها العوائر أكبّه اللّه في النار لوجهه » .

قال شيخنا البوصيري إن إسناده صحيح . وفي رواية المعجمين الأوسط والأصغر للطبراني ، عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ ، قال : لمّا حضرت النبي ﷺ الوفاة ، قالوا : يا رسول اللّه أوصنا ، أوصنا . قال : « أوصيكم بالسابقين الأولين ، وأبنائهم من بعدهم إن لا تفعلوا ، لا يقبل منكم حرف ولا عدلٌ » . انتهى .

15 وورقة ﷺ /من أكابر قريش[1] ، وهو إن لم يكن رأس السابقين ، فهو من أكابر رؤوسهم المثبتين لغيرهم في أمر الدين ، السّانين سنةً حسنةً في المبادرة إلى التصديق بالحق ، والإذعان للصدق ، فاستحقّ ممن بعده الشكر والمحبة ، والدعاء والثناء من اللّه تعالى ، مضمون ما أوجبه سبحانه على نفسه بوعده الذي لا يبدل فيما رواه مسلم في العلم من صحيحه ، عن جرير ﷺ ، أن النبي ﷺ ، قال : « مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً ، فله أجره ، وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ » .

ومضمون ما روى مسلم أيضاً في الجهاد من صحيحه ، وأبو داؤد والترمذي ، عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ ، أن النبي ﷺ ، قال : « مَنْ دلَّ على خيرٍ ، فله مثل أجر فاعله » .

فإنه دلَّ على النبي ﷺ ، وبشّر به قبل وجوده ، فكان سبباً في ثبات قدم الصديقة الكبرى خديجة رضي اللّه عنها ، قبل النبوة ، وبعدها ، وثبات غيرها ﷺ أجمعين .

وللطبراني عن ابن عمر رضي اللّه عنهما ، قال : « مَنْ حفظني في أصحابي ، وَرَدَ عليّ حوضي . ومن لم يحفظني في أصحابي ، لم يَرَني إلا من بعيد » .

وله عن أبي سعيد ﷺ ، قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مَنْ سَبَّ أحداً من أصحابي ، فعليه لعنة اللّه ذلة » ، عن ابن عمر وعائشة ﷺ ، عن النبي ﷺ ، قال: « لعن اللّه مَنْ سَبَّ أصحابي » .

وللترمذي والطبراني عن ابن عمر رضي اللّه عنهما ، قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إذا رأيتم الذين يسبّون أصحابي ، فقولوا : لعن اللّه شرّكم » . انتهى .

ومن انتقص أحداً منهم بنوع نقيصة ، كأن نفى صحبته ، فقد سنّه بذلك على

---

(1) الكابر : السيد .

ذلك ما روى البخاري في تفسير « سورة الإخلاص » . عن أبي هريرة ﷺ ، أن
15 النبي ﷺ ، قال /قال اللّه تعالى : « كذّبني ابنُ آدم ، ولم يكن له ذلك ، وشتمني
ب ولم يكن له ذلك . فأمّا تكذيبه إيّاي ، فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته . وأما شتمه إيّاي ، فقوله : اتخذ اللّهُ ولداً ، وأنا الأحد الصمد ، الذي لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » .

وللطبراني عن أبي هريرة ﷺ ، أن النبي ﷺ ، قال : « أحبّ الدين إلى اللّه الحنيفية السمحة » . انتهى .

ولقد أنْفَقَ ورقة ﷺ في مطلبها عمراً نفيساً جليلاً ، ومالاً كثيراً جزيلاً ، فلما وجده لم يتلعثم ، وكان أول مصدقٍ في نفسه ، ومثبت لغيره .

وله أيضاً عن أبي سعيد ﷺ ، أن رسول اللّه ﷺ ، قال : « حُرمات ثلاث مَنْ حفظهنّ حفظ اللّه له أمر دينه ودنياه ، ومَنْ ضيعهنّ لم يحفظ اللّه له شيئاً ، قيل : وما هن يا رسول اللّه ؟ قال : حرمة الإسلام ، وحرمتي ، وحرمة رحمي » .

فمن انتقص ورقة لم يحفظ شيئاً من هذه الحرمات الثلاث . وروى الإمام أحمد عن البراء بن عازب رضي اللّه عنهما ، والطبراني عن عبد اللّه بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ ، قال : « أوثقُ عرى الإسلام الولاية في اللّه ، والبغض في اللّه » .

وورقة ﷺ أحق الناس بالولاية والحبّ ، فإنه زاد على بقية الصحابة ﷺ البشارة بالنبي ﷺ ، والتشوق إلى لقائه ، ونظم الأشعار في ذلك ، بما يرقق ويحزن ويفتت القلب الصافي ، ويجرح الكبد ، ويحبب النواح والعويل على ضياع العمر دون اللقاء ، وفوات النفس قبل الوصول إليه ، والارتقاء .

ولأبي داود في السنة بسندٍ فيه راوٍ لم يُسَمّ ، عن أبي ذرٍ ﷺ ، أن النبي ﷺ ، قال : « أفضل الأعمال الحبّ في اللّه ، والبغض في اللّه » .

16 وللطبراني عن أبي أمامة ﷺ أن /رجلاً قال : ما الإثم يا رسول اللّه ؟ قال : « ما

حاك في صدرك فدعه . قال : فما الإيمان ، قال : مَنْ ساءته سيئة ، فهو مؤمن. ومَنْ سرّته حسنةٌ ، فهو مؤمن » . فيا ليت شعري ألم يورّث هذا الحديث الذي هو في أول البخاري في بدء الوحي شيئاً ؟، يدعو إلى تعظيم السيد ورقة ومحبته ، لأنه صريح في تصديق ﷺ ، في أن الآتي إليه جبريل عليه السَّلام ، أمين اللّه بينه وبين أنبيائه عليهم السَّلام .

وهو أحقّ الصحابة ﷺ بما قال أبو زرعة في الحكم بزندقة مَنِ انتقص أحداً منهم ، فإنه زاد عليهم في الشهادة بالنبوة التثبيت لسائر مَنْ عداه من خديجة ، وأبي بكر رضي اللّه عنهما ، وغيرهما ، بما آتاه اللّه من العلم ، وهو أحق الناس بالأحاديث الواردة في بشارة أهل العلم ، فإن له في الاجتهاد في طلب العلم المنجي، ما لم يشاركه أحدٌ من أهل ذلك الزمان فيه سوى زيد بن عمرو .

وقد روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبّان في صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما . عن أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مَنْ سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهَّل اللّه له به طريقاً إلى الجنة » .

وروى أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبّان في صحيحه والبيهقي ، عن أبي الدرداء ﷺ ، قال : سمعت رسول اللّه ﷺ ، يقول : « مَنْ سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهّل اللّه له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رِضًى بما يصنع . وإن العالم ليستغفر له من في السموات ، ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء » .

وفضل العالم على الفاسد ، كفضل القمر على سائر الكواكب . وأن العلماء ورثة الأنبياء ، لم يورثوا ديناراً ، ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم ، فَمَنْ أخذه أخذ بحظٍّ وافر .

16/ب وروى الترمذي /وصححه ابن ماجة واللفظ له ، وابن حبّان في صحيحه . والحاكم.

وقال : صحيح الإسناد عن صفوان بن عسّال المرادي ﷺ ، أن النبي ﷺ ، قال : « ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رِضًى بما يصنع » .

وروى الإمام أحمد في كتاب « الزهد » ، عن أبي الدرداء ﷺ ، قال : إن مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء ، إذا ظهرت ساروا بها ، وإذا توارت عنهم تاهوا . هذا ما تيسّر إثباته من الأمر بتعظيم الصحابة ﷺ ، الموجب لتعظيم ورقة ﷺ .

ومن المهم جداً التعريف بأن التالين لرتبتهم من أهل العلم ، هم أهل الحديث . روى الطبراني عن ابن عباس رضي اللّه عنهما أن النبي ﷺ ، قال : « اللّهم ارحم خلفائي ، قال : قلنا : يا رسول اللّه ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدي، يروون أحاديثي وسنّتي ويعلمونها الناس » .

وروى الترمذي في « الفتن » من جامعه ، وقال : حسن صحيح ، عن معاوية ابن قرة ، عن أبيه ﷺ ، أن النبي ﷺ ، قال : « إذا فَسَدَ أهل الشام ، فلا خير فيكم ، ولا تزال طائفة من أمتي منصورين ، لا يضرّهم مَنْ خذلهم حتى تقوم الساعة » .

قال الترمذي ، قال محمد بن إسماعيل ، قال علي بن المديني : هم أصحاب الحديث . وقال شيخنا الحافظ أبو الفضل ابن حجر ، في الفصل الخامس من الباب الثاني من ترجمة الشافعي ، قال البُوَيْطي[1] : سمعت الشافعي يقول : عليكم بأصحاب الحديث ، فإنهم أكثر صواباً من غيرهم .

---

(1) البويطي : يوسف بن يحيى القرشي ، أبو يعقوب البويطي ، صاحب الإمام الشافعي ، وواسطة عقد جماعته . قام مقامه في الدرس والإفتاء بعد وفاته . وهو من أهل مصر ، نسبته إلى بويط ـ من أعمال الصعيد الأدنى ـ مات في سجنه في بغداد في قضية خلق القرآن . له : « المختصر في الفقه » اقتبسه من كلام الشافعي . « الأعلام 257/8 » .

وقال الشافعي : إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث ، فكأنما رأيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ، جزاهم اللّه خيراً ، هم حفظوا لنا الأصل ، فلهم علينا الفضل. انتهى .

17 وقال اللّه تعالى : ﴿ والذينَ جَاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنا وإنَّ اللّهَ /لمعَ المحسنينَ ﴾[1] . وقال : ﴿ والذينَ قُتِلُوا في سبيلِ اللّهِ فلنْ يُضِلَّ أعمالَهمْ سَيَهْدِيهِمْ ويُصْلِحُ بالَهم ﴾[2] .

فقد بان الأمر غاية البيان ، ولم يبقَ لأحدٍ عذر في ترك موالاة اهل الإيمان ، وملاواة ذوي الطغيان .

[الكامل] :

إرْفَعْ ولِيَّ الْمصطفى وَضَعِ العِدَى ... إنْ كنْتَ تؤمنُ بالحسابِ وتتّقي
وانْظُرْ فديتَ بديعَ أمرِ محمّدٍ ... إنْ رُمْتَ إنّك تستريحُ وترتقي
قَدْ جاءَ أهلَ الأرض يدعو وَحْدَه ... فَرَمَوْهُ آفةَ جيكياء مُحرّقِ
فَمَضَى على النُّصْحِ العظيم وربّه ... يكفيهِ منهم كُلَّ أمرٍ معّلقِ
حتّى علا الدينُ القويمُ عليهم ... وتمزّقَ الأبطالُ كُلَّ ممزّقِ

ولما رأيت الجهل عمّ ، والخطب قد ادّلهم ، استفتيت أهل العصر من علماء مصر، فأجمعوا على ذمّ نافيه عن الصحبة ، فأزال اللّه هذه الكربة .

ولم يختلف منهم اثنان بقلمٍ ولا لسانٍ ، فجمعت فتاويهم ، ولمت مناوئهم ، وجعلتها مصنفاً يذكرون به على الدوام ، إلى أن يقوم الناس في يوم الزحام ، وسميته: « إجماع الطبقة المصرية على ترجمة ورقة المرضيّة بالصحبة العليّة » .

---

(1) سورة العنكبوت : 69/29 .

(2) سورة محمد : 4/47 ـ 5 .

وإذ قد تعزّزت هذه المقدمات الموجبة ، لحفظ الحرمات الناهية عما يحلّ النقمات، ويوقع في الذمّ والملامات ، فقد كان الشروع في المقصود بالذات من الأخبار المشتملة على ما أفهم ، ودلّ على توحيد ورقة بن نوفل ، وصحبته لخير نبيّ مرسل ﷺ ، وشرّف وعظّم وكرّم وبجّل زمن ذلك بعض أخبار صديقه وحبيبه ورفيقه زيد بن عمرو بن نفيل ، فإنه رثاه لموافقته له في الدين ، وصرّح بأن قال : ديني دينك .

قال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي في تاريخه ، ذكر زيد بن عمرو بن نفيل ، كان الخطاب والد عمر بن الخطاب عمّه وأخاه لأمه ، قال : وكان /زيد قد ترك عبادة الأوثان ، وفارق دينهم ، وكان لا يأكل إلا ما ذبح على 17/ب
اسم اللّه وحده ، وكان يسجد على راحته ، وكان يصلي إلى الكعبة ، ويقول : إلهي إله إبراهيم ، وديني دين إبراهيم ، وكان يحيى الموؤدة . كما رواه النسائي ، وعلقه البخاري .

وقال يونس بن بُكَيْر ، عن محمد بن إسحاق : وقد كان نفرٌ من قريش[1] : زيد ابن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، وذكر آخرين حضروا قريشاً عن وثنٍ لهم ، كانوا يذبحون عنده لعيدٍ من أعيادهم . فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر ببعض .

وقالوا : تصادقوا ، وليكتم بعضكم على بعضٍ . تعلمون واللّه ما قومكم على شيءٍ : لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، وخالفوه . ما وَثَنٌ يعبدُ لا يضرّ ولا ينفع ، فابتغوا لأنفسكم ، فخرجوا يطلبون في الأرض ، ويسيرون يلتمسون من أهل الكتاب اليهود والنصارى ، والملل كلها ، الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام .

فأما ورقة بن نوفل فتنصر واستحكم في النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها حتى علم علماً كثيراً من علم الكتاب[2] . ولم يكن فيهم أعدل أمراً ، ولا أهدى سبيلاً ،

---

(1) السيرة النبوية : 222/1 - 223 .

(2) السيرة النبوية : 223/1 .

ولا أحسن شأناً من زيد بن عمرو بن نفيل ، اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهودية والنصرانية والملل كلها ، إلا دين الحنيفية ، دين إبراهيم ، يوحّد اللّه ، ويخلع ما دونه ، ولا يأكل ذبائح قومه .

باداهم بالفراق لما هُمْ فيه . قال[1] : وكان الخطاب قد آذاه أذًى كبيراً ، حتى خرج من مكة . زاد الحافظ شرف الدين الدمياطي ، وهو في سيرة ابن إسحاق، فنزل حراء مقابل مكة ، ووكل به الخطاب شباباً من شباب قريش وسفهائهم ، فقال : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سِرًّا منهم ، فإذا علموا به آذنوا
18 به الخطاب ، فأخرجوه وآذوه كراهة أن يفسدَ عليهم دينهم ، وأن /يتابعه أحدٌ على فراقهم .

وقال الإمام أبو عمر بن عبد البر في سيرة له سمّاها : « الدرر في اختصار المغازي والسير » : وكان ورقة بن نوفل بن أسد وزيد بن عمرو بن نفيل ، قد كرها دين قومهما في الجاهلية ، ورغبا عنه قبل أن يبعث اللّه محمداً ﷺ رسولاً ، خرجا من مكة منطلقين إلى الشام يلتمسان العلم والدين ، فلقيا يهوداً ، فعرضوا عليهما دينهم، فأبيا أنْ يدخلا في دين اليهودية .

ثم لقيا نصارى ، فعرضوا عليهما دينهم ، فأما ورقة فتنصر ، وأما زيد فكره النصرانية ، فقال له قائل من رهبان أهل الكتاب : مالك ، ولهذا الدين ، أما ترى صاحبك قد رضي به . قال : إني أكره النصرانية ، فدلني على دين خير منه ، قال له الراهب[2] : لا أعلمه . قال له زيد : فإني أكل أمري إلى الذي خلق الأديان .

قال له : إنك تلتمس ديناً ليس تجده اليوم في الأرض . وقد كان مرة من الدهر، وهو دين إبراهيم عليه السّلام ، فمن أي بلدة أنت ؟ قال من مكة . قال : يوشك أن هذا الأمر الذي تريد ، سيخرج من بلدك . أوْ قد خرج . قال له زيد : فأنا

---

(1) أسد الغابة : 370/2 .

(2) السيرة النبوية : 231/1 .

أذكرك اللّـه ونصرانيتك ومسيحك لما حدثتني بذلك الدين .

قال : هو دين إبراهيم خليل الرحمن . قال له زيد : وما كان دين إبراهيم ؟ قال له الراهب : كان حنيفاً مسلماً ، لا يعبد إلا اللّـه وحده ، وكان يعيب ما يُعْبَد من دون اللّـه ، ويسجد قِبَلَ الكعبة ، ولا يأكل شيئاً ذُبح على الأصنام .

قال زيد بن عمرو : هذا الذي أعرف . ثم قال للراهب ولورقة : أشهدكما أني على دين إبراهيم خليل الرحمن ، وأني مصلٍّ قِبَلَ الكعبة . فانعت يا راهب ، بدينك ، كيف كان يصنع إبراهيم ؟ قال الراهب : دعا إلى اللّـه ، وكذبه قومه ، وألقوه في النار ، فأنجاه اللّه منها ، فخرج /عنهم متوجهاً إلى الشام ، فرزقه اللّـه المال والولد ، وكان يحج إلى الكعبة ويصلي نحوها . 18 ب

قال له زيد : فما منعك ياراهب من دين إبراهيم ؟ قال : أمورٌ ونحن بعد على دين إبراهيم . قال زيد : إني مهاجرٌ إلى دين ربنا ، أسِيْحُ في الأرض ، وأعبد اللّـه، وأصلي قِبل الكعبة حتى أموت على ما مات عليه إبراهيم خليل الرحمن ، فساح في الأرض ، وقال[1] : [الطويل]

وأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ المزْنُ تحملُ عَذْباً زُلالا

ثم قال : وأنزل اللّـه على رسول اللّـه ﷺ الكتاب ، وأسلم سعيد بن زيد رضي

---

(1) بيت من مقطوعة لزيد في السيرة النبوية 231/1 . وتمامها :

وأسلَمْتُ وجهي لـمَنْ أسلَمَتْ ... لَه الأرضُ تَحمِلُ صَخْراً ثِقالا

دحاها فلمّا رآها اسْتَوَتْ ... على الماءِ أرسى عليها الجبالا

وأسلمت وجهي ....

إذا هي سِيْقَتْ إلى بلدةٍ ... أطاعَتْ فصبَّت عليها سِجالا

دحاها ، أي : دحا الأرض . ودحا الأرض : بسطها .

المزن : السحب الماطرة ، الواحدة مزنة .

السجال : جمع سجل ، وهو الدلو المملوءة ماءً ، فاستعارها لكثرة المطر .

اللّـه عنهما ، واتبع رسول اللّـه ﷺ .

وكان عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد بعدما أسلما ، كما روي ، قالا : يا رسول اللّـه : زيد بن عمرو كما قد علمت لمّا عرفك ، وسمع بك ، خرج يريدك ، فمات في الطريق ، ولم يدركك ، أفتصلي عليه ، وتستغفر له ، قال : « نعم ، صلّوا عليه ، واستغفروا له ، فإنه يبعث يوم القيامة أمةً وحده »[1] . انتهى كلام الحافظ أبي عمر .

وإذا كان هذا للذي ما أدرك ! فما ظنّك ممن طلب مثل طلبه ، وأدرك ، وصدّق ﷺ .

وروى البخاري في « المناقب » ، عن ابن عمر : أن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاة خلقها اللّـه ، وأنزل لها من السماء ماءً ، وأنبت لها من الأرض كلأً ، ثم تذبحونها على غير اسم اللّـه إنكاراً لذلك ، وإعظاماً له .

وأسند ابن كثير من عند ابن عساكر ، عن أسماء رضي اللّـه عنها أنها قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل ، وهو مسند ظهره إلى الكعبة ، يقول[2] : يا معشر قريش ، إيّاكم والزنا ، فإنه يورث الفقر .

وقال البخاري ، وقال الليث : كتب إليّ هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء
19 بنت أبي بكر رضي اللّـه عنها ، /قالت[3] : رأيتُ زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة ، يقول : يا معشر قريش واللّـه ما منكم على دين إبراهيم غيري .

وكان يحيى الموؤدة . يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أنا أكفيك

---

(1) في أسد الغابة 269/2 : « إنه يبعث يوم القيامة أمةً واحدة » .

(2) السيرة النبوية : 225/1 ، وأسد الغابة : 370/2 .

(3) السيرة النبوية : 225/1 ، وأسد الغابة : 369/2 - 370 .

مؤونتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت ، قال لأبيها : إنْ شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤونتها .

وعزاه شيخنا الحافظ أبو الفضل بن حجر في ترجمة زيد في القسم الأول من كتابه « الإصابة في أسماء الصحابة » إلى النسائي والبغوي وابن إسحاق ، وكان يقول : اللّهم إني لو أعلم أحبّ الوجوه إليك عبدتك به ، ولكني لا أعلم ، ثم يسجد على راحته .

وقال ابن كثير ، وقال يونس ، عن ابن إسحاق : وكان زيد بن عمرو قد عزم على الخروج من مكة ، يضرب في الأرض ، يطلب الحنيفية ، دين إبراهيم عليه السلام ، فخرج إلى الشام يلتمس ويطلب في أهل الكتاب الأول دين إبراهيم ، ويسأل عنه .

ولم يزل في ذلك فيما يزعمون حتى أتى راهبا الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل حتى أتى الشام ، فجال فيها حتى أتى راهباً ، بميْفعة[1] من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال له الراهب[2] : إنك لتسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم . لقد درس علمه ، وذهب مَنْ كان يعرفه ، ولكنه قد أظلّك خروج نبي ، وهذا زمانه .

زاد الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي[3] : يخرج في بلادك التي خرجت منها ، يبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحق بها ، فإنه مبعوثٌ الآن ، هذا زمانه ، وهو في سيرة ابن إسحاق بنحوه .

---

(1) الميفعة : الأرض المرتفعة .

(2) السيرة النبوية : 231/1 .

(3) الدمياطي : عبد المؤمن بن خلف الدمياطي ، أبو محمد ، شرف الدين : حافظ للحديث ، من أكابر الشافعية . ولد بدمياط ، وتنقل في البلاد ، وتوفي بالقاهرة . كان شديد الحفظ. له الكثير من التصانيف ، منها : « المعجم » و « المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح » . « الأعلام 169/4 » .

19 / ب عاد السياق إلى ابن كثير ؛ قال في روايته[1] : وكان زيد شامّ[2] اليهودية /والنصرانية، فلم يرضَ شيئاً منها ، فخرج سريعاً ، حين قال له الراهب ما قال ، يريد مكة ، حتى كان بأرض لخم ، عَدَوْا عليه ، فقتلوه . انتهى .

قلت : فمات وهو يطلب العلم ، بل رأس العلم ، ويستقري البلدان الشاسعة في تعرّف أيّ الوجوه من الطاعة أحبّ إلى اللّه تعالى ، فإن لمن عنده كتاب ربّه ، وسنته ، يحبّه على ذلك .

وقد قيض اللّه لهما حملَهُ . نعم إن شاء اللّه كمّله ، ثم لا يسلهم عمّا أشكل عليه ، واضطر إليه ، سيعلم إذا نزل به نازل الموت ، وضمه قبره ، وفات منه الفوت ، ماذا يكون أمره ؟

ثم إذا كان المعاد ، وقام الأشهاد ، وتجلى العظيم الجبار للفصل بين العباد ، ماذا فرط فيه من يسير الزاد .

وقال ابن كثير ، فقال ورقة ﷺ يرثيه[3] : [الطويل]

رَشِدْتَ وأنْعَمْتَ ابنَ عمرٍو وإنّما تَجَنَّبْتَ تَنُّوراً مِنَ النّارِ حامِيا[4]

20 / لِدِيْنِكَ ربًّا ليسَ ربٌّ كَمثلِهِ وتركِكَ جِنّانِ الْجبالِ كما هِيا[5]

---

(1) السيرة النبوية : 232/1 .

(2) شامّ : استخبر . استعاره من الشمّ .

(3) الأبيات 1 - 2 ، 4 ، 6 - 10 في السيرة النبوية لابن كثير 164/1 .

والأبيات 1 - 6 في السيرة النبوية لابن هشام 232/1 ، وبلوغ الأرب 252/2 .

والأبيات 1 - 2 ، 8 في أسد الغابة 370/2 .

والبيتان 1 - 2 في المنتظم في تاريخ الأمم 330/2 .

(4) رشدت : بالغت في الرشد ، كما يقال : أمعنت النظر وأنعمته . وابن عمرو : هو زيد بن عمرو بن نفيل . وأراد بتنور من النار : نار جهنم الحامية .

(5) في المنتظم : « دعائك ربًّا ليس » . وفي السيرة النبوية : « أوثان الطواغي كما هيا » . =

[وإدراكِكَ الدّينَ الذي قَدْ طَلَبْتَهُ ولَم تَكُ عَنْ تَوْحِيدِ ربِّكَ ساهِيا][1]

[فأصبَحْتَ في دارٍ كريمٍ مُقامُها تُعَلَّلُ فيها بالكرامَةِ لاهيا][2]

[تُلاقي خَليلَ اللّهِ فيها ولَم تكُنْ مِنَ النّاس جَبّاراً إلى النّارِ هاوِيا][3]

أقولُ إذا هَبَطْتَ أرضاً مَخُوفَةً حَنانَيْكَ لا تُظْهِرْ عليَّ الأعاديا[4]

حَنانَيْكَ إنّ الجِنَّ كانَتْ رجاءَهُمْ فأنتَ إلهي ربَّنا ورَجائِيا[5]

- الدين : الطاعة . وقد دِنْته ودِنْتُ له : أطعته . والطواغي : جمع طاغية ، وهو ها هنا الأصنام والأوثان ، وما عبد من دون الله . وجنان الجبال : جمع جنة ، وهي الحديقة ذات الشجر والنخل .

(1) الأبيات الثلاثة المتتالية زيادة من المصادر السابقة .

أدرك الشيء : لحق به ووصل إليه . والتوحيد : الإيمان بالله وحده لا شريك له . والساهي : الغافل الناسي .

(2) الدار : الموضع الذي يحلّ به المرء . وأراد بقوله : دارٍ كريم مقامها ، الجنة ، فهي دار البقاء . وكريم مقامها ، أي : محمود مقامها . والمقام : مكان الإقامة . وتعللت بالشيء : تشاغلت به . والكرامة : اسم يوضع موضع الإكرام .

(3) خليل الله ، الخليل : الصديق والصاحب . وقوله : خليل الله ، أراد سيدنا إبراهيم الخليل ، سيد الموحدين . وفيها ، أي : في الجنة . والجبار : المتكبر . والهاوي : الساقط ، وأراد الساقط في النار .

(4) في السيرة النبوية لابن كثير : « إذا ما هبطت » . وهو تصحيف لا يستقيم معه الوزن . وفي السيرة النبوية لابن هشام : « إذا ما زرت أرضاً مخوفة » .

زرت : نزلت وهبطت . وأرض مخوفة : مجهولة يخاف الناس الحلول والنزول فيها . وحنانيك : رحمتك . ولا تظهر عليّ الأعاديا ، أي : لا تعنهم عليّ .

(5) في السيرة النبوية لابن كثير : « الجن أنت رجاؤهم » . ونراه تصحيفاً .

الرجاء : الأمل .

وقَدْ تُدْرِكُ الإنسانَ رَحْمةُ ربِّهِ وإنْ كانَ تحتَ الأرضِ سبعين واديا[1]

أدِيْنُ لِرَبٍّ يَسْتَجيبُ ولا أرَى أدِيْنُ لما لَمْ يَسمعُ الدَّهْرَ داعِيا[2]

أقولُ إذا صَلَّيْتُ في كُلِّ بِيْعَةٍ تباركْتَ قَدْ أكثَرْتُ باسْمِكَ داعِيا[3]

انتهى ما ذكره ابن كثير ، وقد علم به مدح ورقة بن نوفل لمن وحَّدَ اللّه ، وأنه ما مدحه إلا لأجل توحيده ، وسيأتي أنه كان يستقبل القبلة ، ويقول : اللّهم ديني دينُ زيد ، وإلهي إله زيد .

فيا للّه للعجب ، ممَنْ يغضّ من مقامه ، ويجترئ على نفي إسلامه ، واللّه لو لم يكن من مناقبه إلا توحيده ، ومدحه للموحدين لأجل توحيدهم ، لكان كافياً في حبّه ، وإثبات المقامات العالية له ، وجعله من أنصار اللّه ، وحزبه .

فكيف إذا زاد على ذلك ، أن لقي النبي ﷺ ، بعدما أوحي إليه فزاد سروره بذلك ، وصدّقه ، وشهد أنه النّبي الذي بشّر به ابن مريم ، وصمم العزيمة ، وقوّى الشنشنة[4] والسكن على النضال معه والجهاد ، ومقارعة الأنداد والأضداد ، فانطبق عليه تعريف العلماء للصحابي ، فصار الذي يجب على كل مسلم حبّه ، والترضي عنه، امتثالاً لأمر النبي ﷺ بحبِّ أصحابه ، وإعظامهم ، وتوقيرهم وإكرامهم ، رضي الله عنهم أجمعين ، وحشرنا في زمرتهم ، وكل ناصر على الحقّ ومعين .

---

(1) في السيرة النبوية لابن كثير : « لتدركن المرء رحمة ربّه وإن كان » . وهو تصحيف لا يستقيم به الوزن .

أدرك الشيء : لحق به ووصل إليه .

(2) في السيرة النبوية لابن كثير : « يستجيب وأرى » . وهو تصحيف .

أدين لربٍّ: أخضع له وأذلّ بالطاعة له .

(3) البيعة ، بالكسر : كنيسة النصارى ، وقيل : كنيسة اليهود ، والجمع بيع .

(4) الشنشنة : الطبيعة والسجية . وأراد ما عرف من عقله وحزمه . والسكن : كل ما سكنت إليه واطمأننت به .

قال ابن كثير ، وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا أحمد بن طارق العاني، عن عمرو بن عطية ، عن أبيه ، عن ابن عمر رضي اللّه عنهما ، /عن زيد بن عمرو 20/ب ابن نفيل ﷺ ، أنه كان يتأله في الجاهلية ، فانطلق حتى أتى رجلاً من اليهود ، فقال : أحبُّ أنْ تدخلني معك في دينك ، فقال : لست أدخلك في ديني حتى تبوء بنصيبك من غضب اللّه .

فقال : من غضب اللّه أفرُّ فانطلق حتى أتى نصرانيًّا ، فقال له : أحبُّ أن تدخلني معك في دينك ، فقال : لستُ أدخلك في ديني حتى تبوءَ بنصيبك من الضلالة ، فقال : من الضلالة أفرُّ ، فقال له النصراني : إني أدلك على دينٍ إن اتبعته اهتديت .

قال : أيّ دين ؟ قال : دين إبراهيم . قال : اللّهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم عليه السلام ، عليه أحيى ، وعليه أموتُ . قال فذكر شأنه للنبي ﷺ ، فقال : « هو أمة وحده يوم القيامة » . انتهى .

وروى البخاري عن موسى بن عقبة تعليقاً مجزوماً به ؛ قال : حدثني سالم بن عبد اللّه ، ولا أعلم إلا يحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام ، يسأل عن الدين ، ويتبعه ، فلقي عالماً من اليهود ، فسأله عن دينهم ، فقال: إني لعلّي أن أدين دينكم ، فأخبرني ، فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب اللّه .

قال زيد : ما أفرُّ إلا من غضب اللّه ، ولا أحمل من غضب اللّه شيئاً أبداً ، وأنا أستطيعه . فهل تدلني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً . قال زيد : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ، ولا نصرانياً ، ولا يعبد إلا اللّه .

فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى ، فذكر مثله ، فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة اللّه . قال : ما أفرُّ إلا من لعنة اللّه ، ولا أحمل من لعنة

21 اللّه ، ولا من غضبه شيئاً أبداً ، وأنا أستطيع ، فهل تدلني على غيره ، قال : /ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً . قال : ما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهوديًّا ، ولا نصرانيًّا ، ولا يعبد إلا اللّه .

فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم ، خرج ، فلما برز[1] ، رفع يديه ، فقال : اللّهم إني أشهد أني على دين إبراهيم .

وقال شيخنا الحافظ ابن حجر في كتابه « الصحابة » . وأخرج أبو يعلى والبغوي والرُّوياني[2] والطبراني والحاكم ، عن زيد بن حارثة ﷺ ، قال[3] : خرجت مع رسول اللّه ﷺ في يومٍ حارٍّ من أيام مكة ، وهو مردفي ، فلقينا زيد بن عمرو بن نفيل ، فقال له : يا زيد مالي أرى قومك شَنِفُوا لَكَ[4] . قال : خرجت أبتغي هذا الدين ، فذكر الحديث المشهور في احتماعه باليهودي والنصراني ، وقولهما عن الغضب واللعنة .

وفي آخره أن الذي تطلبه ، قد ظهر ببلادك ، قد بُعِثَ نبيٌّ طلع نجمه ، وجميع من رأيته في ضلال . قال : فرجعت ، فلم أحسّ بشيء . انتهى كلام شيخنا . وأخرجه البيهقي في « الدلائل » بنحوه .

وفيه أن الذي أخبره بظهور النبي ﷺ شيخ بالجزيرة ، قال له : وقد خرج بأرضك

---

(1) برز ، أي : خرج إلى البراز ، وهو الفضاء من الأرض البعيد الواسع .

(2) الروياني : عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد ، أبو المحاسن ، فخر الإسلام الروياني فقيه شافعي ، من أهل رويان ، بنواحي طبرستان ، رحل إلى بخارى ونيسابور ، وانتقل إلى الريّ ثم إلى أصبهان . تمكن في الفقه حتى قال : لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي ، له تصانيف منها : « بحر المذهب » و « مناصيص الإمام الشافعي» و «الكافي» . « الأعلام 175/4 » .

(3) أسد الغابة : 369/2 .

(4) شنفوا لك ، أي : أبغضوك .

نبيٌّ ، أو هو خارج يدعو إليه ، ارجع إليه ، وصدّقه ، واتبعه ، وآمن بما جاء به . فرجعت فلم أختبر شيئاً بعد . انتهى .

وأخرجه أبو زرعة الرازي في « الدلائل » ومعه قوله : شَنِفوا لك ، وزن : فَرِحوا ، أي : أبغضوك ، وتنكروا لك . وأجاب بما حاصله أنه لا ذنب لي عندهم ، إلا أني طلبت العلم ، فصحّ قول إمامنا الشافعي رحمه اللّه : ما نظر الناس إلى مَنْ هم دونه ، إلا بَسَطُوا ألسنتهم فيه ، وما يعزى إليه ، أو إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه [1] : [الطويل]

وَقَدْرُ كُلِّ امرءٍ ما كانَ يُحْسِنُهُ والجاهلونَ لأهْلِ العلمِ أعداءُ

21/ب /وقال ابن كثير ، وقال محمد بن سعد ، يعني كاتب الواقدي : حدثنا علي بن محمد بن عبد اللّه بن أبي سيف القرشيّ ، عن إسماعيل بن مجالد ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، قال : قال زيد بن عمرو بن نفيل : شامت اليهودية والنصرانية فكرهتهما ، فكنت بالشام وما زالا ، حتى أتيت راهباً في صومعة ، فوقفت عليه ، فذكرت له اعتزالي عن قومي ، وكراهيتي عبادة الأوثان، واليهودية والنصرانية ، فقال له :

أراك تريد دين إبراهيم ، إنك لتطلب ديناً ما يوجد اليوم ، وهو دين أبيك إبراهيم ، كان حنيفاً ، ولم يكن يهودياً ولا نصرانياً .

كان يصلي ويسجد إلى هذا البيت الذي ببلادك ، فالحق ببلادك إن اللّهَ يبعث من قومك في بلدك من يأتي بدين إبراهيم ، الحنيفية ، وهو أكرم الخلق على اللّه عزّ وجلّ . انتهى .

وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي اللّه عنهما ، قال : خرج زيد بن عمرو إلى الشام ، يسأل عن الدين ، فاتفق له علماء اليهود والنصارى على أن الدين دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، فقال : أرجع بدينه . اللّهمّ إني أشهدك أني على دين إبراهيم .

---

(1) البيت من مقطوعة في ديوان الإمام علي ص25 .

قال ابن كثير ، وقال يونس ، عن ابن إسحاق[1] : حديثي بعض آل زيد بن عمرو بن نفيل أن زيداً كان إذا دخل الكعبة ، قال : لبّيكَ حقًّا حقًّا ، تَعبّداً وَرِقًّا .

عُذْتُ بما عاذَ بهِ إبراهيمْ مستقبلَ القبلة وهو قائمْ

إذْ قال :

أنْفِي لكَ اللّهمّ عانٍ راغِمْ مهما تُجَشِّمُنِي فإنّي جاشِمْ[2]

البرّ أبغي لا الخال[3] ، ليس مُهَجِّرٌ كمن قالَ[4] .

وقال أبو داؤد الطيالسي ، حدثنا المسعودي عن نفيل بن هشام بن سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل العدوي ، عن أبيه ، عن جدّه : أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا إلى راهبٍ بالموصل ، فقال لزيد بن عمرو : من أين أقبلت ، يا صاحب البعير ؟ قال : من بيئة /إبراهيم . قال : وما تلتمس ؟ 22
قال: ألتمس الدين . قال : ارجع فإنه يوشك أن يظهر [الدين] الذي تطلب في أرضك .

قال : فأما ورقة فتنصر ، وأما أنا فعرضت عليّ النصرانية فلم توافقني . فرجع ، وهو يقول : لبّيك حقًّا حقًّا ، تعبّداً ورِقًّا ، البرّ أبغي لا الخال ، فهل مهجّرٌ كمن قال . آمنت بما آمن به إبراهيم ، وهو يقول : [الرجز]

أنْفِي لكَ اللهمَّ عانٍ راغِمْ مهما تُجَشِّمُنِي فإنّي جاشِمْ

ثم يخرّ فيسجد .

---

(1) السيرة النبوية : 230/1 .

(2) العاني : الأسير . وتجشمني : تكلفني .

(3) الخال : الخيلاء والتكبر .

(4) المهجر : الذي يسير في الهاجرة ، أي : القائلة . وقال يقيل : إذا نام في القائلة ، أي : ليست من هجر ، كمن آثر الراحة في القائلة والنوم .

قال وجاء ابنه ، يعني سعيد بن زيد ، أحد العشرة ﷺ ، فقال : يا رسول اللّه، إنَّ أبي كان كما رأيت ، وكما بلغك ، فأستغفر له . قال : « نعم ، فاستغفروا له، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » انتهى .

وأخرجه البيهقي في « الدلائل » من طريق أبي داؤد ، وأخرجه الإمام أحمد بن يزيد المسعودي به ، إلى أن قال : قلت يا رسول اللّه ، إن أبي كان كما رأيت ، وبلغك ، ولو أدركك لآمن بك ، واتبعك . فأستغفر له ، قال : نعم فاستغفروا له، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده .

وقال الحافظ نور الدين الهيثمي[1] ، رواه الطبراني والبزار باختصار وفيه المسعودي وبقية رجالها ثقات .

وقال ابن كثير ، وقال محمد بن سعد : حدثنا محمد بن عمر ، حدثني أبو بكر ابن أبي شيبة ، عن موسى بن ميسرة ، عن ابن أبي مليكه ، عن حجير بن أبي إهاب ، قال : رأيت زيد بن عمرو ، وأنا عند صنم بُوانَة ، بعد ما رجع من الشام، وهو يراقب الشمس إذا زالت ، استقبل الكعبة ، وصلى ركعة وسجدتين ، ثم يقول : هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل ، لا أعبد حجراً ، ولا أصلّي له ، ولا آكل ما ذبح له ، ولا استقسم الأزلام ، وإنما أصلّي إلى هذا البيت حتى أموت .

وكان يحجُّ فيقف بعرفة ، وكان يلبي ، فيقول : لبيك لا شريك لك ، ولا ندَّ لك ، ثم يدفع عرفة ماشياً ، وهو يقول : لبّيك تعبّداً ورِقّا .

22/ب وقال الواقدي : حدثني علي بن حسين الحكمي ، عن أبيه ، /عن عامر بن زمعة ﷺ ، قال : سمعت زيد عمرو بن نفيل ، يقول : إنّا ننتظر نبيًّا من ولد إسماعيل عليه السلام ، ثم من بني عبد المطلب ، ولا أراني أدركه ، فأنا أومن به ،

---

(1) الهيثمي : علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ، أبو الحسن نور الدين ، المصري القاهري: حافظ . له كتب في الحديث . منها : « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد » و « ترتيب الثقات لابن حبّان » و « تقريب البغية في ترتيب أحاديث الحلية » . « الأعلام 266/4 » .

وأصدقه ، فإن طالت بك مدة فرأيته ، فاقرئه مني السلام ، وسأخبرك ما نعته ، حتى لا يخفى عليك .

قلت : هلم . قال : هو رجل ليس بالطويل ، ولا بالقصير ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست بفارق عينيه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد .

وهذا البلد مولده ومبعثه ، ثم يخرجه قومه منها ، ويكرهون ما جاء به ، حتى يهاجر إلى يثرب ، فيظهر أمره ، فإيّاك أن تخدع عنه ، فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم ، فكان من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس ، يقولون : هذا الدين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعته لك ، ويقولون : لم يبق نبيٌّ غيره .

قال عامر بن ربيعة ﷺ : فلما أسلمت ، أخبرت رسول اللّه ﷺ بقول زيد ابن عمرو ، وأقرأته منه السلام ، فردّ عليه السَّلام ، وترحّم عليه ، وقال : قد رأيته في الجنة يسحب ذيوله . انتهى .

وذكر شيخنا الحافظ ابن حجر في كتابه في الصحابة هذا الحديث من عند الفاكهي ، عن عامر بن ربيعة ﷺ ، قال : لقيت زيد بن عمرو ، وهو خارج من مكة ، يريد حراء ، فقال : يا عامر إني قد فارقت قومي ، واتبعت ملّة إبراهيم ، وما كان يعبد إسماعيل من بعده ، ثم من ولد عبد المطلب ، فذكر نحوه . انتهى .

والبنية كَبنية الكعبة ، شرّفها اللّه تعالى ، خُصت بذلك لشرفها .

وذكر ابن كثير من عند محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، عن جابر ﷺ بإسناد ،
23 قال : إنه حسنٌ أن النبي ﷺ /سُئِل عن زيد ، فقال : « إنه يحشر أمّة وحده ، بيني وبين عيسى بن مريم عليه السلام ».

وروى البزار برجاله ، قال الحافظ نور الدين الهيثمي في « مجمع الزوائد » : إنهم رجال الصحيح غير محالة ، فضعفه الجمهور ، وقد وثق ، وهذا من جيد حديثه ، عن جابر ﷺ ، قال : سألنا رسول اللّه ﷺ عن زيد ، كان يقول : ديني

دين إبراهيم ، وإلهي إله إبراهيم ، وكان يصلي ويسجد . قال : « ذاك أمة وحده ، يُحشر بيني وبين عيسى بن مريم عليه السلام » .

وسألناه عن ورقة بن نوفل ، كان يستقبل القبلة ، ويقول : إلهي إله زيد وديني دين زيد ، وكان يمتدحه ويقول : [الطويل]

رَشَدْتَ وأنْعَمْتَ ابنَ عمرٍو وإنّما ... تجنبتَ تَنُّوراً مِنَ النّارِ حاميا

بدينكَ ربًّا ليسَ ربّ كمثلِهِ ... وترككَ حنّان الجبال كما هيا

فقال : « رأيته يمشي في بطنان الجنة ، عليه حلّة من سندسٍ » .

وسُئِلَ عن خديجة رضي اللّه عنها ، فقال : « رأيتها على نهرٍ من أنهار الجنة في بيتٍ من قصبٍ ، لا لغو فيه ، ولا نصب » . ورواه الحافظ أبو زرعة عبيد اللّه بن عبد الكريم الرازي سواء .

وروى أبو يعلى الموصلي من هذا الطريق بعينه ، عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما أنه قال : سُئل النبي ﷺ ، عن أبي طالب : هل تنفعه نبوتك ؟ قال : «نعم . أخرجته من غمرات جهنم إلى ضَحْضَاح[1] منها » .

وسئل عن خديجة رضي اللّه عنها ، لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن فقال : « أبصرتها على نهرٍ من أنهار الجنة في بيت من قَصَبٍ[2] ، لا صَخَبَ ولا نَصَب » . وسئل عن ورقة بن نوفل رضي الله عنه ، فقال : « أبصرته في بطنان الجنة ، عليه سندس » .

وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل رحمه اللّه ، فقال : « يبعث يوم القيامة أمة وحده ، بيني وبين عيسى عليه السلام » . وروى /الطبراني منه ما يتعلق بخديجة رضي اللّه عنها . انتهى . 23/ب

---

(1) الضحضاح : ما رقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين ، واستعاره للنار .

(2) القصب في هذا الحديث : لؤلؤٌ مجوف واسعٌ ، كالقصر المنيف .

وقد أفصحت هذه الرواية بالمراد حتى لم تدع لبساً ، وذلك أن السبب في توقف مَنْ توقف في إسلامه كونه لم يدرك الفرائض ، فعرف النبي ﷺ أن حكمه في أتباعه ، له حكم خديجة رضي اللّه عنها . فهما مِنْ أمته لا يقدح في صحبتهما عدم إدراك الفرائض ، بل يكفي إيمانهما بالوحي ، واتباعهما فيما تيّسر لهما ، دون أن زيداً لكونه لم يدرك نبوته : أمة وحده . انتهى .

وقال ابن كثير ، وقال الواقدي فذكر سنداً عن سعيد بن المسيّب ، أنه ذكر زيد ابن عمرو بن نفيل ، فقال : توفى وقريش تبني الكعبة ، قبل أن ينزل الوحي بخمس سنين . ولقد نزل به ، وإنه ليقول : أنا على دين إبراهيم .

فأسلم ابنه سعيد بن زيد رضي اللّه عنهما ، واتبع رسول اللّه ﷺ . وأتى عمر ابن الخطاب وسعيد بن زيد رضي اللّه عنهما رسول اللّه ﷺ ، فسألاه عن زيد ابن عمرو ، فقال : « غفر اللّهُ له ، ورحمه فإنه مات على دين إبراهيم » .

فكان المسلمون بعد ذلك لا يذكره ذاكر منهم إلا ترحّم عليه ، واستغفر له ، ثم يقول سعيد بن المسيّب : رحمه اللّه وغفر له . انتهى .

وأنا أقول : غفر اللّه له ، ورحمه ورضي اللّه عن ورقة ، لأنه كان على منهاجه في التوحيد وأدرك ما لم يدرك ، وتشرّف بالنظر الكريم ، فنال منه أقصى النعيم .

قال ابن كثير ، وقال ابن الباغندي[1] ، عن أبي سعدٍ الأشج[2] ، عن أبي معاوية، عن هشام ، عن عائشة رضي اللّه عنها قالت ، قال رسول اللّه ﷺ : « دخلت

---

(1) ابن الباغندي : محمد بن محمد بن سليمان ، أبو بكر الأزدي الواسطي ، المعروف بابن الباغندي : من حفاظ الحديث . رحل في طلبه ، وأخذ عن أهل الكوفة والشام ومصر والبصرة . سكن بغداد ، وتوفي فيها . « الأعلام 19/7 » .

(2) الأشجّ : عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي الكوفي ، أبو سعد ، المعروف بالأشجّ : حافظ للحديث . كان محدث الكوفة . له تفسير وتصانيف .

الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل جنتين » . وهذا إسناد جيد ، ليس هو في شيء من الكتب . انتهى .

24 فإذا كان هذا الذي ما أدرك نبوة النبي ﷺ ، فضلاً عن رسالته ، /ترحم عليه النبي ﷺ ، واستغفر له ، وأمرنا بالاستغفار له لأجل توحيده وارتقابه للنبي ﷺ ، فكان الصحابة ﷺ ، لا يذكره ذاكر منهم إلا ترحم عليه واستغفر له .

فما ظنك بمن فعل في التوحيد كما فعله ، وزاد عليه بأن أدرك زمان النبوة بلا شك بالإجماع ، وزمان الرسالة عند المحققين وصدق النبي ﷺ في إتيان جبريل عليه السلام إليه ، وشهد أنه نبيُّ هذه الأمة ، وأنه الذي بشّر به ابن مريم عليه السلام ، وتشرّف بذلك النظر السعيد ، وبتقبيل يافوخه ﷺ .

واللّه ما يتوقف مسلم بعد اطلاعه على ذلك في إثبات صحبته ورفع الصوت بالترضي عنه ، ﷺ .

قال ابن كثير ، ومن شعر زيد ما قدمنا في بدء الخلق من تلك القصيدة ، والتي أولها[1] : [الطويل]

إلى اللّهِ أُهْدي مِدْحَتِي وثَنائِيا ... وقَوْلاً رَصِيناً لا يَني الدَّهْرَ باقيا[2]

إلَى الْملكِ الأَعْلَى الذي لَيْسَ فوقَهُ ... إلاهٌ ولا ربٌّ يكونُ مُدانيا

قال : وقيل إنها لأمية بن أبي الصلت . انتهى .

وزاد السهيلي فيها :

أدينُ إلهاً يُستجابُ ولا أرَى ... أدِيْنُ لمن لَم يسمعِ الدَّهرَ داعيا

قال ابن كثير : ومن شعره ، أي : زيد أيضاً في التوحيد ما حكاه محمد بن إسحاق،

---

(1) الأبيات في السيرة النبوية لابن هشام 227/1 - 228 .

(2) الرصين : الثابت المحكم . ولا يني : لا يفتر ولا يضعف .

والزبير بن بكار وغيرهما[1] : [المتقارب]

وأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الأرضُ تَحملُ صَخْراً ثِقالا
دَحاها فلمَّا استَوَتْ شَدَّها ... سواءً وأَرْسَى عَلَيْها الجِبالا[2]
وأسلَمْتُ نفسي لمَنْ أسلمَتْ ... لَهُ المزنُ تحملُ عذباً زُلالا[3]
إذا هِيَ سِيْقَتْ إلى بلدةٍ ... أطاعَتْ فصبَّتْ عليها سِجَالا[4]
وأسلَمْتُ نَفْسِي لمَنْ أسلَمَتْ ... لَهُ الرِّيحُ تَصْرفُ حالاً فَحالا[5]

24 ب /قال : وقال محمد بن إسحاق ، فقال زيد بن عمرو في فراق دين قومه ، وما كان لقي منهم في ذلك ، أن زيد بن عمرو رحمه اللّه ، قال[6] : [الوافر]

أربًّا واحداً أَمْ أَلْفَ رَبٍّ ... أدينُ إذا تُقِسِّمَتِ الأمورُ
عَزَلْتُ اللاتَ والعُزَّى جميعاً ... كذلك يَفْعلُ الجَلْدُ الصَّبُورُ[7]
فلا العُزَّى أدينُ ولا ابْنَتَيْها ... ولا صَنَمَيْ بَنِي عمرٍو أزورُ
ولا هُبَلاً أدينُ وكانَ ربًّا ... لنا في الدَّهْرِ إذْ حِلمي يَسِيْرُ[8]
عَجِبْتُ وفِي الليالِي مُعْجباتٌ ... وفي الأيَّام يَعْرِفُها البَصيرُ

---

(1) الأبيات في السيرة النبوية لابن هشام 231/1 ، والأغاني 128/3 .

(2) دحاها : بسطها . وأرسى : أثبت عليها وثقلها به .

(3) المزن : السحب الماطرة ، الواحدة مزنة . والماء الزلال : البارد العذب الصافي .

(4) السجال : جمع سجل ، وهي الدلو المملوءة ماءً ، فاستعارها لكثرة المطر .

(5) تصريف الرياح : صرفها من جهة إلى جهة .

(6) الأبيات في السيرة النبوية 226/1 - 227 .

الأبيات 1 - 4 ، 6 - 8 في الأغاني 124/3 - 125 .

(7) اللات والعُزّى : من أصنامهم .

(8) هبل : من أصنامهم أيضاً . والحلم : العقل . واليسير : أراد الصغير .

بأنَّ اللّـهَ قَـدْ أَفْنَـى رجـالاً ... كثيراً كـان شأنَهُمُ الفجورُ

وأَبْـقَـى آخـريـنَ ببـرِّ قـومٍ ... فَيَرْبِلُ منهمُ الطّفلُ الصّغيرُ[1]

وبَيْنـا المـرءُ يَفْتـرُ ثـابَ يومـاً ... كما يَتروّح الغُصْنُ النّضِيرُ[2]

ولـكـنْ أعْـبُـدُ الـرَّحـمـنَ ربِّـي ... فيغْفِـر ذَنْـبِـيَ الـرَّبُّ الغَفُورُ

فَتَقْـوَى اللّـهِ ربّكـمُ احْفَظْـهـا ... مَتِي مـا تَـحْـفَـظُـوهـا لا تَبُـوروا

تَـرَى الأبـرارَ دارهُـمُ جنـانٌ ... وللكفّارِ حـامـيـةً سَـعِـيْـرُ[3]

وخِـزْيٌ في الـحيـاةِ وإنْ يَـمُـوتـوا ... يُلاقـوا مـا تـضـيـقُ به الـصّدورُ[4]

انتهى ما اخترته من ترجمة زيد رحمه اللّـه ، من تاريخ ابن كثير وغيره .

وقد ذكر زيداً هذا شيخنا حافظ عصره ابن حجر في كتابه في أسماءِ الصحابة في القسم الأول من موضعه في الرأي ، والقسم الأول في كل حرفٍ لمن وردت صحبته بطريق الرواية ، أو وقع ذكره بما يدلّ على الصحبة بأي طريق كان ، فقال : ذكره البغوي وابن منده وغيرهما في الصحابة .

وفيه نظر لأنه مات قبل البعثة بخمس سنين ، لكنه يجيء على أحد الاحتمالين في تعريف الصحابي ، وهو من رأى النبي ﷺ مؤمناً به .

25 هل يشترط /في كونه مؤمناً به أن تقع رؤيته له بعد البعثة ، فيؤمن به حين يراه، أو بعد ذلك ؟ أو يكفي إيمانه به أنه سيبعث ، كما في قصة هذا وغيره . انتهى كلام شيخنا .

---

(1) ربل الطفل يربل : إذا شبّ وعظم وكبر .

(2) فتر الشيء يفتر : سكن بعد حدته ، ولان بعد شدته ، وضعف . وثاب : رجع . ويتروح: يهتز ويخضر ، وينبت ورقه بعد سقوطه .

(3) أراد بحامية سعير : نار جهنم .

(4) الخزي : الهلاك والوقوع في بليّة .

ويا ليت شعري إذا كان الذي آمن ، بأنه سيبعث ، ثم مات قبل أن يبعث يُسَوِّغُ ذكره في الصحابة ﷺ ، فماذا يقال في الذي كان مؤمناً بأنه سيبعث ، ثم نفى إلى أن نزل عليه جبريل عليه السلام ، وأوحى إليه بعض القرآن ، وآمن بذلك، وأخبره بأن هذا الآتي إليه جبريل عليه السلام .

وأخبره أنه يؤذى لكونه أتى الناس بما يخالف ما ألفوه ، ووعده وعداً جازماً صادقاً بأنه إن أدرك ذلك ، بذل جهده في النصرة .

هل يتوقف في عدّه في الصحابة مَنْ شمّ رائحة من العلم ؟

وقد حان الآن ذكر الأخبار الدالة على صحبة ورقة ، وماله من ثابت الدرجة ، وعالي الطبقة . فكم قصد في طلب العلم بلداً من شاسع البلدان ، وطرقه ، وسلك وادياً من واسع الأودية وضيّقها ، واخترقه ، واستطلع كوكباً في جوبة الليالي[1] ، وراعى أفقه إلى أن استولى عليه الأمد الأقصى من التوحيد .

وورقة بعد أن قد جبّب الشرك[2] ، ومزّقه . وبدّد قيده ، وحرقه وأباد شيطانه ، وأغرقه ، وأتقن الإيمان وحققه هو ﷺ : ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قُصَيّ[3] ، يجتمع مع النبي ﷺ في جدّ جدّه .

قال الزبير بن بكار : كان ورقة قد كره عبادة الأوثان ، وطلب الدين في الآفاق ، وقرأ الكتب ـ وكانت خديجة رضي اللّه عنها تسأله عن أمر النبي ﷺ ، فيقول لها: ما أراه إلا نبيَّ هذه الأمة ، الذي بشّر به موسى وعيسى .

قال ابن كثير ، قال ابن إسحاق[4] : وقد كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن

---

(1) الجوبة : الفرجة .

(2) جبّب الشرك : استأصله .

(3) انظر في نسبه : نسب قريش ص207 ، والسيرة النبوية 222/1 ، والأغاني 119/3 ، وجمهرة أنساب العرب ص120 ، وأسد الغابة 417/5 ، والإصابة 317/6 .

(4) السيرة النبوية : 191/1 .

25/ب عبد العزّى ذكرت لورقة وكان ابن عمّها ، وكان /نصرانياً قد تتبّع الكتب ، وعَلِمَ ، مِنْ عِلْم النّاس ما ذكر لها غلامها يعني ميسرة من أمر الراهب ، يعني الذي قال له لَمّا نزل محمدٌ ﷺ تحت شجرة قريبة من الراهب ، في السفرة التي سافرها لخديجة إلى الشام : ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبيٌّ .

وما كان ميسرة يرى منه إذا كان الملكان يظلانه ، فقال ورقة : إن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبيّ هذه الأمة ، وقد عرفتُ أنه كائن لهذه الأمة نبيٌّ ينتظر ، هذا زمانه ، أو كما قال ، فجعل ورقة يستبطئ الأمر ويقول : حتّى متى ؟ وقال في ذلك[1] : [الوافر]

لَجِجْتُ وكنتُ في الذّكرى لَجُوجا ... لِهَمٍّ طالما بَعَثَ النَّشِيْجا[2]

وَوَصْفٍ مِنْ خَديجةَ بعدَ وَصْفٍ ... فَقَدْ طالَ انْتِظاري يا خَدِيْجا[3]

---

(1) الأبيات 1 – 13 في السيرة النبوية لابن هشام 191/1 – 192 ، والبداية والنهاية 296/2 – 297 ، والسيرة الجامعة ص117 – 118 ، والحماسة المغربية 108/1 – 109 ، وبلوغ الأرب 270/2 – 271 .

والأبيات 1 – 8 ، 10 – 13 في خزانة الأدب 362/3 – 363 .

والأبيات 1 –7 ، 9 – 13 في السيرة النبوية لابن كثير 268/1 .

والأبيات 1 – 10 ، 12 – 13 في المقاصد النحوية 366/1 – 367 .

والأبيات 1 – 8 ، 12 في تاريخ الإسلام للذهبي ص 124 – 125 .

(2) في المقاصد النحوية 367/1 : « قوله : لججت من باب علم يعلم ، تقول : لجّ يلجّ لجاجاً ولجاجة ، فهو لجوجٌ : إذا كان متمادياً في الخصومة . والذكرى : مصدر من ذكر. قوله : النشيجا ، بفتح النون : مصدر نشج الباكي ينشج نشيجاً : إذا غصّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب » .

(3) خديجة : هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزّى ، زوج الرسول الكريم صلوات الله عليه. وقوله : يا خديجا ، أصله : يا خديجة .

بِبطنِ المكّتينِ على رَجائِي ... حَديثُكِ أنْ أرَى منه خُرُوجا[1]

بما خبّرْتِنا مِنْ قولِ قِسٍّ ... مِنَ الرُّهبانِ أكرهُ أنْ يَعُوجا[2]

بِأنَّ محمَّداً سَيَسُودُ يَوماً ... ويَخْصِمُ مَنْ يكونُ له حَجِيْجا[3]

ويُظْهِرُ في البلادِ ضِياءَ نُورٍ ... يُقِيمُ بهِ البريَّةَ أنْ تَمُوجا[4]

فَيَلْقَى مَنْ يُحارِبُهُ خَساراً ... ويَلْقَى مَنْ يُسالِمُهُ فُلُوجا[5]

---

(1) في السيرة الجامعة والحماسة المغربية : « على رجاءٍ » .

في حاشية الخزانة 362/1 - 363 : « ثنى مكة ، وهي واحدة لأن لها بطاحاً وظواهر ... وكانت قريش قبيل الإسلام فريقين : أحدهما قريش الظواهر ، وهم الذين يتحرجون أن يبنوا إلى جنب بيت الله بيوتاً . فنزلوا في ظواهر مكة ، والآخرون المقيمون ببطحاء مكة مجاورين البيت ، كان يقال لهم قريش البطاح » .

الهاء في « منه » : راجعة على الحديث . والباء في : « ببطن » متعلقة بانتظاري .

(2) في الحماسة المغربية : « بما حدثتنا من » . وفي السيرة الجامعة : « فما خبرتني من قول». وهو تصحيف . وفي المقاصد النحوية : « من الركبان أكره » .

القسّ : رئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم ؛ وقيل : هو الكيّس العالم . والراهب: المتعبد في الصومعة ، واحد رهبان النصارى . ويعوج : يميل ويحيد عن القصد ، فلا يتحقق .

(3) في تاريخ الإسلام والبداية والنهاية والسيرة الجامعة والحماسة المغربية والمقاصد النحوية : « سيسود قوماً » .

يخصم خصمه بالحجة : يغلبه فيها . والحجيج : الذي يحاججك بالحجج .

(4) في البداية والنهاية : « ويقوم به البرية » . وهو تصحيف .

يظهر : يبدي ، وأراد محمداً يظهربرسالته . والبرية : الخلق والبشرية . وتموج : تضطرب فلا تستقر .

(5) في المقاصد النحوية : « من يحاربه خروجاً » .

الخسار : الضلال والهلاك . والفلوج على الخصم : الظفر به .

فيا لَيْتَنِي إذا ما كانَ ذاكُمْ شَهِدتُ فَكنتُ أوَّلَهمْ وُلُوجا[1]

وُلُوجاً في الذي كَرِهَتْ قريشٌ ولو عَجَّتْ بِمكَّتِها عَجِيْجا[2]

أُرَجِّي بالذي كَرِهُوا جَمِيْعاً إلى ذِي العَرْشِ إنْ سَفِلُوا عُرُوجا[3]

وهَلْ أمرُ السَّفالةِ غيرُ كُفْرٍ بِمَنْ يَخْتارُ مَنْ سَمَكَ البُروجا[4]

فإن يَبْقُوا وأبقَ تكُنْ أُمورٌ يَضِجُّ الكافرونَ لها ضَجِيْجا[5]

---

(1) في السيرة الجامعة والمقاصد النحوية : « ولجت وكنت أولهم » .

وفي المقاصد النحوية 368/1 : « قوله : ولوجاً ، أي : دخولاً في الذي كرهت قريش ، وأراد به الدخول في الإسلام ، فإن قريشاً كانوا كرهوا ذلك . قوله : أولهم ولوجاً ، أي : أول قريش ، وأول الناس دخولاً ، أي : في الإسلام . وبهذا حكم الجمهور بإسلام ورقة رضي الله عنه » .

(2) في البداية والنهاية : « لو كان الذي كرهت » . وهو تصحيف .

في المقاصد النحوية 368/1 : « قوله : عجت ، من العجّ ، وهو رفع الصوت . قوله : بمكّتها : الضمير يرجع إلى قريش ، وإنما ذكر مكة باعتقاد الشياع فيها » .

(3) في السيرة الجامعة : « وإن سلفوا عروجا » . وهو تصحيف ظاهر . وفي البداية والنهاية والسيرة النبوية لابن كثير : « إذْ سفلوا عروجا » .

أرجي ، أي : أرجو . وقوله : عروجاً : مفعول لقوله أرجي ، أي : أرجي عروجاً .

والعروج : الصعود والعلو .

(4) في الحماسة المغربية والخزانة : « أمر السفاهة غير » .

السفالة : النذالة ؛ وسفلة القوم : أراذلهم . والسفاهة : خفة الحلم والطيش ؛ والسفيه : الجاهل . وسمك البروج : رفعها . والبروج : الكواكب العظام ، الواحد برج .

(5) في البداية والنهاية : « يكن أمورٌ » . وهو تصحيف . وفي المقاصد النحوية : « تضجّ الكافرون » .

الأمور : الحوادث . وضجّ القوم يضجون ضجيجاً : فزعوا من شيء وغُلِبوا . والضجيج : الصياح عند المكروه والمشقة والجزع .

وإنْ أَهْلِكْ فَكُلُّ فتًى سَيَلْقَى مِنَ الأقدارِ مَتْلَفَةً خُرُوجا[1]

وقال ورقة أيضاً رضي الله عنه فيما رواه يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق عنه[2] : [الطويل]

26 / أَتُبكِرُ أَمْ أَنْتَ العشِيَّةَ رائِحُ وفي الصَّدْرِ مِنْ إضْمارِكَ الحزنَ قادِحُ[3]

لِفُرْقَةِ قَوْمٍ لا أُحِبُّ فِراقَهُمْ كأَنَّكَ عَنْهُمْ بَعْدَ يومَيْنِ نازِحُ[4]

وأخْبارِ صِدْقٍ خُبِّرَتْ عَنْ محمَّدٍ يخبِّرُها عنه إذا غابَ ناصِحُ[5]

---

(1) في السيرة الجامعة والخزانة : « متلفة حروجا » بالحاء المهملة .

أهلك : أموت . والمتلفة : المهلكة . والخروج : الكثيرة التصرف . والخروج : نقيض الدخول . وأراد مهلكة تهلكه وتخرجه من الدنيا .

(2) الأبيات 1 – 16 في البداية والنهاية 297/2 .

والأبيات 1 – 8 ، 10 – 16 في السيرة النبوية لابن كثير 269/1 .

والأبيات 1 – 12 في الروض الأنف 127/1 ، والسيرة الجامعة ص118 ، والخزانة 365/3 – 366 ، وبلوغ الأرب 274/2 .

والأبيات 3 ، 7 – 12 في البداية والنهاية 10/3 .

والأبيات 3 ، 7 – 8 ، 11 – 12 في السيرة النبوية لابن كثير 400/1 .

والأبيات 1 – 3 ، 7 – 8 في عيون الأثر 64/1 .

(3) في السيرة الجامعة : « العشية رايح » . بالتخفيف .

بكر على الشيء وأبكر : أتاه بُكرة ؛ والبكرة : الغدوة . والرائح : الراجع في العشي . وإضمارك الشيء : إخفاؤه في الصدر . والقادح : المؤلم المؤثر الذي يترك صدعاً في النفس، أخذ من قولهم : القدح : الصدع في العود .

(4) النازح : البعيد . وأراد بعيد الارتحال .

(5) الناصح : الذي يقدم النصيحة . ويقال : رجل ناصح الجيب : نقيّ الصدر ناصح القلب لا غشّ فيه ؛ والنصح : الخلوص .

فَتاكِ الذي وجَّهْتِ يا خيرَ حُرَّةٍ ... بغَوْرٍ وبالنَّجْدَينِ حيثُ الصَّحاصِحُ[1]

إلى سُوقِ بُصْرَى في الرِّكاب التي غَدَتْ ... وَهِيَّ من الأحْمالِ قُعْصٌ دَوالِحُ[2]

يُخبِّرنا عَنْ كُلِّ حِبْرٍ بعِلْمِهِ ... وللحَقِّ أبوابٌ لَهُنَّ مَفاتِحُ[3]

بأنَّ ابنَ عبدِ اللّهِ أحمدَ مُرسَلٌ ... إلى كُلِّ مَنْ ضُمَّتْ عليه الأباطِحُ[4]

---

(1) في البداية والنهاية والسيرة النبوية لابن كثير : « أتاك الذي وجهت » . وفي بلوغ الأرب: « وفي النجدين حيث » . وهو تصحيف . وفي السيرة الجامعة : « حيث الضخاضح » . وهو تصحيف .

فتاك : الخطاب للسيدة خديجة ، والحديث عن فتاها ميسرة الذي أرسلته برفقة الرسول الكريم في تجارة للشام . والحرة : الكريمة الأصل . والغور : المنخفض ، وأراد غور الأردن . والصحاصح : جمع الصحصح والصحصاح والصحصحان ، وهو ما استوى من الأرض وجرد .

(2) في السيرة النبوية وبلوغ الأرب : « وهن من الأحمال » . وفي السيرة الجامعة : « قعصٌ ذوابح » . وهو تصحيف . وفي بلوغ الأرب : « قعصٌ ذوائح » . وهو تصحيف .

بصرى : موضع بالشام من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ، وهي مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً ، وبها سوق عظيمة . والركاب : الإبل الرواحل التي يُسار عليها ، واحدتها راحلة ، ولا واحد لها من لفظها . وغدت : خرجت باكراً . والدوالح : أشجار النخيل المثقلة من كثرة الحمل ، مفردها دالحة . وقعص : جمع قعصاء ، وهي التي رميت فماتت مكانها .

(3) في السيرة النبوية لابن كثير والسيرة الجامعة : « فيخبرنا عن كل خبرٍ بعلمه » .

وفي اللسان «حبر» : « الحبر ، بالفتح : ومعناه العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه ... وقال ابن الأعرابي : حِبْرٌ وحَبْرٌ للعالم .... الجوهري : الحِبْرُ والحَبْرُ ، واحد أحبار اليهود ، وبالكسر أفصح » .

(4) في السيرة الجامعة : « كل ما ضَمَّت » .

المرسل : الرسول . والأباطح : جمع الأبطح ، وهو بطن الوادي ومسيله ، ويكون=

وظَنّي بهِ أنْ سوفَ يُبعثُ صادقاً ... كما أُرْسِلَ العبدانِ : هُودٌ وصالِحُ[1]

وموسى وإبراهيمُ حتّى يُرى لَهُ ... بَهاءٌ ومَنْشُورٌ من الذّكرِ واضِحُ[2]

ويَتْبَعُه حَيَّا لؤيِّ بنِ غالبٍ ... شَبابُهُمُ والأشْيَبُونَ الجَحاجِحُ[3]

فَإنْ أَبْقَ حتّى يُدْرِكَ النّاسُ أمْرَهُ ... فَإنّي لَه مستبشِرُ الوُدِّ فارِحُ[4]

وإلاّ فَإنّي يا خَديجةُ فَاعْلَمِي ... عَنَ ارْضِكِ في الأرضِ العريضةِ سائحُ[5]

انتهى .

- فيه التراب والحصى اللين ، مِمّا قد جرّته السيول . وقوله : ضمت عليه الأباطح ، أي : ضمته . وكنى عن البلاد بالأباطح .

(1) يبعث ، أي : من عند ربّه . والصادق : الذي يصدق فيما يبلغ به . والعبد : عبد الله ، وهو الإنسان حرًّا كان أو مملوكاً . وأراد النبيين هوداً وصالحاً .

(2) في البداية والنهاية : « ومنشورٌ من الحقّ » .

البهاء : المنظر الحسن الرائع المالئ للعين . وقيل : البهاء : الحُسْنُ . والذكر : الشيء يجري على اللسان . وقوله : منشور من الذكر ، أي : ينتشر ذكره وذكر دينه فيضحي على كل لسان.

(3) في السيرة النبوية لابن كثير : « حيّا لؤي وغالب » . وهو تصحيف .

الحي : الواحد من أحياء العرب . والحي : البطن من بطون العرب . ولؤي : هو لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان . يقول ابن حزم عن والده غالب : وفيه البيت والعدد ، نعني بالبيت حيث ما ذكرناه الشرف ، وبالعدد الكثرة . « انظر جمهرة أنساب العرب ص12 » .

والجحاجح : جمع جحجاح ، وهو السيد السمح الكريم ؛ ولا توصف به المرأة .

(4) أبقى : أي : أبقى حياً حتى ينتشر أمر رسالته . واستبشرت بالأمر : إذا فرحت به . وفارح : فاعل من الفرح .

(5) خديجة : السيدة خديجة بنت خويلد زوج الرسول الكريم صلوات الله عليه . وساح في الأرض سياحة : ذهب في الأرض للعبادة والترهب .

وأخرجه البيهقي في « الدلائل » من طريق ابن إسحاق ، وذكر هذا الشعر الجابي فقط . وذكره العلامة نجم الدِّين فتح بن موسى المغربي الشَّافعي[1] ، في شرح نظمه المسمى « بالوصول إلى السول ، من نظم سيرة الرسول » كالبيهقي سواء .

وذكره الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعي في سيرته ، وذكر الشعر ابن معاذ ، وقال ابن كثير ، وزاد الأموي :

فَمتَّبعٌ دينَ الذي أسَّسَ البِنا ... وكانَ لَهُ فَضْلٌ على النَّاسِ راجِحُ[2]

وأسَّسَ بنياناً بمكَّةَ ثابتاً ... تلألأ فيهِ بالظَّلامِ المصابِحُ[3]

مُثاباً لأفْناءِ القبائلِ كُلِّها ... تَخُبُّ إليهِ اليَعْملاتُ الطَّلائِحُ[4]

---

(1) القَصْري : فتح بن موسى بن حماد الأموي الجزيري القصري : فقيه عالم بالأدب والحكمة والمنطق . ولد بالجزيرة الخضراء ، ودخل بغداد ودمشق وحماة . درّس بالنظامية ، وفُوّض إليه أمر ديوان الإنشاء ، ودخل مصر فولي قضاء أسيوط ، ودرس بالفائزية فيها ، ومات بها . من كتبه : « نظم المفصل للزمخشري » و « الوصول إلى السول » . « الأعلام 134/5 » .

(2) المتبع : التابع الذي يتبع شيئاً . والبنا : جاء بها مخففة ، واحد الأبنية ، وهي البيوت التي تسكنها العرب . وأراد البيت الحرام الذي بناه سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل . وفضل راجح ، أي : يفضل غيره ويرجح عليه .

(3) أسس البناء : إذا بنى حدوده ورفع من قواعده . والثابت : الراسخ ؛ وأراد بالبنيان الثابت الكعبة المشرفة . وتلألأ ، أي : تتلألأ : تضيء وتلمع . والمصابيح : جمع مصباح.

(4) في اللسان «ثوب» : « والمثابة : الموضع الذي يثاب إليه ، أي : يُرْجَعُ إليه مرة بعد أخرى. ومنه قوله تعالى : وإذْ جعلنا البيتَ مثابة للناس » .

وأفناء القبائل : أخلاطها . وتخب اليعملات : إذا سارت الخبب ، وهو ضرب من العَدْوِ فيه خفّة . واليعملات : جمع يعملة ، وهي الناقة الذائبة العملة . والطلائح : جمع طليحة ، وهي الناقة التي أضمرها الكلال والإعياء من السفر . يقال : سار على الناقة حتى طلحها.

حَراجِيْجُ أمثالَ القِداحِ من السُّرى يُعَلَّقُ في أرساغِهنَّ السَّرايحُ[1]

انتهى .

26/ب /ومن شعره أيضاً ، ما أورده الإمام أبو القاسم السهيلي في « الروض الأنف » ، والحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعي في سيرته . وعزاه للزبير بن أبي بكر وغيره بالإسناد إلى عروة بن الزبير[2] : [البسيط]

---

(1) الحراجيج : جمع حرجوج ، وهي الناقة الضامرة . والقداح : جمع قدح ، وهو السهم ، على تشبيه الناقة الضامرة بقدح الميسر . والسرى : سير الليل . الأرساغ : جمع رسغ ، وهو ما استدق من اليد والرجل ، بين الحافر وموصل الوظيف . والسرائح : سيور من جلد تشدّ في الأرساغ .

(2) الأبيات 1 – 10 في المنتظم في تاريخ الأمم 373/2 – 374 ، وهي بخلاف في الترتيب في معجم البلدان «الجمد» .

الأبيات 1 – 2 ، 4 – 10 في الروض الأنف 125/1 ، والسيرة النبوية لابن كثير 270/1 .

والأبيات 1 – 8 في نسب قريش ص208 ، وخزانة الأدب 360/3 ، وبلوغ الأرب 271/2 – 272 .

والأبيات 1 – 2 ، 4 – 7 ، 9 – 10 في البداية والنهاية 297/2 – 298 .

والأبيات 1 – 2 ، 4 – 8 في الأغاني 121/3 .

والأبيات 1 – 2 ، 4 ، 6 ، 8 – 10 في الحماسة البصرية 425/2 .

والأبيات 6 – 8 ، 10 في العمدة في محاسن الشعر 34/1 .

والأبيات 1 ، 6 – 7 في المستطرف 133/1 .

والبيت الثاني لزيد بن عمرو بن نفيل في الصحاح «حدد» ، وديوان الأدب 40/3 ، والتنبيه والإيضاح 17/2 ، ولسان العرب «حدد» ، وتاج العروس «حدد» .

وفي نسب قريش ص208 : « فَمَرَّ ببلال بن رباح ، وهو يعذب برمضاء مكة ، فيقول : أحدٌ ، أحدٌ . فوقف عليه ، فقال : أحدٌ ، أحدٌ ، والله يا بلال . ونهاهم عنه ؛ فلم ينتهوا ؛ فقال : والله لئن قتلتموه لأتخذنَّ قبره حناناً ، وقال .... » .

وفي الإصابة 318/6 يقول الحافظ ابن حجر ، في ترجمة ورقة : « حدثنا عثمان عن =

لَقَدْ نَصَحْتُ لأَقْوامٍ وقُلْتُ لَهُمْ : أنا النَّذِيْرُ فَلا يَغْرِرْكُمُ أَحَدُ[1]

لا تَعْبُدُنَّ إلهاً غَيْرَ خالِقِكُمْ فإنْ دَعَوْكُمْ فَقُولُوا : بَيْنَنا حَدَدُ[2]

[سُبْحانَ ذِي العَرْشِ لا شَيءٌ يعادِلُهُ رَبُّ البَرِيَّةِ فَرْدٌ وَاحِدٌ صَمَدُ][3]

سُبْحَانَ ذِي العرشِ سُبْحاناً نَعُوذُ بِهِ وقَبْلُ قَدْ سَبَّحَ الْجُوْدِيُّ والجُمُدُ[4]

- الضحاك بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن عروة بن الزبير .... » .

ثم قال الحافظ ابن حجر : « وهذا مرسل جيد ، يدل على أن ورقة عاش إلى أن دعا النبي ﷺ إلى الإسلام ، حتى أسلم بلال » .

أما قوله : « لأتخذنّ قبره حناناً . فقد وضحه ابن كثير في البداية والنهاية 266/1 بقوله : « أراد : لأجعلن قبره موضع حنان ، أي : مظنة من رحمة الله » .

(1) نصح : أخلص النصح ؛ والنصح : نقيض الغش . والنذير : المنذر . وغرّه يغره غرًّا وغروراً : خدعه وأطعمه الباطل .

(2) في نسب قريش : « لا تعبدون إلاهاً .. فإن أبيتم فقولوا » . وفي الصحاح واللسان والتاج: « فإن دُعيتم ... » . وفي بلوغ الأرب : « فقولوا دونه حدد » .

وفي الصحاح «حدد» : « هذا أمرٌ حددٌ ، أي : منيعٌ حرامٌ ، ولا يحلّ ارتكابه . ودعوة حدد ، أي : باطلة . ودونه حدد ، أي : منعٌ » .

وفي خزانة الأدب 360/3 : « قوله : دونه حدد ، بفتح الحاء والدال المهملتين ، قال صاحب الصحاح : دونه حدد ، أي : منع ... وهو من الحدّ ، بمعنى المنع ؛ أي قولوا : نحن نمنع أنفسنا من عبادة إله غير الله ... » .

(3) هذا البيت زيادة من المصادر السابقة الذكر في التخريج .

وفي اللسان «سبح» : « سبحان الله : معناه تنزيهاً للّه من الصاحبة والولد . وقيل : تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي له أن يوصف » . والعرش : مجلس الرحمن . والبرية : الخلق . والفرد : الله تعالى ، وتقدس هو الفرد ، وقد تفرّد بالأمر دون خلقه . والصمد ، بالتحريك : السيد المطاع الذي لا يُقضَى دونه أمر . والصمد : من صفاته تعالى لأنه أصمدت إليه الأمور فلم يَقْضِ فيها غيره .

(4) اختلفت المصادر في نسبة هذا البيت ، فإضافة لهذه المصادر ، فهو لأمية بن أبي الصلت في ديوانه=

مُسَخَّرٌ كُلَّ ما تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ ... لا يَنْبَغِي أَنْ يُناوِي ملكَهُ أَحَدُ[1]

لا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشاشَتُهُ ... يَبْقَى الإِلَهُ ويُوْدِي المالُ والوَلَدُ[2]

لَم تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْماً خَزائِنُهُ ... والخُلْدَ قَدْ حاوَلَتْ عَادٌ فَما خَلَدُوا[3]

- ص30 ، والكتاب 326/1 ، ومعجم ما استعجم 34/2 ، ولسان العرب « سبح ، جمد ، جود». وهو لزيد بن عمرو بن نفيل في شرح أبيات سيبويه 194/1 . وهو بدون نسبة في المقتضب 217/3 ، وشرح المفصل 37/1 ، 120 ، 36/4 ، وهمع الهوامع 190/1 .

في ديوان أمية : « سبحاناً يعود له وقبلنا سبّح » . وفي المنتظم : « ثم سبحاناً نعود له ». وفي معجم البلدان : « نسبح الله تسبيحاً نجود به وقبلنا سبّح » . وفي الخزانة : « وقبلنا سبّح الجودي » . وفي بلوغ الأرب : « سبحاناً نعود له وقبلنا سبّح » .

وفي الخزانة 360/3 - 361 : « وقوله : نعوذ به ، أي : كلما رأينا أحداً يعبد غير الله عذْنا برحمته وسبّحناه حتى يعصمنا من الضلال . وروى الرياشيّ : نعود له ، بالدال المهملة واللام ، أي : نعاوده مرّة بعد أخرى . والجودي : جبل بالموصل ، وقيل بالجزيرة، كذا ورد في التفسير ؛ قال أبو عبيد في المعجم : رُوِيَ أن السفينة استقلّت بهم في اليوم العاشر من رجب ، واستقرت على الجودي يوم عاشوراء من المحرم .... ورُوي أيضاً : وقبلُ سبّحه الجودي ... إلخ ، بضم لام قبلُ ... » .

وفي معجم البلدان « الجمد » : « الجُمُد : بضمتين ؛ قال أبو عبيدة : هو جبل لبني نصر بنجد».

(1) في الخزانة 361/3 : « وقوله : لا ينبغي أن يناوي ... إلخ ، أي : يعادي ؛ وناواه : عاداه ؛ وأصله من الهمز لأنه من النوء ، وهو النهوض . ورُوي : أن يساوي ، أي : لا يعادله » .

(2) هذا البيت جاء في نسب قريش والخزانة وبلوغ الأرب متأخر الترتيب .

في المستطرف : « بشاشته إلا الإله » . وفي العمدة : « ويفنى المال والولد » . وفي الحماسة البصرية : « ويودي الأهل والولد » .

البشاشة : الطلاقة والحسن . ويودي المال : يقال أودى الشيء ، أي : هلك ، فهو مودٍ .

(3) في مروج الذهب : « لم يغنِ هرمز شيءٌ من خزائنه » . وفي المستطرف : « يوماً ذخائره». لم تغنِ ، أي : لم تنفع وتفيد . والهرمزان : الكبير من ملوك العجم . والخزائن : جمع =

ولا سُلَيْمانُ إِذْ تَجري الرِّياحُ لَهُ والجِنُّ وَالإِنْسُ فيما بَيْنَها بُرُدُ[1]

أَيْنَ المُلوكُ التي كَانَتْ لِعِزَّتِها مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْها وَافِدٌ يَفِدُ[2]

حَوضٌ هُنالِكَ مَوْرُودٌ بِلا كَذِبٍ لا بُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يَوْماً كَما وَرَدُوا[3]

ثم قال السهيلي ، هكذا نسبه أبو الفرج إلى ورقة[4] . وفيه أبيات لأمية بن أبي الصلت . انتهى .

وقال الإمام أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري في كتاب « نسب قريش»، بعد أنساب بني أمية[5] :

« فأما ورقة بن نوفل ، فلم يُعْقِب ؛ وكان قد كره عبادة الأوثان ، وطلب الدين في الآفاق ، وقرأ الكتب . وكانت خديجة بنت خويلد تسأله عن أمر رسول اللّه ﷺ . وقال رسول اللّه ﷺ : لا تسبُّوا ورقةَ ، فإني رأيته في ثيابٍ بيضٍ » .

وهو الذي يقول[6] : [الكامل]

= خزانة ، وأراد ما عنده من ذهب ومال وغيره في خزائنه . وذخائره : مثلها . والخلد : دوام البقاء في دارٍ لا يخرج منها . وعاد : قوم النبي هود عليه السلام .

(1) في نسب قريش : « إذْ أدنى الشعوب له » . وفي بلوغ الأرب : « والإنس يجري بينها». وفي الخزانة 361/3 : « وقوله : ولا سليمان إذ دان .. دان : بمعنى ذلّ وأطاع . والشعوب : جمع شَعْب بفتح فسكون ، وهو ما تشعب ، أي : تفرّق من قبائل العرب والعجم ؛ وبيّنه هنا بقوله : الجنّ والإنس ؛ وضمير بينها للشعوب . والبرد ، بضمتين : جمع بريد ، وهو الرسول » .

(2) العزة : الرفعة والامتناع . وقوله من كل أوب ، أي : من كل صوبٍ وطريقٍ ووجهٍ وناحية . ووفد فلان يَفِدُ وفادة فهو وافد : إذا خرج إلى ملك أو أمير .

(3) حوض هنالك ، أراد حوض الموت الذي لا بد لكل حيٍّ من وروده .

(4) الأغاني 121/3 .

(5) نسب قريش ص207 .

(6) الأبيات 1 – 10 في الأغاني 118/3 ، 4 – 5 فيه 119/3 . =

[رَحَلَتْ قُتَيْلَةُ عِيْرَها قَبْلَ الضُّحَى وأَخالُ أَنْ شَحَطَتْ بِجارَتِكَ النَّوَى][1]

= والأبيات 9 – 12 في الوحشيات من مقطوعة لسعية بن غريض اليهودي ص110 .

والبيتان 9 – 10 في نسب قريش ص208 ، وحماسة البحتري ص252 ، وسمط اللآلي 206/1 ، والتذكرة الحمدونية 266/1 ، وخزانة الأدب 363/3 – 364 ، وبلوغ الأرب 271/2 .

وهما لزهير بن جناب الكلبي في الشعر والشعراء ص296 ، والعقد الفريد 279/1 .

وهما للغريض اليهودي ، أو لسعية بن الغريض ولده في مجموعة المعاني ص319 .

والأبيات 10 – 12 في بهجة المجالس 310/10 للغريض أو لابنه سعية .

وفي خبر الأبيات في الأغاني 117/3 – 118 : « وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا عمر بن شبّة ، قال : حدثنا أحمد بن عيسى ، قال : حدثنا مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي ، قال : حدثني سهل بن المغيرة ، عن الزهريّ ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ ، وأنا أتمثل بهذين البيتين :

ارفع ضعيفك لا يحر ....

يجزيك أو يثني ....

فقال صلى الله عليه وسلم : « رُدّي عليّ قول اليهودي ، قاتله الله ! لقد أتاني جبريل برسالة من ربي : أيُّما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له إلا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه . قال أبو زيد : وقد حدثني أبو عثمان محمد بن يحيى أن هذا الشعر لوَرَقَةَ بن نوفل ، وقد ذكر الزبير بن بكار أيضاً أن هذا الشعر لورقة بن نوفل ، وذكر هذين البيتين في قصيدة أولها : ..... » .

وفي الأغاني 114/3 – 115 : « ارفع ضعيفك لا يحر بك ... الشعر لغريض اليهودي ، وهو السموءل بن عادياء ، وقيل لابنه سعية بن غريض ، وقيل : إنه لزيد بن عمرو بن نفيل، وقيل : إنه لورقة بن نوفل ، وقيل إنه لزهير بن جنابٍ ... » .

الأبيات ما بين معقوفين زيادة من المصادر السابقة .

(1) قتيلة : اسم امرأة . والعير : القافلة ، أو الإبل بأحمالها . وأراد هوادج النساء الراحلات . وشحطت : بعدت . والنوى : الجهة التي يقصدون .

[أَوَ كُلَّما رَحَلَتْ قُتَيْلَةُ غُدْوَةً وغَدَتْ مُفارِقَةً لأَرْضِهِمِ بَكَى][1]

[ولَقَدْ رَكِبْتُ عَلَى السَّفِيْنِ مُلَجِّجاً أَذَرُ الصَّدِيْقَ وأَنْتَحِي دَارَ العِدا][2]

[ولَقَدْ دَخَلْتُ البَيْتَ يُخْشَى أَهْلُهُ بَعْدَ الهُدُوءِ وبَعْدَما سَقَطَ النَّدَى][3]

[فَوَجَدْتُ فِيْهِ حُرَّةً قَدْ زُيِّنَتْ بِالْحَلْيِ تَحْسَبُهُ بِها جَمْرَ الغَضا][4]

[فَنَعِمْتُ بالاً إِذْ أَتَيْتُ فِراشَها وسَقَطْتُ مِنْها حِيْنَ جِئْتُ عَلَى هَوَى][5]

[فَلَتِلْكَ لَذَّاتُ الشَّبابِ قَضَيْتُها عَنِّي فَسائِلْ بَعْضَهُمْ ماذَا قَضَى][6]

[فَرَجُ الرَّبابِ فَلَيْسَ يُؤْدِي فَرْجُهُ لا حاجَةً قَضَّى ولا ماءً بَغَى][7]

ارْفَعْ ضَعِيْفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُهُ يَوْماً فَتُدْرِكَهُ العَواقِبُ قَدْ نَمَى[8]

---

(1) الغدوة : الوقت ما بين الفجر والشروق . وغدت : ارتحلت مفارقة .

(2) السفين والسفائن والسفن : جمع سفينة ، أراد تعوم هذه الحمول في الصحراء كعوم السفين . والملجج : الذي يخوض لجج البحر . وأنتحي : أميل وأتجه . وأذر : أترك .

(3) في الأغاني : « ولقد طرقت البيت » .

يخشى أهله : أراد منعتهم وعزتهم وقوتهم وبطشهم حتى يخشاهم من يدخل ديارهم . وبعد هدوء من الليل ، أي : بعد هزيع من الليل . والندى : المطر .

(4) الحرة : الشريفة الكريمة من النساء . والحلي : ما تُزَيَّنَ به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة . والغضا : ضرب من الشجر .

(5) نعمت بالاً ، أي : قرّت عيني وهدأت بما رأت . والبال : الحال والشأن . والهوى : الحب .

(6) اللذات : جمع لذة . واللذة : نقيض الألم ، ولذات الشباب ، أراد نعمته وفرحه وسروره بما يقطف . والشباب : الفتاء والحداثة .

(7) الفرج : انكشاف الكرب وذهاب الغمّ . والرباب : السحاب الذي قد ركب بعضه بعضاً وتدلى . وأراد بقوله : فرج الرباب أمطاره التي تفرج الغم وتعطي الخير والبركة . وأدى : أمكن وأعطى ، أخذ من قولهم : أدى السقاء يأدي أُدِيًّا : أمكن .

(8) في الشعر والشعراء والعقد الفريد : « فتدركه عواقب ما جنى » .

يَجْزِيكَ أَو يُثْنِي عَلَيْكَ وإنَّ مَنْ ... أَثْنَى عَلَيْكَ بِما فَعَلْتَ كَمَنْ جَزَى[1]

[إنَّ الكَرِيْمَ إذَا أَرَادَ وِصالَنَا ... لَمْ يُلْفِ حَبْلِي وَاهِياً رَثَّ القُوَى][2]

[أَرْعَى أَمانَتَهُ وأَحْفَظُ غَيْبَهُ ... جَهْدِي فَيأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ ما آتَى][3]

27 /فَمَرَّ ببلال بن رباح ﷺ، وهو يعذبُ برمضاء مكّة، فيقول: أَحَدٌ أَحَدٌ. فوقف عليه، فقال: أَحَدٌ أَحَدٌ، واللّه يا بلال. ونهاهم عنه؛ فلم ينتهوا، فقال: واللّه لئن قتلتموه لأتخذنّ قبره جناناً. وقال[4]: [البسيط]

لَقَدْ نَصَحْتُ لأَقْوامٍ وقُلْتُ لَهُم ... أَنا النَّذِيْرُ فَلا يَغْرُرْكُمُ أَحَدُ

لاَ تَعْبُدُونَ إلهاً غَيْرَ خالِقِكُمْ ... فإنْ أَبَيْتُمْ فَقُولُوا بَيْنَنَا حَدَدُ

سُبْحانَ ذِي العَرْشِ لا شَيءٌ يَعُادِلُهُ ... رَبُّ البَرِيَّةِ فَرْدٌ وَاحِدٌ صَمَدُ

سُبْحانَهُ ثُمَّ سُبْحاناً يَعُودُ لَهُ ... وقَبْلُ سَبَّحَهُ الْجُوْدِيُّ والْجَمَدُ

- يحر: يرجع؛ من الحور: وهو النقصان بعد الزيادة، لأنه رجوع من حال إلى حال. والعواقب: جمع عاقبة، وعاقبة كل شيء: آخره. وأراد الحوادث. ونمى: زاد وكثر. ولعله أراد بضعيفك: اللسان، أو الفؤاد.

(1) في الوحشيات: « يثني عليك فقد ». وفي مجموعة المعاني وسمط اللآلي والتذكرة الحمدونية: « بما صنعت فقد جزى ».

يجزيك، من الجزاء: وهو المكافأة ثواباً ويكون عقاباً. ويثني: من الثناء.

(2) في الوحشيات: « إذا أردت إخاءه لم تُلْفِ ».

الكريم: الذي كرم نفسه عن التدنس؛ وقيل: هو الرجل الحسيب. والوصال: الوصل. والواهي: الرث. والرث: الخلق البالي. والقوى: جمع قوة. وأراد قوة حبل المودة.

(3) في الوحشيات: « وأحفظ عهده عندي ويأتي بعد ... ».

أرعى أمانته: أحفظها. والأمانة نقيض الخيانة. وأراد بقوله: عهده: عهد المودة. والغيب: ما غاب عنك. وأراد أحفظ عهده مدة غيابه. والجهد: الطاقة.

(4) سبق لنا تخريج الأبيات وشرحها.

مُسَخَّرٌ كُلُّ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ ... لا يَنْبَغِي أَنْ يُساوِيَ ملكَهُ أَحَدُ

لَم تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْماً خَزَائِنُهُ ... والخُلْدَ قَدْ حاوَلَتْ عَادٌ فَما خَلَدُوا

ولا سُلَيْمانُ إِذْ دانَ الشُّعوبَ لَهُ ... الجِنُّ وَالإِنْسُ تَجري بَيْنَها البَرَدُ

لا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشاشَتُهُ ... يَبْقَى الإِلَهُ ويُوْدِي المالُ والوَلَدُ

انتهى .

وقال السهيلي : لأتخذنّه حناناً ، أي : لأتخذنّ قبره منسكاً ومترحماً ؛ والحنان: الرحمة . انتهى .

وسيأتي لورقة شعر حسنٌ في موضع أنسب له من هذا .

وقال الشيخ شمس الدين محمد الكفيري الشافعي في توضيحه للبخاري . قال المرزباني : كان ورقة من علماء قريش وشعرائهم ، وكان يدعى : القَسّ .

وقال النبي ﷺ : « رأيته ، وعليه حُلّة خضراء يرفل في الجنة[1] . وكان يذكر اللّه في شعره في الجاهلية ويسبّحه » . انتهى .

قلت ، وبعد . هذا من كلامه . ويذكر حال النبي ﷺ ، وذكر من شعره قوله: يا للرجال ، ... القصيدة الآتية ، وذكر هذه القصيدة الحاكم في « المستدرك » .

وروى الحافظ أبو زرعة الرازيّ في كتابه « دلائل النبوة » ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن زيد بن عمرو ، وورقة بن نوفل /ذهبا نحو الشّام في الجاهلية يلتمسان الدين ، فأتيا على راهبٍ ، فسألاه عن الدينِ ، فقال : إن الذي تطلبان لمّا يجيء بعد، وهذا زمانه ، وإن هذا الذي يخرج من قبل تيماء ، فرجعا . 27/ب

فقال ورقة : فأما أنا فأقيم على نصرانيتي ، حتى يأتي هذا الدين . وقال زيد: فأمّا أنا فأعبد ربّ هذا البيت ، حتى يأتي هذا الدين . انتهى .

وقد صرّح هذا الخبر بأنه حين يقع تصديقه بالنبي الموعود به ، يكون ترك النصرانية،

---

(1) يرفل : يجرّ ذيله ويتبختر .

لعلمه بأن نفس مجيئه نسخ لجميع الأديان والملل ، فإنه مبعوث إلى جميع الخلق .

وقال ابن كثير ، وروى الحافظان البيهقي وأبو نعيم في كتابيهما « دلائل النبوة» من طريق يونس بن بكير . قُلتُ[1] : وهو في زيادات المغازي ، من رواية يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق .

قال يونس بن بكير ، عن يونس بن عمر ، وقلت : وهو ابن أبي إسحاق السبيعي ، عن أبيه ، [عن جده] عن عمرو بن شرحبيل ، وهو أبو ميسرة ، من كبار التابعين أن رسول اللّه ﷺ ، قال لخديجة رضي اللّه عنها : « إنّي إذا خلوت [وحدي] ، سمعتُ نداءً ، وقد خشيت واللّه ، أن يكون لهذا أمر » .

قالت : معاذ اللّه ، ما كان اللّه ليفعل ذلك بك ، فو اللّه إنك لتؤدي الأمانة ، وتصل الرحم ، وتصدقُ الحديث .

فلما دخل أبو بكر ، وليس رسول اللّه ﷺ ، ثم ذكرت له خديجة ، فقالت : يا عتيق ، اذهب مع محمدٍ إلى ورقة . فلما دخل رسول اللّه ﷺ ، أخذ بيده أبو بكر، فقال : انطلق بنا إلى ورقة .

قال : ومن أخبرك . قال : خديجة ، فانطلقا إليه ، فقصّا عليه ، فقال رسول اللّه ﷺ : « إذا خلوت وحدي ، سمعت نداءً خلفي : يا محمد . فأنطلقُ جارياً في الأرض » . قال له : لا تفعل إذا أتاك ، فاثبت حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتني ، فأخبرني .

فلما خلا ناداه : يا محمد ، قل : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، الحمد للّه ربّ العالمين،
28 حتى بلغ ولا /الضّالين ، ثم قلْ : لا إله إلا اللّه .

فأتى ورقة ، فذكر له ذلك ، فقال له ورقة[2] : أبْشِرْ ، ثم أَبْشِر ، ثم أَبْشِرْ . فأنا أشهد أنك الذي بَشَّرَ به ابن مريم ، وأنك على مثل ناموس موسى ، وأنك نبيٌّ

---

(1) الإصابة 317/6 – 318 .

(2) الإصابة 318/6 .

مرسل ، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، [فإن] أدركني ذلك لأجاهدنّ معك.

فلما توفي ، قال رسول اللّه ﷺ : « لقد رأيت القسّ في الجنة ، عليه ثياب حرير، لأنه آمن بي ، وصدقني ، يعني ورقة » . لفظ البيهقي . قال : وهو مرسل[1]، وفيه غرابة ، وهي كون الفاتحة أول ما نزل . انتهى .

وليس فيه التصريح ، بأنها أول ما نزل ، فيمكن أن يكون هذا واقع بعد فترة من الفترات ، بعد نزول : « اقرأ » بيوم أو يومين ، أو نحو ذلك ، لكون النداء أتاه ﷺ على غير الهيئة الماضية ، أو غير ذلك من العوارض ، ولا تدع أن يعاود الخوف في مثل ذلك ، فإن أوائل الأمور لها روعات .

وأما كونه مرسلاً ، فلا يضرّ ما فيه ، مما يوافقه ما في الصحيح لتأيده به ، وهو أن إيمانه بعد مجيء جبريل عليه السلام ، واعترافه بأنه وحيُ رسالة ، مثل ما أوحي إلى موسى عليه السلام في كونه يخالف مألوف الناس ، فيوجب الجهاد .

وقال شيخنا ابن حجر في تفسير سورة « اقرأ » ، من شرحه للبخاري . وهذا أصرح ما جاء في إسلام ورقة رضي الله عنه ، وعضده في كتابه « في الصحابة » بما رواه الزبير بن بكار في بلال ، كما سيأتي .

وفي هذا الحديث أن النبي ﷺ شهد لورقة رضي الله عنه أنه آمن به ، وصدّقه ، وفيه أن ورقة شهد أن الآتي إلى النبي ﷺ ، جبريل عليه السلام . وشهد له بالنبوة وبالرسالة .

ومن المعلوم الذي لا شك فيه أنه موّحدٌ من أيام الجاهلية ، لا يشرك باللّه شيئاً، كما شهدت بذلك أشعاره ، وأثاره المنقولة عنه ، وأخباره رضي الله عنه ، فقد شهد أن لا

---

(1) في الإصابة 318/6 بعد ذكره الحديث : « وقد أخرجه البيهقي في الدلائل من هذا الوجه . وقال : هذا منقطع » .

حديث مرسل : إذا كان غير متصل الإسناد ، وجمعه مراسيل .

28 ب إله إلا اللّـه ، /وشهد أنّ محمداً رسول اللّـه ، وعيّنه بكل تعيين .

وأخرج هذا المرسل الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري في سيرته ، من رواية يونس ، عن ابن إسحاق بسنده إلى أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ، بلفظ سياق البيهقي ، إلى قوله ، يعني ورقة .

ورواه الإمام أبو زرعة الرازي في كتابه «الدلائل» ، عن عمرو بن شرحبيل ، وقال : إذا خلوتُ سمعت نداءً ، فإذا سمعتُه هربت في الأرض ، ولقد خفتُ أن يكون خولط عقلي . قالت : مَعاذَ اللّـه . وقال بعد قوله : لا تفعل إذا سمعته ، فلا تفرَّن ! انظر ما يقال لك ، فسمع : يا محمد ، قل بسم اللّـه ، لا إله إلا اللّـه وأن محمداً رسول اللّـه . اقرأ باسم اللّـه الرَّحمن الرَّحيم ، إلى آخره . فلما بلغ ، ولا الضّالين . قال آمين .

ثم أتى ورقة ، إلى أن قال : فمات ورقة قبل ذلك . فقال رسول اللّـه ﷺ : لقد رأيته في القصر في الجنة ، عليه ثياب الحرير ، هكذا في نسختي ، في القصر . وأظنه مصحف من القسّ ، ليوافق غيره .

وروي هذا الحديث أيضاً عن أبي ميسرة ، من رواية يونس ، عن ابن إسحاق أبي القاسم السهيلي في « الروض الأنف » . وقال في آخره ، وفي رواية يونس أيضاً ، أنه عليه الصلاة والسلام ، قال لرجل سَبَّ ورقة[1] : « أما علمت أني رأيت لورقة جنة أو جنتين » . ثم قال وهذا الحديث الأخير . قد أسنده البزار . انتهى .

وهو يعني بالحديث الأخير رواية الجنة لورقة . وقد رواه الحافظ أبو زرعة في دلائله من طرق كثيرة جداً . وقد شهد أن الناموس جاء محمداً ﷺ .

وقد قال الشيخ محي الدين النووي : واتفقوا على أن جبريل يسمى الناموس[2] .

---

(1) الإصابة 319/6 .

(2) في اللسان «نمس» : « الناموس : جبريل ، صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم ، وأهل الكتاب يسمون جبريل ، عليه السلام : الناموس . وفي حديث المبعث : أن خديجة ، رضوان=

واتفقوا على أنه المراد هنا ، يعني في حديث عائشة رضي اللّه عنها في الصحيح في بدء الوحي ، ثم قال النووي ، قال الهروي : سمي ذلك لأن اللّه خصّه بالغيب والوحي . انتهى .

29 وقال ابن كثير ، وقدّمنا /من شعره ما يدل إضماره الإيمان ، وعقده عليه ، وتأكده عنده ، وذلك حين أخبرته خديجة رضي اللّه عنها ما كان من أمره مع غلامها ميسرة ، وكيف كانت الغمامة تظلّه في هجير القيظ . ثم ذكر من الحمد والحكمة الماضيتين أبياتاً .

ثم قال ، وقال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، وقال ورقة بن نوفل[1] : [الطويل]

وإنْ يَكُ حقًّا يا خديجةُ فاعْلَمي ... حديثُكِ إيّانا فأحْمَدُ مُرْسَلُ[2]

فجبريلُ يأتيهِ وميكالُ مَعْهُما ... مِنَ اللّهِ وَحْيٌ يشرحُ الصّدرَ مُنزلُ[3]

- اللّه عليها ، وصفت أمر النبي ﷺ ، لورقة بن نوفل ، وهو ابن عمها ، وكان نصرانيًّا قد قرأ الكتب ، فقال : إنْ كان ما تقولين حقًّا ، فإنه ليأتيه الناموس الذي كان يأتي موسى عليه السلام » .

(1) الأبيات 1 – 7 في البداية والنهاية 11/3 ، والسيرة النبوية لابن كثير 400/1 .
والأبيات 1 – 6 في خزانة الأدب 366/3 ، وبلوغ الأرب 274/2 – 275 .
والأبيات 1 – 3 ، 5 – 6 في تاريخ الإسلام للذهبي ص133 .

(2) في تاريخ الإسلام للذهبي : « إن يك ... حديثك إيّاها » . وعلى هذه الرواية يكون قد دخل البيت خرم ، وهو حذف المتحرك الأول من الوتد المجموع .
حقاً ، أي : قولك حقٌّ . والحق : نقيض الباطل . والمرسل : المبعوث . أراد رسولاً مرسلاً من عند اللّه .

(3) في البداية والنهاية والسيرة النبوية لابن كثير : « وجبريلُ » . وفي الخزانة وبلوغ الأرب : « وميكال فاعلمي من اللّه » . =

يفوزُ به مَنْ فازَ فيها بتوبَةٍ ... ويَشْقَى به العاتي الغَرِيْرُ المُضَلَّلُ[1]

فَريقانِ منهُمْ فرقَةٌ في جنانِهِ ... وأخرى بأجوازِ الجحيمِ تُغَلَّلُ[2]

إذا ما دَعَوا بالوَيْلِ فيها جميعهم ... تتابعَ فِي هاماتِهِمْ ثُمَّ تُشْعَلُ[3]

فَسُبْحانَ مَنْ تَهْوِي الرِّياحُ بِأمْرِهِ ... ومَنْ هُوَ في الأيَّامِ ما شاءَ يَفْعَلُ[4]

ومَنْ عَرْشُهُ فوقَ السَّماواتِ كُلِّها ... وأقْضاؤُه في خَلْقِهِ لا تُبَدَّلُ[5]

- جبريل : اسم روح القدس ، عليه السلام . والوحي : ما يوحيه الله إلى أنبيائه . والوحي أيضاً : الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام . ومُنزل : من عند ربّه .

(1) فاز : من الفوز ، وهو الظفر بالخير والنجاة من الشرّ . والتوبة : الرجوع من الذنب . والعاتي : الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل موعظة . والغرير : الشاب الذي لا تجربة له .

(2) في البداية والنهاية : « الجحيم تعلل » . وهو تصحيف . وفي السيرة النبوية لابن كثير : «بأحواز الجحيم » بالحاء المهملة .

الفرقة : الطائفة من الناس . وقوله : فرقة في جنانه ، أي : تنعم في جنانه ، أي : في جناته . والأجواز : الأوساط ، الواحد جوز . وتغلل : تدخل ، وأراد الفرقة الثانية التي تدخل الجحيم . والأحواز : بالحاء المهملة : جمع حوز ، وهو الناحية .

(3) في البداية والنهاية والسيرة النبوية لابن كثير : « بالويل فيها تتابعت مقامع » .

الويل : الحزن والهلاك والمشقة من العذاب . والمقامع : الجرزة وأعمدة الحديد منه يضرب الرأس بها . قال تعالى : « ولهم مقامع من حديدٍ » . والهامات : جمع هامة ، وهي أعلى الرأس .

(4) في البداية والنهاية : « يهوي الرياح » .

سبحان الله : تنزيهاً لله من الصاحبة والولد ، وقيل : تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي له أن يوصف . وهوت الريح : هبّت .

(5) العرش : سرير الملك . والعرش ههنا مجلس الرحمن . وأقضاؤه : جمع قضاء ، وهو الحكم. ولا تبدل ، أي : لا تتبدل .

قال . وقال ورقة أيضاً[1] : [البسيط]

يا للرِّجالِ وصَرْفِ الدَّهْرِ والقَدَرِ ... وما لشيءٍ قضاهُ اللّهُ من غِيَرِ[2]

حتّى خديجةُ تدعوني لأخبرَها ... وما لنا بِخفيِّ الغَيْبِ من خَبَرِ[3]

جاءَتْ لتسألَني عنهُ لأُخْبِرَها ... أمراً أراه سيأتي النّاسَ مِنْ أُخَرِ[4]

فخبَّرَتْني بأمْرٍ قد سَمِعْتُ بهِ ... فيما مَضَى من قَديمِ الدَّهْرِ والعُصُرِ[5]

بأنَّ أحمدَ يأتيهِ فَيُخْبِرُهُ ... جبريْلُ أنّكَ مبعوثٌ إلى البَشَرِ[6]

---

(1) الأبيات 1 – 12 في السيرة الجامعة ص119 ، وخزانة الأدب 366/3 – 367 ، وبلوغ الأرب 275/2 .

والأبيات 1 – 2 ، 4 – 12 في البداية والنهاية 11/3 ، والسيرة النبوية لابن كثير 401/1 .

والأبيات 1 ، 3 – 12 في الروض الأنف 125/1 .

والأبيات 1 – 2 ، 5 – 6 في الإصابة 318/6 .

(2) في السيرة الجامعة : « لصرف الدهر في القدر » . وفي الروض الأنف : « لصرف الدهر والقدر » .

صرف الدهر : حوادثه ونوائبه . وغير الدهر : أحواله المتغيرة .

(3) في السيرة النبوية والخزانة وبلوغ الأرب : « جاءت خديجة » . وفي الإصابة : « هذي خديجة تأتيني » .

(4) في السيرة الجامعة : « أمراً عظيماً » .

الأمر : واحد الأمور ، والأمر : الحادثة .

(5) في السيرة الجامعة : « الدهر والعمر » . وفي السيرة النبوية لابن كثير والبداية والنهاية : «وخبرتني بأمرٍ » .

العُصُر : الدهر .

(6) أحمد : محمد بن عبد الله الرسول الكريم ﷺ . وجبريل : اسم روح القدس ، عليه السلام . والمبعوث : المرسل ، وأراد من قبل ربّه .

فقلْتُ عَلَّ الذي تَرْجِيْنَ يُنْجِزُهُ ... لكِ الإلَهُ فَرَجِّي الخيرَ وانْتظِرِي[1]

وأرْسِلِيْهِ إلينا كي نُسائِلَهُ ... عَنْ أمْرِهِ ما يَرَى فِي النَّوم والسَّهَرِ[2]

فَقالَ حيْنَ أتانا مَنْطِقاً عَجَباً ... يَقِفُّ منه أعالي الجِلْدِ والشَّعَرِ[3]

إنِّي رأيْتُ أمينَ اللّهِ واجَهَنِي ... في صُوْرَةٍ أُكْمِلَتْ مِنْ أعْظَمِ الصُّوَرِ[4]

29/ب ثم استَمَرَّ فكادَ الخوفُ يُذْعِرُني ... مِمَّا يُسَلِّمُ ما حولي من الشَّجَرِ[5]

فقُلْتُ ظَنِّي وما أدْرِي أيَصْدُقُني ... أنْ سوفَ يُبْعَثُ يَتْلُو مُنْزَلَ السُّوَرِ[6]

وسوفَ أُبْلِيكَ إنْ أعْلَنْتَ دَعْوَتَهُمْ ... مِنَ الجِهادِ بلا مَنٍّ ولا كَدَرِ[7]

---

(1) في الإصابة : « له الإله فرجّي » .

ترجين : تأملين . وينجزه : يقضيه .

(2) نسائله : نسأله .

(3) في السيرة الجامعة : « يقفّ منه صحيح الجلد » .

وفي اللسان «قفّ» : « وقفّ شعري ، أي : قام من الفزع . الفراء : قفّ جلده يقفّ قفوفاً ، يريد اقشعرّ » .

(4) في السيرة الجامعة : « من أهيب الصور » . وفي الروض الأنف : « في أهيبِ الصور » .

أمين الله : جبريل عليه السلام . والمواجهة : المقابلة وجهاً لوجهٍ .

(5) في السيرة الجامعة : « استمرّ وكاد الخوف ... من حولي من الشجر » . وفي الروض الأنف: « فكاد الخوف ... من حولي من الشجر » . وفي البداية والنهاية والسيرة النبوية : « من حولي من الشجر » .

يذعرني : يخيفني ويفزعني .

(6) في السيرة الجامعة والروض الأنف : « تبعث تتلو منزل » .

الظن : الشك واليقين . ويبعث ، أي : يكون مبعوثاً لهذه الأمة . ومنزل السور ، أي : ما ينزل عليه من ربّه من السور والآيات .

(7) في البداية والنهاية والسيرة النبوية : « وسوف يُبْلِيك » .

أبليك : أستخبرك فتخبرني . وأعلنت : جاهرت . ومَنَّ عليه يمنّ منًّا : أحسن وأنعم ؛ =

قال ابن كثير : هكذا أورد ذلك الحافظ البيهقي في « الدلائل » ، وعندي في صحتها عن ورقة نظر ، واللّه أعلم . انتهى .

وكان هذا على تقدير صحته ، شبهه من نفى صحبته أو إسلامه ، لقوله : فقلت : ظني ... البيت . فظنّ أنه شك في الرسالة ، وليس الأمر كذلك ، للجمع بين هذا ، وبين تصديقه في غيره من الأخبار حتى التي في الصحيحين ، بل بينه وبين قوله في هذه القصيدة نفسها ، فقال : حين أتانا ... الأبيات الثلاثة .

وإنما وقع ظنه على الأمر بالجهاد ، فمعنى يبعث ، أي : على جهاد الكفار عن قربٍ ، بدليل قوله : وسوف أبْلِيْكَ إنْ أعلنت دعوتهم ... ولم يذكر هذه الأحاديث الرؤيا ، ولا شك أنها كانت أول أمره ، كما روته عائشة رضي اللّه عنها وغيرها . فكان لا يرى رؤيا إلا كانت مثل فلق الصبح ، لأن رؤيا الأنبياء عليهم السّلام وحيٌ .

وقال ابن كثير ، قال ابن إسحاق[1] : فحدثني وهب بن كيسان[2] ، مولى للزبير ، قال : سمعت عبد اللّه بن الزبير ، وهو يقول لعُبَيد بن عُمَيْر بن قتادة الليثي : حَدِّثْنا يا عبيد ، كيف كان بدءُ ما ابتُدِئَ به رسول اللّه ﷺ [من النبوة] ، حين جاءه جبريل ؟ فقال عبيد ، وأنا حاضرٌ يحدث عبد اللّه بن الزبير ، ومن عنده من الناس : كان رسول اللّه ﷺ يجاور[3] في حراء في كلّ سنة شهراً .

قال : وكان ذلك مما تحنّث به قريش في الجاهلية . والتحنث : التبرر .

فكان[4] رسول اللّه ﷺ يجاور ذلك الشهر في كل سنة ، يُطْعم مَنْ جاءه من

- ومَنَّ عليه وامْتَنَّ وتَمنّنَ : قرّعه بِمِنّةٍ . والكدر : نقيض الصفاء .

(1) السيرة النبوية لابن هشام 235/1 .

(2) ابن كيسان : هو وهب بن كيسان القرشي مولى آل الزبير ، أبو نعيم المدني المعلم المكي . روى عن أسماء بنت أبي بكر وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم .

(3) يجاور : يعتكف .

(4) السيرة النبوية لابن هشام 236/1 .

المساكين . فإذا قضى جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من
30 جواره ، يأتي الكعبة قبل أن يدخل بيته ، /فيطوف بها سبعاً ، أو ما شاء اللّه من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد اللّه به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثه فيها .

وذلك الشهر [شهر] رمضان ، خرج إلى حراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه اللّه فيها برسالته ، ورحِمَ العبادَ به ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر اللّه تعالى .

قال رسول اللّه ﷺ فجاءني [جبريل] ، وأنا نائمٌ بنمط[1] من ديباج ، فيه كتاب[2] ، فقال : اقرأ . قال : قلت : ما أقرأ . قال : فَغَتَّنِي[3] به حتى ظننتُ أنه الموت .

ثم أرسلني ، فقال[4] : اقرأ ، إلى أن قال ، ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي ، بمثل ما صنع بي .

فقال : ﴿ اقرأ باسم ربِّك الذي خَلَقَ ، خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقرأ وربُّكَ الأكرمُ الذي عَلَّم بالقَلَمِ عَلَّم الإنسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ﴾[5] .

قال فقرأتها ، ثم انتهى ، وانصرف عني ، وهببت من نومي ، فكأنما كتب في قلبي كتاباً . قال : فخرجت حتى إذا كنتُ في وسط من الجبل ، سمعتُ صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول اللّه وأنا جبريلُ . فرفعت رأسي إلى السماء ، أنظر ،

---

(1) النمط : وعاء كالسفط .

(2) قال بعض المفسرين ، في قوله تعالى : « ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه » إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاء به جبريل حين قال له : اقرأ .

(3) الغَتُّ : حبس النفس .

(4) السيرة النبوية لابن هشام 237/1 .

(5) سورة العلق : 1/96 - 5 .

فإذا جبريل عليه السلام في صورة رجل صافّ قدميه في أفق السماء ، يقول : يا محمد أنت رسول اللّه ، وأنا جبريل ، [قال :] فوقفت أنظر إليه ، فما أتقدم ، ولا أتأخر . وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، فلا أنظر في ناحية إلا رأيته كذلك .

فما زلت[1] واقفاً ما أتقدم أمامي ، ولا أرجع ورائي ، حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي حتى بلغوا مكّة ، ورجعوا إليها ، وأنا واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة رضي اللّه عنها ، فجلست إلى فخذها ، مضيفاً[2] إليها فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنتَ ؟ فو اللّه لقد بعثت رُسُلي في طلبك ، حتى بلغوا مكة ، ورجعوا إليّ ، ثم حدّثتها بالذي رأيتُ ، وسمعتُ .

30 ب

فقالت[3] : أبشر يا ابن عم ، واثبت فو الذي نفس خديجة /بيده ، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول اللّه ﷺ .

فقال ورقة بن نوفل : قُدُّوس قُدُّوس[4] ، والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنتِ صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى . وإنه نبي هذه الأمة ، فقولي له : فليثبُتْ .

فرجعت خديجة إلى رسول اللّه ﷺ . فأخبرته بقول ورقة ، فلما قضى رسول اللّه ﷺ جواره ، وانصرف ، صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطاف بها ، فلقيه

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام 237/1 .

(2) مضيفاً : ملتصقاً .

(3) السيرة النبوية لابن هشام 238/1 .

(4) قدوس قدوس ، أي : طاهر طاهر . وأصله من التقديس ، وهو التطهير .

ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة ، فقال له : يا ابن أخي أخبرني بما رأيتَ ، وسمعتَ ، فأخبره .

فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتُكذّبَنّه ولتُؤْذَيَنّه ولتُخْرَجَنّه ولتقاتلنّه . ولئن [أنا] أدركت ذلك لأنصرنَّ اللّه نصراً يعلمه . ثم أدنى رأسه منه ، فقبّل يافوخه ، ثم انصرف رسول اللّه ﷺ إلى منزله .

وهكذا أخرجه الحافظ أبو الفتح ابن سيّد الناس اليعمري في سيرته بهذا اللفظ . وهذّبه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق . وساقه الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعي ، عن عبيد بن عمير الليثي بهذا اللفظ . وأخرجه الإمام أبو زرعة الرازي، عن ابن إسحاق بهذا السند ، وقال : وكان ناسك قريش في جاهليتها .

ثم قال : فبينا رسول اللّه ﷺ بحراء ، وكان يقول : لم يكن من خلق اللّه شيء أبغض إليّ من شاعر أو مجنون ، كنت لا أطيق النظر إليهما ، والباقي بنحوه .

وقال : فكأنما صور في قلبي كتاباً ، قال : قلت في نفسي إنّ الأبعد الآن شاعرٌ
31 أو مجنونٌ ، ثم قال : لا يحدّث /عني قريش بهذا أبداً ، لأعمدن إلى حالق[1] من الجبل، فلأطرحنّ نفسي منه فلأقتلنّها .

قال : فخرجت وما أريد غير ذلك . فبينا أنا عامدٌ لذلك ، إذ سمعتُ منادياً ينادي من السماء : يا محمد ، أنت رسول اللّه ، وأنا جبريل ، فذهبت أرفع رأسي، فإذا صافّ قدميه ، ثم قال : ورجعوا ، أي : الرسل إليها .

فلم أزل كذلك حتى كاد النهار يتحول ، ثم انصرفت ، فجئت خديجة ، فقالت : أين كنت ؟ فقلت : إني أعدّ الآن شاعراً أو مجنوناً ، فقالت له : معاذَ اللّه.

---

(1) الحالق من الجبال : المنيف المشرف ولا يكون إلا مع عدم نبات . ويقال : جاء من حالق ، أي : من مكان مشرف .

وفي أخرى : ثم أدنى رأسه ، فقبل سوأته ، وذكر هذا الحديث ، عن ابن إسحاق الإمام أسامة بن مرشد في السيرة التي جمعها في أخبار النبي ﷺ ، والبدريين من أصحابه ، وهو كتاب نفيسٌ يدل على كثرة اطلاعه ، وزاد فيه بعد قوله : ثم انطلقت إلى ورقة ، وهو ابن عمّها ، وكان ورقة قد تنصَّر ، وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوارة والإنجيل ، فأخبرته .

قال ابن كثير : وهذا الذي ذكره عبيد بن عمير ، كما ذكرنا كالتوطئة لما جاء بعده في اليقظة كما تقدم من قول عائشة رضي اللّه عنها ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ويحتمل أن هذا المنام كان بعده ما رآه في اليقظة صبيحة ليلته . ويحتمل أنه كان بعده بمدةٍ ، واللّه أعلم .

وقال موسى بن عقبة ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، قال : وكان فيما بلغنا أول ما رأى ، يعني رسول اللّه ﷺ ، أن اللّه تعالى أراه رؤيا في المنام ، فشق ذلك عليه ، فذكره لامرأته خديجة رضي اللّه عنها . فعصمها اللّه من التكذيب ، وشرح صدرها للتصديق ، فقالت : أبشر ، فإن اللّه لن يصنع بك إلا خيراً ، ثم أنه خرج من عندها ، ثم رجع إليها فأخبرها : أنه رأى بطنه /شقّ ، ثم غسل وطُهّر ، ثم أعيد كما كان . 31/ب

قالت : واللّه هذا خير . فأبشر ثم استعان له جبريل ، وهو بأعلى مكة ، فأجلسه على مجلسٍ كريمٍ معجب ، كان النبي ﷺ ، يقول : « أجلسني على بساط كهيئة الدُّرْنُوك[1] ، فيه الياقوت واللؤلؤ ، فبشّره برسالة اللّه ﷻ حتى اطمأن رسول اللّه ﷺ ، فقال له جبريل عليه السلام : اقرأ » .

فقال : كيف أقول ، قال : اقرأ باسمِ ربِّك الذي خَلَقَ ، خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ عَلَقٍ، اقرأ وربُّكَ الأكرمُ الذي عَلَّمَ بالقَلَمِ ، عَلَّمَ الإنسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ .

قال : ويزعم أناسٌ أن : يا أيّها المدثر . أول سورة أنزلت عليه . واللّه أعلم .

---

(1) الدرنوك : الطنفسة ؛ وقيل : البساط ، وجمعه درانك .

فقبل رسول اللّه ﷺ رسالة ربّه ، واتبع ما جاء به جبريل من عند اللّه . فلما انصرف منقلباً إلى بيته ، جعل لا يمرّ على شجرٍ ، ولا حجرٍ إلا سلّم عليه . فرجع إلى أهله مسروراً موقناً [بأنه] قد رأى أمراً عظيماً .

فلما دخل على خديجة رضي اللّه عنها ، قال : أرأيت الذي كنت أحدثك أني رأيته في المنام ، فإنه جبريل ، استعان لي ، أرسلك إليّ ربي ﷻ ، وأخبرها بالذي جاءه من اللّه ﷻ ، وما سمع منه . فقالت : أبشر ، فو اللّه لا يفعل اللّه بك إلا خيراً ، واقبل الذي جاءك من أمر اللّه ، فإنه حقٌّ . وأبشر بأنك رسول اللّه حقاً .

وانطلقت مكانها ، فأتت غلاماً لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانياً من أهل نينوى ، يقال له : عَدّاس[1] . فقالت له : يا عداسُ أذكرك باللّه إلا ما أخبرتني : هل عندك عِلْمٌ مَنْ جبريل ؟

فقال عدّاس : قُدّوس ، قُدّوس . ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان . فقالت : أخبرني بعلمك . قال : فإنه أمين اللّه ، بينه وبين النبيين . وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام .

فرجعت خديجة رضي اللّه عنها من عنده ، فجاءت ورقة بن نوفل ، فذكرت
32 له /ذلك ما كان من أمر النبي ﷺ ، وما ألقاه إليه جبريل ، فقال لها ورقة : بنيّة أخي ، لعل صاحبك النبي الذي ينتظره أهل الكتاب الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، وأقسم باللّه لئن كان إيّاه ، ثم أظهر دعواه ، وأنا حيٌّ ، لأبلينَّ اللّه في طاعة رسوله ، وحسن مؤازرته بالصبر والنصر . فمات رحمه اللّه . انتهى .

وفيه اقتران النبوة بالرسالة ، وليس فيه ذكر الموت ، على النصرانية .

---

(1) عدّاس : رجل نصراني من أهل نينوى ، قرية النبي الصالح يونس بن مَتّى . له خبر مع الرسول ﷺ في السيرة النبوية لابن هشام 421/1 .

وسيرة ابن عقبة أصبح السير ، وذلك مما يزيد النكارة في زيادتها ، كما سيأتي من حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما من سيرة ابن جابر ، من طريق عثمان بن عطا ، أحد الضعفاء . وكان هذا الكلام الأخير شبهه من نفى إسلامه ، لظنه أن قوله : ثم مات ، مع سكوته عن اللقاء والتصديق .

قال على أنه لم يقع ، وكذا قوله أظهر داعوه ، وليس في ذلك شيء يصبح متمسكاً له ، فإن الذي سكت عنه هذا ذكره غيره . والمراد بإظهار الدعوى ، الجهاد . وقد صرح الحديث الذي في الصحيح بإيمانه ، وليس من شرط صحة الإيمان إدراك زمان الجهاد ، واللّه أعلم .

وذكر السهيلي في الروض ، عن سير سليمان التيمي أن خديجة رضي اللّه عنها: سألت بحيرا الراهب ، واسمه جرجس ، فيما ذكر المسعودي ، سألته عن جبريل عليه السلام ، فقال : قُدّوس ، قُدّوس ، يا سيدة نساء قريش ، أنّى لك بهذا الاسم .

فقالت : بَعْلِي ، وابن عمي محمد ، أخبرني أنه يأتيه . فقال : قدوس قدوس ، ما علم به إلا نبيٌّ ، فإنه السفير بين اللّه وأنبيائه . وإن الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به، ولا أن يتسمَّى باسمه . انتهى .

فهذه الأخبار فيها أن النبوة والرسالة مقترنان كانتا له معاً ، ما بينهما إلا الانتباه في المنام الذي كانت فيه النبوة ، والمشي خطوات يسيرة في جبل حراء .

وهذا كما وقع لموسى عليه السلام /في اقتران نبوته برسالته إذْ ناداه ربّه بالوادي المقدس طُوًى اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى . ويؤيد هذا ما في الصحيحين ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، أن أول مانزل من القرآن : « يا أيها المدثر » . وهي سورة الصدع بالأمر ، فقيل له : يقولون : « أقرأ » ، فقال : سألت جابر بن عبد اللّه ، فقال : مثل ما قلت لك . 32/ب

قال جابر رضي عنه : ألا أحدثك ما حدثنا رسول اللّه ﷺ ، قال : جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري ، هبطت ، فنوديت ، فنظرت عن يميني ، فلم أر شيئاً،

ونظرت عن شمالي ، فلم أرَ شيئاً ، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً . فأتيت خديجة فقلت : دثّروني وصبُّوا عليّ ماءً بادراً ، فنزلت : ﴿ يا أيُّها المدَّثِّرُ ، قُمْ فأَنْذِر ﴾[1] .

وفي رواية عن جابر أيضاً ﷺ ، أنه سمع رسول اللّه ﷺ ، يحدّث عن فترة الوحي ، قال : بينا أنا أمشي ، سمعت صوتاً من السّماء ، فرفعت بصري قِبلَ السّماء ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض ، فَجِئْتُ[2] منه حتى هويت إلى الأرض ، فجئت إلى أهلي ، فقلت زمّلوني . فأنزل اللّه تعالى : ﴿ يا أيّها المدثر قُمْ فأنذر ..... إلى قوله : والرجز فاهجر ﴾ .

وفي رواية : جاورت بحراء شهراً ، فلما قضيت جواري نزلت ، فاستبطنت الوادي ، فنوديت ، فنظرت بين يدي وخلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، فلم أر شيئاً ، ؟ ثم نظرت إلى السّماء ، فإذا هو على العرش في الهواء فأخذتني رعدة . أو قال : وحشة ، فأتيت خديجة رضي اللّه عنها . فأمرتهم ، فدثروني : فأنزل اللّه تعالى : ﴿ يا أيّها المدثر ... حتى بلغ وثيابك فطهر ﴾ .

وفي رواية : فإذا الملك الذي جاءني بحراء ، جالس على كرسي بين السماء والأرض . وهذا صريح في تقدم إتيان الملك إليه ، وهو يؤيد ما في هذه الأحاديث
33 من اقتران النبوة بالرسالة فإن المدثر سورة الرسالة . فإذا كانت أول /ما نزل كان أول الأمر رسالة .

وروي عن عائشة ، وأبي موسى رضي اللّه عنهما : أن أول ما نزل : ﴿اقرأ﴾ . وهو ظاهر حديث عائشة في بدء الوحي في الصحيح ، كما يأتي ويحجج بما ذكرت من شدة القرب ، فظن لذلك كل راوٍ ما أخبر به . واللّه أعلم .

ويؤيد ذلك ما روى مسلم في صحيحه ، عن عمرو بن عبسة ، ﷺ ، قال: أتيت رسول اللّه ﷺ في أول ما بُعِثَ ، وهو بمكة مستخفٍ ، فقلت : ما أنت ؟

---

(1) سورة المدثر : 1/74 - 2 .

(2) فجئه الأمر يفجؤه : هجم عليه من غير أن يشعر به .

قال : أنا نبيٌّ . قلت : وما نبيّ ؟ قال : رسول اللّه . فقلت : اللّه أرسلك ؟ قال : نعم . قلت : بما أرسلك ؟ قال : بأن تعبد اللّه وحده ، وتكسّر الأوثان ، وتصل الأرحام ؟ قال : فقلت : نِعْمَ ما أرسلك . انتهى .

فهذا يؤيد ما سبق من أن الرّسالة اقترنت بالنبوة ، لشرفه عند اللّه ، وأنه ﷺ أتى ورقة بعد المخاطبة بالرسالة .

فإن هذا الحديث كان في أول الأمر . رواه أحمد والحاكم مطولاً . وفي أوله أنه سأل النبي ﷺ : مَنْ معك على هذا الأمر ؟ قال : حرٌّ ، وعبدٌ . وفيه : ما الإسلام؟ قال : طيب الكلام ، وإطعام الطعام ، وفيه قلت : ما الإيمان ؟ قال : الصبر والسماحة . فيكون ورقة قد أدرك النبوة ، وصدق بها ، ومات قبل الرسالة لَما ضَرَّه ذلك .

ومن ظنّ أن إيمانه في زمن النبوة قبل الرسالة لا يقبل لزمه أن ينفيَ الإيمان عن خلقٍ لا يحصيهم إلا اللّه ، ويتحجر رحمة ربه ، وينكر فضله بطوله ، فيخسر خساراً مبيناً ، وذلك أنه روى الإمام أحمد في المسند عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه ، قال : قلت: يا رسول اللّه : « كم عدد الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر ، جمًّا غفيراً » .

ورواه ابن حبّان في صحيحه . وقال في الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر جمًّا غفيراً .

33/ب وروى الشيخان عن ابن عباس رضي اللّه عنهما ، أن النبي ﷺ ، /قال : « عرضت عليّ الأمم ، فأخذ النبي ﷺ ، يمرّ معه الأمة ، والنبي معه النفر ، والنبي معه العشيرة، أو قال العشرة ، والنبي معه الخمسة ، والنبي يمرّ وحده » ، الحديث .

فلو كان الإيمان بالنبي لا يصح إلا إن كان رسولاً ، لا نتفى إيمان أتباع هؤلاء الأنبياء الذين لم يكونوا مرسلين ، وهم خلق لا يحصيهم إلا اللّه ، فعرف أن هذا قولٌ لا ينبغي لعاقل أن يدور في خلده .

فإن الإنسان لو صدق من يأمره بخيرٍ ، وإن لم يكن نبيًّا كان له أجره ، ولا يظلم ربك أحداً .

وقال أبو داؤد الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة ، أخبرني أبو عمران الجوني ، عن رجل ، عن عائشة رضي اللّه عنها ، أن رسول اللّه ﷺ ، اعتكف هو وخديجة شهراً ، فوافق ذلك رمضان فخرج رسول اللّه ﷺ ، وسمع السلام ، قالت : قال : وقد ظننت أنه فجاءة الجنّ .

قالت : أبشر ، فإن السلام خير ، ثم رأى يوماً آخر جبريل عليه السلام على الشمس، جناح له بالمشرق ، وجناح بالمغرب ، فَهِيْبَ منه ، فانطلق يريد أهله ، فإذا هو بجبريل عليه السلام بينه وبين الباب .

قال : فكلّمني ، حتى أنست به ، ثم وعدني موعداً ، فجئت لموعده واحتبس عليّ جبريل عليه السلام ، فلما أراد أن يرجع ، إذا هو به ، وميكائيل ، فهبط جبريل إلى الأرض ، وبقي ميكائيل بين السماء والأرض .

فأخذني جبريل فلصقني لخلاوة القفا، وشقّ عن بطني ، فأخرج منه ما شاء اللّه ثم غسّله في طست من ذهب ، ثم أعاده فيه ، ثم كفأني[1] ، كما يكفأ الإناء ، ثم ختم في ظهري ، حتى وجدت مسّ الخاتم ، ثم قال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ... إلى قوله : ما لم يعلم » . قال : فما نسيت شيئاً بعد .

فقال ميكائيل : تبعته أمته وربّ الكعبة ، حتى جئت إلى منزلي ، فما تلقاني
34 حجر ، ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول اللّه ، حتى /دخلت على خديجة رضي اللّه عنها ، فقالت : السلام عليك يا رسول اللّه .

ورواه الحارث بن أبي أسامة ، وسمّي المبهم ، فقال : عن أبي عمران الجوني ، عن يزيد بن بابنوس ، عن عائشة رضي اللّه عنها : أنّ النبي ﷺ نذر أن يعتكف شهراً ، هو وخديجة بحراء ، فوافق ذلك شهر رمضان ، فخرج النبي ﷺ ذات ليلة، فسمع السلام عليك ، قال : فظننتها فجأة الجن ، فجئت مسرعاً حتى دخلت على

---

(1) كفأ الشيء والإناء : قلبه .

خديجة رضي اللّه عنها ، فمنحتني ثوباً ، وقالت : ما شأنك يا ابن عبد اللّه ؟ قلت: سمعت السلام عليك ، فظننتها فجأة الجنّ ، فقالت : أبشر يا ابن عبد اللّه ، فإن السلام خيرٌ .

ثم خرجتُ مرة أخرى ، فإذا جبريل على الشمس ، جناح له بالمشرق ، وجناح له بالمغرب ، فهلْتُ منه ، فجئت مسرعاً ، فإذا بيني وبين الباب ، فذكر نحوه .. وقال : في طست من ذهب بماء زمزم .

وروى الترمذي عن علي ﷺ ، قال : كنت مع النبي ﷺ بمكة ، فخرجنا إلى بعض نواحيها ، فما استقبله جبلٌ ولا شجرٌ ، إلا وهو يقول : السلام عليك ، يا رسول اللّه . وهذا يشبه أن يكون مرة من هذه المرات التي هي في بادئ الأمر ، كما مضى آنفاً ، عن سعيد بن المسيب ، واللّه أعلم .

قال ابن كثير في تاريخه بعدما تقدم ، عن جابر ﷺ ، وغيره في أول ما نزل من القرآن ، منهم من يزعم أن أول ما نزل بعد فترة الوحي : ﴿ والضحى .... إلى آخره ﴾ .

قال محمد بن إسحاق ، قال ابن كثير ، وهو بعيد يردّه ما تقدم من رواية صاحبي الصحيح : أن أول القرآن نزولا بعد فترة الوحي : ﴿ يا أيها المدثر ، قم فأنذر ﴾ . ولكن نزلت سورة ﴿ والضحى ﴾ بعد فترة أخرى ، كانت ليالي يسيرة .

وقال ابن كثير : واستمر - يعني زيد بن عمرو - على فطرته وتوحيده ، لكن اخترمته[1] المنية قبل البعثة المحمدية ، /وأدركها ورقة بن نوفل ، وكان يتوسمها في رسول اللّه ﷺ ، بما كانت تخبره به خديجة رضي اللّه عنها ، وتصفه له ، وما هو منطوٍ عليه من الصفات الطاهرة الجميلة ، وما ظهر عليه من الدلائل والآيات . 34/ب

ولهذا لما وقع ما وقع ، أخذت بيد رسول اللّه ﷺ ، وجاءت به إليه ، فوقفت به عليه ، وقالت : أي عم ، اسمع من ابن أخيك ، فلما قصّ عليه رسول اللّه ﷺ

---

(1) اخترمته المنية : أخذته .

خبر ما رأى . قال ورقة : سبّوح ، سبّوح[1] . وفي نسخة : سبّوح ، قدوس هذا الناموس الذي كان ينزل على موسى .

والناموس في اللغة هو الرسول في الخير . والجانوس الرسول في الشرّ ، وذكره إلى أن ذكر الإخراج ، فقال : « أو مخرجي هم » .

قال ابن كثير ، قال السهيلي : وإنما قال ذلك لأن فراق الوطن شديد على النفوس ، قال : نعم ... إلى أن قال : وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . قال ابن كثير : أي نصراً عزيزاً أبداً .

قال ابن كثير رحمه اللّه ورضي عنه وأرضاه : فإن مثل هذا الذي صدر عنه لا يصدر إلا عن تصديق بما وجد ، وإيمان بما حصل من الوحي ، ونيّة صالحة للمستقبل .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا حسن عن ابن أبي لهيعة ، حدثني أبو الأسود ، عن عروة ، عن عائشة رضي اللّه عنها ، قالت : سألت رسول اللّه ﷺ ، عن ورقة ابن نوفل ، فقال : « قد رأيته ، فرأيت عليه ثياب بياض ، فأحسبه لو كان من أهل النار ، لم يكن عليه ثياب بياض » . قال ابن كثير : وهذا إسناد حسن .

وروى الحافظ أبو يعلى من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما ، أن رسول اللّه ﷺ ، سُئِلَ عن ورقة ، فقال : « أبصرته في بطنان الجنة ، وعليه السندس » .

35 وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا /عبيد بن إسماعيل ، أبو أسامة ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي اللّه عنها ، قالت : قال رسول اللّه ﷺ : « لا تسبّوا ورقة ، فإني رأيت له جنة أو جنتين » . قال : وهذا إسناد جيد . وروى مرسلاً ، وهو أشبه . انتهى .

---

(1) في اللسان «سبح» : « ومن صفات اللّه عزّ وجل : السُّبُّوح القدوس ؛ قال أبو إسحاق : السبوح الذي ينزّه عن كل سُوءٍ . والقدوس : المبارك ، وقيل : الطاهر ؛ وقال ابن سيده : سبّوح قُدّوس من صفة الله عزّ وجل ، لأنه يسبّح ويقدس » .

قلت : أخرج المرسل أبو زرعة في دلائله ، فقال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حماد ، هشام بن عروة ، عن عروة أن رجلاً شاتم ابن أخي ورقة بن نوفل ، فسبَّ ورقة ، فقال رسول اللّه ﷺ : « لا تسبّوا ورقة ، فإني رأيت له جنة أو جنتين » .

وروي من طريق الأعمش ، عن أبي إسحاق ، قال : قال رسول اللّه ﷺ : «دخلت الجنة ، فرأيت فيها ورقة بن نوفل ، عليه ثياب من حرير » .

وقال الحاكم في الترجمة النبوية : أخبرني عبد اللّه بن محمد بن زياد ، الإمام ابو بكر بن إسحاق ، أبو سعيد الأعج ، أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي اللّه عنها ، قالت : قال رسول اللّه ﷺ : « لا تسبّوا ورقة ، فإني رأيت له جنة أو جنتين » .

وقد تقدم في ترجمة زيد من هذه الأحاديث ما يشرح الصدر ، ويعرّف بما لورقة، ومن معه ﷺ من عليّ القدر .

ورأيت عن أبي الفرج الإصبهاني ، من حديث عائشة رضي اللّه عنها ، أنها قالت : قال ورقة : لمّا ذكرت خديجة أن النبي ﷺ ذكر لها جبريل : سُبُّوح ، سُبُّوح ، وما لجبريل يذكر في هذه الأرض التي يعبد فيها الأوثان . جبريل أمين اللّه بينه وبين رسله .

اذهبي به إلى المكان الذي رأى فيه ما رأى ، فإذا أتاه فتحسري ، فإن يكن من عند اللّه لا يراه . ففعلت . قالت : فلما تحسّرت تغيب جبريل عليه السلام ، فلم تره ، فرجعت ، فأخبرت ورقة فقال : إنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي لا يعلّمه بنو إسرائيل أبناءهم إلا باليمن .

35 ب وقال الحافظ أبو عمرو بن عبد البر : هذا الناموس الأكبر ناموس /موسى الذي لا يعلّمه أهل الكتاب أبناءهم إلا باليمن ، ولئن نطق ، وأنا حيٌّ لأبلينّ اللّه فيه بلاءً حسناً .

وقال أبو الفرج الإصبهاني[1] ، عن الزبير أبي بكر ، حدثنا عمر بن الضحاك ، عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه : أن خديجة رضي اللّه عنها ، كانت تأتي ورقة بما يخبرها به رسول اللّه ﷺ ، علم أنه يأتيه .

فيقول ورقة : لئن كان ما يقوله حقًّا ، ليأتينه الناموس الأكبر ، ناموس عيسى ابن مريم ، الذي لا يخبره أهل الكتاب إلا باليمن[2] ، ولئن نطق ، وأنا حيٌّ ، لأبلين اللّه فيه بلاءً حسناً . انتهى .

وقال ابن كثير : فكان أول من بادر إلى التصديق من الرجال الأحرار أبا بكر الصديق ، ومن الغلمان علي بن أبي طالب . قال ابن الكلبي : وهو ابن تسع سنين. وقال ابن إسحاق : ابن عشر سنين ومن النساء خديجة بنت خويلد ، زوجة رسول اللّه ﷺ ، ومن الموالي مولاه زيد بن حارثة ﷺ ، وأرضاهم .

قال ابن كثير : فتقدم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل ، بأول ما نزل من الوحي، ومات في فترة الوحي ﷺ . انتهى .

ولذلك قلت في نظمي للسيرة في القصيدة الغرّاء المنيرة ، المسماة « جواهر البحار في نظم سيرة المختار » : [البسيط]

ومَكّنَ اللّهُ مِنْهُ حُبّ خلوتِهِ ... يا نُورَ غارِ حِراءٍ لَمْ تُحاورهُ

فَلَمْ يَزَلْ يعبد اللّهَ الكريمَ بهِ ... حتّى أَتَتْهُ مِنَ الباري أوامِرُهُ

فَرَدَّ حينئذٍ للبيتِ مُبْتَدِراً ... إلَى خديجةَ مَرْجُوفاً بوادِرُهُ[3]

فَصَدَّقَتْهُ وشَدَّتْ عَزْمَ هِمَّتِهِ ... شدًّا وعادَتْ لَهُ ردًّا بوادرُهُ

---

(1) الأغاني 122/3 .

(2) في الأغاني 122/3 : « الذي لا يجيزه أهل الكتاب إلا بثمن » .

(3) البيت ، أراد البيت الحرام . والبوادر : جمع بادرة ، والبادرة من الإنسان وغيره : اللحمة التي بين المنكب والعنق .

قالَتْ أبا وَرْقَ إسْمَعْ مِنْه قَوْلا عَجَبا فآمن القسُّ وارتاحَتْ سرائِرُهُ[1]

وقال يا لَيْتَنِي أبْقَى لنُصْرَتِهِ فإنّه مُخْرَجٌ واللّهُ ناصرُهُ

وقال ابن كثير ، وقال ابن إسحاق : حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال :

36 /كان ورقة بن نوفل يَمُرُّ ببلالٍ ، وهو يعذّب على الإسلام ، وهو يقول : أحدٌ ، أَحَدٌ ، فيقول ورقة : أحدٌ، أَحَدٌ ، واللّه يا بلال .

ثم يقبل على مَنْ يفعل به ذلك من بني جمحٍ ، وعلى أميّة ، فيقول : أحلف باللّه ، لئن قتلتموه على هذا ، لأتخذنه حناناً .

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في سيرته : وكان رسول اللّه ﷺ ، قد ترك كثيراً مما كانت قريش تفعل بآلهتها وتنزّه عنها .

فبينما رسول اللّه ﷺ ، كما ذكروا واللّه أعلم ، ذات يومٍ في حراء ، كان خرج إليه فارًّا ، كراهية أن يفعل بآلهتهم ، كما يفعلون . وقد خرجت قريش لتعظيم بعض آلهتها .

فبينا رسول اللّه في حراء يتمشى ، إذ نزل عليه جبريل عليه السلام ؛ واستعلن له ، فخافه نبي اللّه ﷺ مخافة شديدة ، فأخذه جبريل عليه السلام ، فوضع يده على رأسه ، وعلى صدره وفؤاده ، وبين كتفيه ، وقال : لا تخف ، أنا جبريل، وقال : اللهم احطط وزره ، واشرح صدره ، وطهّر قلبه .

يا محمد . أبشر ، فإنك نبي هذه الأمة . اقرأ ، قال له نبي اللّه ﷺ ، وهو خائفٌ ، يرعدُ : ما قرأت كتاباً قطّ ، وما أُحْسِنُه ، وما أكتب ، ولا أقرأ . فأخذه جبريل عليهما السلام ، فغتّه غتًّا شديداً . ويروى : غطّه غطًّا شديداً ؛ ثم تركه ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أكتب ، ولا أقرأ . فأجلسه جبريل عليه السلام بعد ثلاث مرات بمجلس كريم معجبٍ .

---

(1) السرائر : جمع السريرة . وأراد ما يسرّه في نفسه .

قال عليه الصلاة والسلام : أجلسني على بساط كهيئة الدرنوك ، يرى فيه من صفاته وحسنه ، كهيئة اللؤلؤ والياقوت ، فاطمأن النبي ﷺ ، ثم قال له : اقرأ . قال : وما أقرأ ؟ قال : ﴿ اقرأ باسمِ ربِّك الذي خَلَقَ خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ اقرأْ وربُّكَ الأكرمُ الذي عَلَّمَ بالقَلَمِ عَلَّم الإنسان ما لم يَعْلَم ﴾[1] . لا تخف يا محمد ، فإنك رسول اللّه .

ويروى أن أول ما نزل عليه من السور : ﴿ يا أيُّها المدثر ﴾ . فلما قضى جبريل عليه السلام ، ما أمر به انصرف ، وانصرف رسول اللّه ﷺ .

36 ب /وأقبل عليه همّه . وقال : كيف أصنع ، وكيف أقول لقومي . ثم قام وهو خائف ، فأتاه جبريل من أمامه في صورة نفسه . فأبصر النبي ﷺ أمراً عظيماً مَلأَ صَدْرَهُ ، فقال له جبريل عليه السلام : لا تخف يا محمد ، أنا جبريل رسول اللّه إلى أنبيائه برسالته ، فأيْقِنْ بكرامة اللّه ، فإنك رسول اللّه ، ثم انصرف جبريل .

وأقبل رسول اللّه ﷺ راجعاً إلى أهله ، فجعل لا يمرّ على شجرة ، ولا حجر ، إلا وهو ساجدٌ له ، وهو يقول : السلام عليك يا رسول اللّه ، فاطمأنت نفسه ، وعرف كرامة اللّه إياه .

وعجب بقول الشجر والحجارة وسجودها له . فرجع إلى بيته ، وهو مؤمن ، قد رأى أمراً عظيماً . فلما دخل على زوجته خديجة رضي اللّه عنها ، أبصرت ما بوجهه من تغيّر لونه ، فأفزعها ذلك ، فقامت إليه ، ودنت منه .

فلما أبصرت كسوف وجهه[2] ، حسبته غباراً ، وأقبلت تمسّح عن وجهه ، وتقول : يا ابن عبد اللّه ، إنك أصابك اليوم ما أفزعك ، يا ابن عبد اللّه ، لعلّه كبعض ما كنت ترى وتسمع قبل اليوم .

---

(1) سورة العلق 1/96 - 5 .

(2) الكسوف في الوجه : الصفرة والتغيّر ؛ ورجل كاسف الوجه : عابسه من سوء الحال .

وكان نبي اللّه قد سمع الصوت مراراً ، وأبصر الضوء ، وسمع النداء في أرض فلاة .

فأقبل مذعوراً ، فقصّ ذلك على خديجة رضي اللّه عنها ، فلما رأت خديجة أنه لا يخبرها شيئاً ، أشفقت ، وقالت : مالك يا ابن عبد اللّه لا تتكلم .

فقال : يا خديجة إني رأيت الذي كنت أخبّرك في المنام ، والصوت الذي كنت أسمع في اليقظة ، والصوت الذي كنت أخاف منه ، فإنه جبريل عليه السلام ، قد استقبلني وكلمني ، وأقرأني كلاماً ما فزعت منه ، ثم دعاني ، وبشّرني ، وأخبرني أني نبي هذه الأمة .

فأقبلت راجعاً ، فما مررت بحجرٍ ولا شجرٍ إلا سجدت لي ، وهي تقول : السلام عليك يا رسول اللّه .

فقالت له خديجة رضي اللّه عنها : أبشر ، فو اللّه لقد أعلم أن اللّه عز وجل لن يفعل بك إلا خيراً . وأشهد أنك نبي هذه الأمة الذي تنتظر اليهود ، وقد أخبرني به قبل أن أتزوجك غلامي ناصح ، وبحيرا الراهب ، وأمرني أن أتزوجك /37
منذ عشرين سنة ، فاقبل الذي آتاك اللّه ، فإنك رسول اللّه حقًّا .

ولم تزل بنبيّ اللّه ﷺ ، حتى طعم وضحك ثم خرجت إلى الراهب ، وكان قريباً من مكة ، فلما دنت منه ، عرفها ، وقال : مالك يا سيدة نساء قريش ـ وكذلك كانت تسمّى ـ قالت : أقبلت لتخبرني عن جبريل .

قال الراهب : سبحان ربنّا القدوس ، ما لجبريل تذكرينه يا سيدة نساء قريش في هذه البلدة ، التي إنما يعبد أهلها الحجارة . قالت : أنا أناشدك بنصرانيتك والمسيح، إلا حدّثتني عنه ، بعلمك فيه ، وما تجد عندك في الكتاب . قال : قد ذكرتني بعظيم، فإن جبريل عبد اللّه ورسوله ، وأمينه الذي يبعثه إلى رسله ، وهو صاحب موسى وعيسى بن مريم عليهما السلام .

ثم قامت من عنده ، فأتت ابن عمٍ لها ، شيخاً كبيراً ، يقال له : ورقة بن نوفل

ابن عبد العُزّى ، وكان نصرانياً ، فقالت : اذكرِ اللّـه يـا عـمّ ، والرحـم الـتي بيـني وبينك ، إلا ما أخبرتني عن جبريل ، ما هو ؟

فقال : قُدُّوس ، قُدّوس ، ربنا الأعلى ، فمـا لـك يـا خديجـة تذكـري جـبريل ، فلست من أهل ذكره .

قال : ما أنا مخبرك عنه ، حتى تحدثيني ما ذكركيه ، فإنك في بلد لا يذكرونـه ، ولا يدرون ما هـو ؟ قـالت : للّـه عليـك إن ذكرتـه لـك الكتمـان والصـدق عمـا أسألك. قال لها عند ذلك : نعم .

قالت : فإن محمد بن عبد اللّـه ذكره ، وهو صادق ، وأحلف باللّـه مـا كـذب ولا كذب أنه نزل عليه جبريل ، وأنه أخبره أنه رسول هـذه الأمـة ، وأقـرأه آيـات أرسله اللّـه بها إليه ، فذعن لذلك ورقة ، وقال : إن كـان جـبريل اسـتقرّت قدمـاه اليوم على الأرض ، لقد نزل على خير أهل الأرض ، وما ينزل إلا على نـبيّ ، وهـو صاحب الأنبياء والرسل الذين يرسلهم اللّـه عليهم السلام .

37/ب /وقد صدقك عنه ، فأرسلي إليّ ابن عبد اللّـه أسأله ، وأستمع من قوله ، وأحدثه، فإني أخاف أن يكون غير جبريل ، فإن بعض الشياطين يتشبّه على صورته ، ليضـلّ بني آدم ، ويفسدهم حتى يصير الرجل بعد العقل الرصين موله مجنوناً . فأنا أخـاف على صاحبكِ ، أن يكون كذلك .

فقامت من عند ورقة بـن نوفـل ، وهـي واثقـة باللّـه أن لا يفعـل بصاحبهـا إلا خيراً، فرجعت إلى النبي ﷺ ، فأخبرته ، ونزل عليه جبريل عليه السلام ، فأمّنه ممـا تكلـم به ورقة بن نوفل من تخويف الشياطين ، وأنزل اللّـه تعالى عليـه : ﴿ ن والقَلَـمِ ومـا يَسْطُرُون ما أَنْتَ بنعْمَةِ ربّك بمَجْنُونٍ وإنّ لكَ لأجْراً غيرَ مَمْنُونٍ وإنّـكَ لعلـى خلُـقٍ عظيمٍ فَستُبْصِرُ ويُبصرونَ بأيّكم المفتونُ ﴾[1] .

أي : المجنون .

---

(1) سورة القلم : 1/68 - 6 .

وكانت قريش إذا سمعوا شأن محمد ﷺ ، مما ذكر لهم الراهب وعداس ، قالوا : فلعله مجنون ، وخاضوا في ذلك ، ووافق ذلك قول ورقة لخديجة حين قال لها ذلك، فحينئذ أنزل عليه : ﴿ فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ﴾ .

ولما رجعت خديجة رضي اللّه عنها إلى النبي ﷺ ، وأخبرته بما ذكر لها ورقة ، قال لها : كلا والذي اختصني بالنبوة ما بي جنونٌ ، وإنه لجبريل أتاني ، وأخبرني بالذي خاضت فيه قريش ، ويقول ورقة : وقرأ رسول اللّه ﷺ هذه الآيات إلى قوله : بأيكم المفتون ، فقال الحمد للّه كثيراً ، فقد زادني هذا يقيناً مع ما كنت فيه من اليقين .

وقالت له : أحبّ أن تلقى عمي ورقة ، فتؤيده بالحديث ، وتخبره بما أنزل اللّه عليك من هذه الآيات ، فلعلّ اللّه يقلب قلبه ، فإنه رجل قد أُعْطِيَ علماً، وهو يقرأ الكتب ، فأتاه نبي اللّه ﷺ ، فلما أبصره ورقة رأى له جمالاً ، لم يكن قبل ذلك يتراءى له .

فقال له ورقة : يا ابن أخي ، حدثني ما رأيت ، وما قيل لك ، فإني أرى لك
38 هيئة لم أكن أراها لك قبل ، ولا أراك إلا صادقاً /فحدثني عن الذي أتاك ، أفي نورٍ ، أم في ظلمة ؟ فصفه لي بصفته ، فإنه قد نُعِتَ لي ، ولن يخفى عليّ ، هُوَ هُوَ ، أم غيره ؟

فأخبره النبي ﷺ بصفة جبريل عليه السلام ، وما رأى من هيئته . فقال ورقة : أشهد أن هذا جبريل .

فحدثني بما قال لك . فحدّثه ، كيف وضع [يده] على صدره ، وبين كتفيه. فازداد ورقة يقيناً ، وقرأ عليه الآيات التي أقرأه جبريل عليه السلام ، والآيات التي مِنْ بعدها ، وهي : ﴿ ن والقلم ... ﴾ . فقال له ورقة : أشهد أن هذا كلام اللّه .

فهل أمرك بشيء تبلغه قومك ؟ قال : لا . فقال له ورقة : أمرك أمر نبوة . وإن

أدركت رسالتك اتبعتك . والذي نفس ورقة بيـده ، لئـن أعلنـتَ ودعـوتَ ، وأنـا حيٌّ لأبلينّ اللّـه في نصرك من الصدق وحسن المؤازرة ، فابشر يا ابن عبـد المطلـب بما بشّرك اللّـه به .

فشق ذلك على الملأ من قريش ، وألقى الشيطان في قلوبهم أن قول هذا الرجـل فسادٌ لأمرهم ، وهلاك لدينهم . فقال بعضهم لبعضٍ : كيف ترضون بهـذا ، وهـو من فقرائكم . انتهى كلام ابن عبد البر .

وفيه أمران مشكلان : تجويز ورقة أن يكون هذا مـن الشـيطان ، فإنـه منـافٍ ، لجزمه في غيره .

وقوله عن جبريل عليه السلام إن بعض الشياطين يتشبه على صورته منافٍ لما تقدم عن بحيرا ، في سير التيمي : أن الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به ، ولا أن يتسمى باسمه .

ويجاب بأن جزمه بأن هذا من اللّه ، وتثبيته لخديجة رضي اللّـه عنهـا ،كـان في حين رؤية النبي ﷺ ، وسماعه الصوت في نوبة إسرافيل عليه السلام ، لمـا يعلـم للنبي ﷺ من الفضائل ، ومن الخلال الصالحة ، والمحامل والمغالي والكمـالات الـتي هـي الخير أعظم دلائل .

فلما أتى العمّ بالغت ، وألغط من جبريل عليه السلام ، تخيل ورقة ، إما لأنه ما سمع بذلك /من الأخبار القديمة ، أو ما حقق علمه جيداً ، وإما لأنه يعلم أن الشيطان لا 38/ب
يقدر على الجمع بـين اسـم جـبريل عليه السلام وصورتـه كلمـا أراد ، ولا علـى التصـور بصورته كما هي ، ولكنه قد يقدر على مقاربة الصورة نوع مقاربة ، وعلى ادعـاء الإسم مرة من المرات .

ويكون قد قارن ذلك من الأحوال الشيطانية مـا ينـافي في دعـواه غايـة المنافـاة ، ويعرف مَنْ له إلمام بالكتب الإلهيـة ، إنـه شـيطان لا ملـك ، ولا يعرفـه غـيره ، ولا يستنكر هذا . فإن اللّـه تعالى يبتلي عباده بمتشابه يرده الموقـف إلى المحكـم ، ويضـلّ به غيره .

كما أنه لها حرس السموات بالشهب أبقى استراق الكلمة والكلمتين ، ولهذا قال ورقة أرسليه إليّ لأسأله . فلما جاء النبي ﷺ ، وحدثه بجميع ما رأى وسمع ، زالت عنه مواضع الشُّبه ، ولا سيما لما أخبره أن جبريل عليه السلام من غير طروق شك ما ، وحكم بأن ما أتاه به كلام اللّه وأمره وشهد بالنبوة والرسالة ، واللّه الهادي .

قال ابن عبد البر ، وروي أن ورقة قال للنبي ﷺ : من أين تُنادَى ؟ أمن فوقك؟ أو من تحتك ، أو من بين يديك ، أو من خلفك . فقال له رسول اللّه ﷺ : «إنّي أُنادَى من فوقي ، فقال له : إن الشيطان لا يأتي من فوق » ، لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لآتينّهم مِنْ بين أيديهم ومن خَلْفِهم وعَنْ أيمانِهِمْ وعَنْ شمائِلِهِمْ ﴾[1] .

قال : وفي كتاب ابن وهب ؛ أن خديجة رضي اللّه عنها ، خرجت تلتمس رسول اللّه ﷺ ، وهو بأعلى مكة ، معها غذاء له ، فلقيها جبريل عليه السلام في صورة رجلٍ ، فسألها عن رسول اللّه ﷺ ، فهابته وظنته بعض مَنْ يغتابه ، فذكرت ذلك لرسول اللّه ﷺ ، فقال لها : هو جبريل .

39 وقد أخبرني أنه لقيك ومعك غذاء لي ، وقال : /أقريها السلام من اللّه ، وبشّرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب . فقالت : هو السلام ، ومنه السلام ، وله السلام ، وعلى جبريل السلام ، وعليك السلام يا رسول اللّه ، وعلى من سمع إلا الشيطان .

يا رسول اللّه ما بيت في الجنة من قصب ؟ قال : هو بيت من لؤلؤة مجيّاة ، أي: مجوفّة . انتهى ، ما نقلته من سيرة الحافظ ابن عبد البر وفيه من الشبه قوله : وإن أدركني زمانك اتّبعتك .

وقوله قبله : أشهد أن هذا جبريل ، أشهد أن هذا كلام اللّه ، يوضح أن المراد :

---

(1) سورة الأعراف : 17/7 .

اتبعتك في أمر الإيمان من غير لبس في ذلك ، واللّه الهادي . هذا ما في السِّير والأخبار وبدائع الآثار من النثر والأشعار .

والعمدة العظمى في ذلك حقاً ، والعروة المتينة الجليلة الوثقى ، ما في الصحيحين النيّرين المليحين الزكيين الرجيحين ، اللذين تلقتهما الأمة بالقبول ، وواظبت على دراستهما في الارتحال والحلول ، وهو مؤيدٌ للأخبار السابقة وشاهد بصحتها تارة صريحاً بالمطابقة ، وأخرى بضربٍ من التأويل لمن رزق فطنةً صادقة .

روى البخاري في أول صحيحه الذي لم يغرب علمه عن أحدٍ له أدنى ممارسة بالدين ، ومسلم في أثناء الإيمان من صحيحه . والإمام أبو عبد اللّه المحاملي في أماليه[1] : عن عائشة رضي اللّه عنها ، وقد مزجت بين رواياتهم بحيث صارت سياقاً واحداً .

قالت : أول ما بدأ به رسول اللّه ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في اليوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فَيَتَحَنَّث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله /ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء . 39/ب

فجاءه الملك ، فقال : يا محمد ، أنت رسول اللّه ، ثم قال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني ، فغطّني ، حتى بلغ مني الجهد .

ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطّني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ ، فغطّني الثالثة

---

(1) المحاملي : الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل المحاملي الضبي ، أبو عبد الله البغدادي : قاضٍ ، من الفقهاء المكثرين من الحديث . ولي قضاء الكوفة وفارس سنين سنة . وكان ورعاً محمود السيرة في القضاء ، ثم استعفى فأعفي . له « الأجزاء المحامليات » في الحديث، ويقال لها : « أمالي المحاملي » . « الأعلام 234/2 » .

حتى بلغ مني الجهد .

ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربّك الأكرم الذي علم بالقلم علّم الإنسان ما يعلم ﴾ .

فقرأتها حتى أتيت على آخرها ، فرجع بها رسول اللّه ﷺ ، ترجف بوادره . وفي رواية : فؤاده . فدخل على خديجة بنت خويلد ، رضي اللّه عنها ، فقال : زمّلوني ، زمّلوني . فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع .

فقال لخديجة : أي خديجة . مالي ، وأخبرها الخبر . لقد خشيت على نفسي . قالت : واللّه لا يخزيك اللّه أبداً . إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائبِ الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، ابن عمّ خديجة ، أخي أبيها .. وكان امرءاً تنصَّرَ في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء اللّه أن يكتب .

وكان شيخاً كبيراً قد عَميَ بصره ، فقالت : يا عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول اللّه ﷺ خبر ما رأى ، فقال له
40 ورقة : هذا الناموس الذي نزل على موسى . يا ليتني فيها جذعا ، /ليتني أكون حيًّا، إذْ يخرجك قومك .

فقال له رسول اللّه ﷺ ؛ « أو مخرجيّ هُمْ » . قال : نعم ، لم يأتِ أحدٌ بمثل ما جئت به ، إلا عُودِيَ ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزّراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفَتَرَ الوحيُ فترة حتى حزن النبي ﷺ ، فيما بلغنا حزناً شديداً .

غدا مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبلٍ لكي يلقي نفسه ، تبدّى له جبريل عليه السلام ، فيقول : يا محمد . إنك رسول اللّه حقًا ، فيسكن لذلك جأشه[1] ، وتقرَّ نفسه ، فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي ، عاد

---

(1) الجأش : النفس ؛ وقيل : القلب ، وقيل : رباطه وشدّته عند الشيء تسمعه لا تدري ما هو .

لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبلٍ ، تبدّى له جبريل ، فقال مثل ذلك .

قال ابن كثير : هكذا وقع مطولاً في باب التعبير من البخاري . قال ابن شهاب: وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن : أن جابر بن عبد اللّـه الأنصاري رضي اللّـه عنهما ، قال وهو يحدّث عن فترة الوحي ، قال في حديثه : بينا أنا أمشي إذْ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فرعبتُ منه حتى هويت إلى الأرض ، فرجعت فقلت: زمّلوني ، زمّلوني .

فأنزل اللّـه ﷻ : ﴿ يا أيُّها المدَّثِّرُ قُمْ فأنذرْ وربَّكَ فكبِّر وثيابَكَ فَطَهِّرْ والرُّجْزَ فاهْجُرْ ﴾ فحمي الوحي وتتابع قبل أنْ تفرض الصلاة .

قال ابن كثير : وهذا الحديث قد رواه الإمام البخاري في كتابه في مواضع ، وتكلمنا عليه مطولاً في أول شرح البخاري ، في كتاب بدء الوحي إسناداً ، ومتناً ، وللّـه الحمد والمنة . وأخرجه مسلم في صحيحه .

قال ابن كثير ، فقول : أم المؤمنين عائشة رضي اللّـه عنها : أول ما بدئ به رسول اللّـه / ﷺ .... إلى آخره ، يقوي ما ذكره محمد بن إسحاق ، عن عبيد بن عمير الليثي أن النبي ﷺ ، قال : فجاءني جبريل ، وأنا نائمٌ بنمط من ديباج ، فيه كتاب، فقال لي : اقرأ ، فقلت : ما أقرأ . فغتني حتى ظننت أنه الموت . 40 ب

وذكر نحو حديث عائشة سواء . فكأن هذا كان ، كالتوطئة لما يأتي بعده من اليقظة .

وقد جاء مصرحاً بهذا في مغازي موسى بن عقبة ، عن الزهري : أنه رأى ذلك في المنام ، ثم جاءه الملك في اليقظة .

وقد قال الحافظ أبو نعيم الإصبهاني في كتابه « دلائل النبوة » : حدثنا محمد ابن أحمد بن الحسن ، محمد بن عثمان بن أبي شيبة منجاب بن الحارث ، عن عبد اللّـه بن الأحلج ، عن إبراهيم ، عن علقمة بن قيس نفسه ، وهو كلام حسن يؤيد

ما قبله ويؤيده ما بعده .

قال : وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن أبي عدّي ، عن داود ، عن أبي هند ، عن عامر الشعبي ، أن رسول اللّه ﷺ : نزلت عليه النبوة ، وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلّمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل عليه القرآن .

فلم مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشراً بمكة ، وعشراً بالمدينة فمات وهو ابن ثلاث وستين .

قال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح إلى الشعبي ، قال : وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : حديث عائشة لا ينافي هذا ، فإنه يجوز أن يكون أول أمره الرؤيا، ثم وكل به إسرافيل في تلك المدة التي كان يخلو فيها بحراء ، فكان يلقي إليه الكلمة
41 بسرعة ، ولا يقيم معه قدر سجال تمريناً /وتدريباً ، إلى أن جاءه جبريل عليه السلام فعلّمه بعدما غطّه ثلاث مرات ، فحكت عائشة رضي اللّه عنها ، ما جرى له مع جبريل عليه السلام ، ولم يحكِ ما جرى له مع إسرافيل عليه السلام اختصاراً للحديث .

أو لم تكن وقفت على قصة إسرافيل عليه السلام . قال ابن كثير : وإنما كان رسول اللّه ﷺ يحب الخلاء والانفراد عن قومه ، لما يراهم عليه من الضلال المبين من عبادة الأوثان والسجود للأصنام . وقويت محبته للخلوة عند مقاربة إنجاء اللّه إليه .

وقد ذكر محمد بن إسحاق[1] ، عن عبد الملك بن عبيد اللّه بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ، قال : وكان واعِيةً[2] عن بعض أهل العلم ، قال : وكان رسول اللّه ﷺ ، يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة ، يتنسّك فيه . وكان من نسك قريش في الجاهلية ، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرف

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام 234/1 .

(2) واعيةً : حافظاً ، والتاء فيه للمبالغة .

عن مجاورته ، لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة . انتهى .

فذكره ابن إسحاق نحو ما في البخاري إلى ﴿ عَلَّم الإنسان ما لَمْ يعلم ﴾ ، إلا أنه ذكر أن ذلك كان ، وهو نائم . وهو يؤيد ما تقدم عن علقمة بن قيس . ثم قال ابن إسحاق ، ثم انتهى .

فانصرف عني ، وهببت من نومي ، وكأنما صوّر في قلبي كتاباً ، و لم يكن في خلق اللّه أحدٌ أبغض إليّ من شاعر أو مجنون ، كنتُ لا أطيق [أن] أنظر إليهما . فقلت : إن الأبعد ، يعني نفسه لشاعر أو مجنون . ثم قلت : لا تحدث عني قريش بهذا أبداً ، لأعمدن إلى حالقٍ من الجبل ، فلأطرحنَّ نفسي منه ، فلأقتلنها .

فخرجت ما أريد غير ذلك ، فبينا أنا عامدٌ لذلك ، إذْ سمعت منادياً من السماء، يقول : يا محمد أنت رسول اللّه ، وأنا جبريل ، فرفعت رأسي إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صافّ إلى آخر ما مضى في /حديث عبيد بن عمير ، 41/ب
فيما حدّث به ابن الزبير ، حتى ذكر قول خديجة رضي اللّه عنها : بعثت رسلي في طلبك ، حتى بلغوا مكة ، ورجعوا .

قال : فقلت لها : إن الأبعد لشاعر أو مجنون . فقالت : أُعيذك باللّه يا أبا القاسم من ذلك ، ما كان اللّه ليفعل بك ذلك ، إلى أن قال ، فأخبرتها الخبر ، فقالت : أَبْشِرْ يا ابن عمي ، فو الذي يُحلفُ به إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، إلى آخره .

قال ابن كثير : وهكذا روي عن وهب بن كيسان أنه سمع عبيد بن عمير ، يحدّث عبد اللّه بن الزبير رضي اللّه عنهما مثل ذلك .

وهذا يدل على هذا . وكان من عادة قريش أن المتعبدين منهم كانوا يجاورون في حراء للعبادة ، ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المشهورة[1] : [الطويل]

---

(1) البيت من مطولة لأبي طالب في ديوانه ص63 – 74 . قالها وهو في الشعب الذي أوى إليه بنو هاشمٍ مع رسول الله ﷺ ، لـمّا تحالفت عليهم قريش ، وكتبوا الصحيفة .
ثور وثبير وعير وحراء : جبال بمكة .

وثَـوْرٍ ومَـنْ أرسى ثَـبِيراً مكـانَـهُ وعَيْـرٍ وَراقٍ فـي حِـراءٍ ونـازلِ

قال ابن كثير : وهكذا صوب على رواية هـذا البيـت كمـا ذكرنـاه السـهيلي ، وأبو شامة ، وشيخنا الحافظ أبو الحجاج المزّيّ .

وقد تصحف على بعض الرواة ، فقال فيـه : « وَراقَ لـبرٍ في » . وهـذا ركيـك ومخالف للصواب ، واللّـه أعلم . انتهى .

ولو لم ترد في إسلام ورقة ﷺ المقتضى لعدّه صحابياً غير هذا الحديث الذي في الصحيح ، لكان كافياً ، فإنه تضمن شهادته بأن محمداً رسـول اللّـه ، وأنـه متابعـه على جميع ما علمه ، وهو موّحدٌ للّـه تعالى لا يشرك به شيئاً .

أما شهادته بالرسالة ، فإنه قال : هذا الناموس الذي أنـزل علـى موسـى ، أي : هذا جبريل ، فشهد بهذا أن اللّـه أرسل جبريل عليه السلام إليه .

وقوله : الذي أنزل على موسى ، يريد أنه ناموس الرسالة لا النبـوة المنفـردة ، بـل ورسالة قمع الجبارين . ويؤيد قوله خارج الصحيح : الناموس الأكبر ويؤيده
42 /قوله في الصحيح : لم يأت أحدٌ بمثل ما أتيت به إلا عُـوْدِيَ . معنـاه أنـه أتـاه مـا يبلغه الناس ، وينهاهم به عن مألوفاتهم ، فيعادونه ، وهـذه هـي الرسـالة . وجـزم بالمتابعة والنصرة .

وأما توحيده فمعلوم من جميع أخباره ، فما بقي بعد هذا شيء إلا الجمود والعناد. وقد قال النبي ﷺ : « مَنْ مات وهو يشهد أن لا إله إلا اللّـه دخـل الجنـة » رواه مسلم عن عثمان رضي الله عنه .

وقال ﷺ : « مَنْ مات لا يشرك باللّـه شيئاً يدخل الجنة » . أخرجه الشـيخان البخاري ومسلم ، من حديـث ابـن مسـعود رضي الله عنه ، ومـن حديـث أبـي ذر رضي الله عنه في حديث : « وإن زنا ، وإن سرق » . وهـو عند الحارث بن أبي أسـامة ، عـن أبـي ذرٍّ رضي الله عنه .

وفي الباب عن أبي الدرداء ومعاذ وعبادة وأبي سعيد وسلمة بن نعيم الأشجعي ﷺ . هذا ما يسرّ اللّه ذكره من أخبار السيد ورقة ، وما ظهر له بها من الفضل الذي أعلاه اللّه به في ذلك العصر ورزقة .

وقد حان ذكر مَنْ فهم من العلماء الأخيار ، من هذه الأخبار أنه من الصحابة الأبرار ، بما له من المناقب الكبار .

فأقول ، وباللّه أعتصم : إذا تقرّر في ذهنك ما جلوته عليك ، ورفعته إليك ، فما في دواوين الإسلام عن الأئمة الكلام ، من أحاديثه وأخباره وقصصه وأسراره وأحواله ، وآثاره وكلماته النثرية ، وأشعاره ، وما يتعلق بذلك ، مما لعلّه يدخل في حلبته ومضماره ، فانظرْ نظرة فَهِمٍ ، وتأَمَّلْ تأَمُّلَ متعلمٍ بعد تجريد النفس عن الهوى، فإنه نعم العون على نيل السعادة ، والدواء كلام العلماء ، أئمة الإسلام من على ذلك ، مما لا يزيغ عنه إلا هالك .

قال جامع أشتات كلام المتقدمين ، وناظم شمل المعاني على غاية التبيين شيخ الإسلام ، قاضي القضاة حامل /راية السنة حافظ عصره ، وعين شآمه ومصيره ، 42/ب
أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر الكافي المصري الشافعي في شرحه للبخاري : هذا الناموس الذي أنزل اللّه على موسى ، والناموس صاحب البشر ، كما جزم به المؤلف في أحاديث الأنبياء ، والمراد بالناموس هنا جبريل . انتهى .

وقد تقدمت حكاية النووي : الاتفاق على أن جبريل ، يسمى الناموس ، وعلى أنه المراد هنا . قال ابن حجر : وقوله على موسى ، ولم يقل على عيسى مع كونه نصرانياً ، لأن كتاب موسى عليه السلام ، يشتمل على أكثر الأحكام بخلاف عيسى ، وكذلك النبي ﷺ .

أو لأن موسى عليه السلام بُعث لنقمة على فرعون ، ومن معه ، بخلاف عيسى . ولذلك وقعت النقمة على يد النبي ﷺ بفرعون هذه الأمة ، وهو أبو جهل بن هشام ، ومن معه ببدر . انتهى .

وكذا أزال اللّـه ـ بصحابته الذين على نهجه وسننه ـ كل جبار في الأرض . قال ابن حجر : أو قاله تحقيقاً للرسالة ، يعني كما قاله الإمام شمس الدين الكرماني، لأن نزول جبريل على موسى عليهما السلام ، متفقٌ عليه بين أهل الكتابين ، بخلاف عيسى عليه السلام ، فإنّ كثيراً من اليهود ينكرون نبوته .

وأما ما تحمل له السهيلي من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى في عدم نبوة عيسى عليه السلام ، ودعواهم أنه أحد الأقانيم ، فهو محالٌ لا يعرج عليه في حقّ ورقة ، وأشباهه ممن لم يدخل في التبديل ، ولم يأخذ عن مبدّل . انتهى .

وفي هذا تبرئة ورقة عن التبديل ، وهو كذلك بدليل قوله : أحدٌ أحدٌ . وديني دين زيد . وغير موضع من كلامه .

وفيه نسبته للسهيلي ، بأنه وصم ورقة باعتقاد النصارى . وليس كذلك ، بل السهيلي موافق على براءته من اتباع النصارى في شيء من المبدل /كما ستراه عند 43
نقل كلام السهيلي .

ثم قال شيخنا على أنه قد ورد عند الزبير بن بكار من طريق عبد اللّـه بن معاذ، عن الزهري في هذه القصة : أن ورقة ، قال : ناموس عيسى . والأصح ما تقدم . وعبد اللّـه بن معاذ ضعيف .

نعم في « دلائل النبوة » لأبي نُعيم ، بإسناد إلى هشام بن عروة ، عن أبيه في هذه القصة : أن خديجة أولاً أتت ابن عمها ورقة ، فأخبرته الخبر ، فقال : إن صدقتني إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي يعلّمه بنو إسرائيل أبناءهم ، فعلى هذا كان ورقة يقول تارة ناموس عيسى ، وتارة ناموس موسى .

فعند إخبار خديجة له بالقصة ، قال لها : ناموس عيسى بحسب ما هو عليه من النصرانية . وعند إخبار النبي ﷺ ، قال له : ناموس موسى للمناسبة التي قدمناها . انتهى .

يعني بالمناسبة تحقيق الرسالة ، ومحق الجبارين ، فهو شهادة لورقة بغاية التصديق .

قال شيخنا : وكلٌّ صحيح ، واللّه أعلم .

قوله : يا ليتني فيها جذعاً ، قال : وفيه دليل على تمني المستحيل ، إذا كان فعل خير ، لأن ورقة تمنى أن يعود شاباً ، وهو مستحيل عادة ، ويظهر لي أن التمني ليس مقصوداً عليّ إثباته ، بل المراد من هذا التنبيه على صحة ما أخبره به ، والتنويه بقوة تصديقه فيما يجيء به . انتهى .

فعلم بهذا أن شيخنا اعتقد أن ورقة صدّق النبي ﷺ غاية التصديق فيما أخبره به ، وفيما يخبره به بعد ذلك ولا ريب عند مَنْ له إلمامٌ بالعلم أن هذا التصديق إيمانٌ، وأن الصحابي مَنْ لقي النبي ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام ، فعلم بهذا قطعاً أنه حكم بصحبته .

لكن هذا عند مَنْ عضّ على العلم ، كما قال علي ﷺ بضرسٍ قاطعٍ ، فصار له فيه تصرف يعبّر به من المنقول إلى ثمراته ، ويجتذب أرواح المعاني /من أحساد المقال وكلماته . 43/ب

قال شيخنا : قوله : إلا عُوْدِي . وفي رواية يونس في التفسير . إلا أُوْذِيَ : فذكر ورقة أن العلّة في ذلك مجيئه لهم بالانتقال عن مألوفهم . انتهى .

وهذا إشارة من شيخنا إلى أن ورقة انتقل عن مألوفه من دين النصرانية بمجرد إخبار النبي ﷺ الخبر ، وإلى أنه اعتقد أن الآتي إلى محمدٍ ، رسالة يأمر بها الناس ، وينهاهم . لا نبوة مجردة .

قال شيخنا : ولأنه علم من الكتب أنهم لا يجيبونه إلى ذلك ، وأنه يلزمه لذلك مناداتهم ، ومنابذتهم ، فتنشأ العداوة . انتهى .

وقد أفصح شيخنا بهذا غاية الإفصاح ، أن ورقة ﷺ اعتقد الرسالة لا النبوة المجردة عنها . قال شيخنا : قوله : ثم لم يَنْشَب ، بفتح الشين المعجمة ، أي : لم يلبث النشوب : التعلق . أي : يتعلق بشيء من الأمور ، حتى مات .

وهذا بخلاف ما في السيرة لابن إسحاق[1] : أن ورقة كان يمرّ ببلال ، وهو يعذّب ، وذلك يقتضي أنه تأخر إلى زمن الدعوة ، وإلى أن دخل الناس في الإسلام. فإن تمسكنا بالترجيح ، فما في الصحيح أصح .

وإن لحظنا الجمع أمكن بأن يقال : الواو في قوله : وَفَتَرَ الوحي ، ليست للترتيب ، ولعل الراوي لم يحفظ لورقة ذكراً بعد ذلك في أمرٍ من الأمور ، فجعل هذه القصة انتهاء أمره ، بالنسبة إلى علمه ، لا إلى ما هو الواقع . انتهى .

ومن المعلوم أنه لا يصار إلى الترجيح ، إلا بعد تعذر الجمع . وممن قال ذلك شيخنا ، حتى في « نخبته » ، فقد قال بهذا إن ورقة بقي إلى زمن الدعوة ، لأنه قال : إن الجمع ممكنٌ . قال شيخنا : وفتور الوحي عبارة عن تأخره لمدة من الزمان،
44 وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده /من الروع وليحصل له التشوق إلى العود . فقد روى المؤلف في التعبير من طريق معمر ، ما يدل على ذلك انتهى كلام شيخنا .

وقد علمت ما فيه من الأدلّة على قوله بصحبته ، واللّه الهادي . وقال الإمام العلامة الفقيه الأصولي المحدث شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوي الشافعي في شرحه للبخاري : الناموس : هو جبريل عليه السلام ، لأن اللّه خصّه بالغيب .

وأصل الناموس : صاحب سرّ الخير على موسى ، لأن موسى عليه السلام ، متفق عليه بين اليهود ، والنصارى ، وبعض اليهود ينكر نبوة عيسى عليه السلام ، أو لأن النصارى تتبع أحكام التوراة ، وترجع إليها ، على أنه قد رواه الزبير بن بكار : ناموس عيسى .

وفَتَرَ الوحي ، أي : احتبس بعد تتابعه في النزول سنتين ونصف . وقال ابن إسحاق ثلاثاً .

---

(1) السيرة النبوية 318/1 .

وقال ورقة في ذلك : [الطويل]

فإنْ يَكُ حقًّا يا خديجةُ فاعْلَمِي ... حديثك إيّانا فأحمدُ مُرْسَلُ

وجبريْلُ يأتِيْهِ وميكالُ مَعْهُما ... مِنَ اللّهِ وَحْيٌ يَشْرَحُ الصَّدرَ مُنْزَلُ

قال البرماوي : قلت : عُلِمَ من هذا أن ورقة آمن لتصديقه رسالة نبينا ﷺ . قال شيخنا ، شيخ الإسلام البلقيني : بل يكون ذلك أول مَنْ أسلم من الرجال . انتهى .

قال البرماوي : ومَنْ يمنع ، يدّعي أنه أدرك نبوته ، لا رسالته ، لكن في السير : أنه قال : أَبْشِرْ ، فأنا أشهد إنك الذي بَشَّر به ابن مريم ، وإنك على مثل ناموس موسى ، وإنك مرسل ، وإنك ستؤمر بالجهاد ، وإن أدرك ذلك لأجاهدن معك .

وهذا يدل على إيمانه به بعد رسالته . وفي مستدرك الحاكم : « لا تسبُّوا ورقة ، فإني رأيت له جنة أو جنتين » . انتهى كلام البرماوي .

وقد علمت على ما قدمته أن إدراك النبوة دون الرسالة ، لا يمنع صحة الإسلام ، بل متى /وجد التصديق بمجيء جبريل عليه السلام ، كفى . وعلمت ما يلزم على دعوى أن التصديق بالنبوة وحده لا يكفي في الإسلام من الأمر الفاحش ، وهو الحكم بتكفير أتباع الأنبياء الذين لم يرسلوا كلهم ، وهم أضعاف أضعاف الرسل ، واللّه الموفق .

44/ب

وقال الحافظ مغلطاي في سيرته « الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم » ، وذكر أبو نعيم : أن جبريل وميكائيل شقّا صدره ﷺ ، وغسّلاه ، ثم قالا : اقرأ باسم ربك الآيات ... فأتى ورقة ، فأخبره .

فقال ورقة : أبشر ، فأنا أشهد أنك الذي بشّر به ابن مريم ، وأنك على مثل ناموس موسى ، وأنك نبي مرسلٌ ، وأنك ستؤمر بالجهاد ، وإنْ أدرك ذلك لأجاهدنّ معك . وقال عليه السلام : « رأيت ذلك القسّ ، يعني ورقة في الجنة ، عليه ثياب خضر » .

وفي المستدرك : « لا تسبُّوا ورقة ، فإني رأيت لـه جنـة ، أو جنتين » . انتهى كلام الحافظ مغلطاي .

وقال الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد اللّه الخثعمي السهيلي ، في المبعث من كتابه « الروض الأنف » : وإنما ذكر ورقة موسى ، ولم يذكر عيسى عليهما السلام ، وهو أقرب لأن ورقة ، كان قد تنصّر ، والنصارى لا يقولون في عيسى عليه السلام أنه نبيٌّ يأتيه جبريل عليه السلام .

إنما يقولون فيه : إنّ أقنوماً من الأقانيم الثلاثة اللاهويتة ، حلَّ بناسوت المسيح ، واتخذ به على اختلاف بينهم في ذلك الحلول ، وهو أقنوم الكلمة ، والكلمة عندهم عبارة عن العلم ، فلذلك كان المسيح في زعمهم يعلم الغيب ، ويخبر بما في غد .

فلما كان هذا من مذهب النصارى الكذبة على اللّه ، المدعين المحال ، عدل عن ذكر عيسى عليه السلام ، إلى ذكر موسى عليه السلام ، لكن ورقة رضي الله عنه قد ثبت إيمانه لمحمد ﷺ ،
45 وقدمنا /حديث الترمذي أن رسول اللّه ﷺ رآه في المنام ، وعليه ثياب بيضٌ ... إلى آخر الحديث . انتهى .

وقد ظهر بشوق عبارته هنا ، أنه لم ينسب ورقة إلى اعتقاد الحلول ، ولا غيره من الفساد خلافاً لما قاله شيخنا ابن حجر ، وإنما نسب ذلك إلى النصارى ، وذكر أنه عدل إلى ذكر موسى ، لئلا يحصل له لبس ، فيعتقد أحدٌ بسبب كلامه أنه يعتقد في النبي ﷺ ما يعتقده النصارى في عيسى عليه السلام .

وقال السهيلي قبل ذلك عند ذكر أشعاره ، حين كان يتشوق إلى إرسال النبي ﷺ . ولا عقب لورقة ، وهو أحد من آمن بالنبي ﷺ قبل المبعث ، وذكر حديث الترمذي في الثياب البيض .

ثم قال : وهو حديث في إسناده ضعفٌ ، لأنه يدور على عثمان بن عبد الرحمن ، وقوّاه بحديث رؤيته ﷺ له في ثياب حرير . وفيه لأنه أول من آمن بي وصدقني ، وقوّاه أيضاً بإسناد جيد ساقه الزبير بن أبي بكر إلى عروة مرسلاً أن النبي ﷺ ، سُئِلَ

عن ورقة . فقال : لقد رأيته في المنام في ثياب بيضٍ ، الحديث ... انتهى ما يؤخذ من كلام السهيلي .

وقال شيخ الإسلام ولي الدين ، محي الدين النووي الشافعي في كتابه « تهذيب الأسماء واللغات في ترجمة ورقة » : أنه ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قُصي بن كلاب القرشي ، وهو الذي أتته خديجة أم المؤمنين رضي اللّه عنها بالنبي ﷺ ، في حديث المبعث ، وقال للنبي ﷺ : هذا الناموس الذي أنزلَ اللّهُ على موسى[1] : [منهوك الرجز]

* يا لَيْتَنِي فيها جَذَعْ *[2]

* [أَخُبُّ فيها وأَضَعْ] *[3]

يا ليتني أكون حيًّا ، إذْ يخرجك قومك . فقال رسول اللّه ﷺ : أَوَ مخرجيّ هم . قال : نعم . لم يأتِ /أحدٌ قطّ بمثل ما جئت به ، إلا عُودِيَ ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزّراً . ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وهذا الذي ذكرته كله ثابت في الصحيحين بحروفه ، من رواية عائشة رضي اللّه عنها . 45/ب

قال ابن منده ، واختلفوا في إسلام ورقة . قال النووي : وهذا الحديث الذي ذكرته ظاهر في إسلامه واتّباعه وتصديقه ، وقال في التهذيب أيضاً في ترجمة زيد ، أنه زيد ابن عمرو بن نفيل بن عبد العزّى بن رباح بن عبد اللّه بن قرط بن رَزاح - براء مفتوحة ، ثم زاي وحاء مهملة - بن عدْي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي ، العدوي ، والد سعيد بن زيد ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة .

---

(1) شطر الرجز الأول في لسان العرب «جذع» ، وتاج العروس «جذع» .

والشطران 1 - 2 بدون نسبة في تاج العروس «رجز» .

(2) الجذع : الشاب الفتي .

(3) خبّ الرجل : إذا سار الخبب ، وهو ضرب من العدو فيه خفّة . وأضع ، أي : أكف عن ذلك .

وزيد هذا ابن عمّ عمر بن الخطاب بن نفيل . وكان زيد يتعبد في الفترة قبل النبوة على دين إبراهيم عليه السلام ، ويطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويوحد اللّه تعالى ، ويعيب على قريشٍ ذبائحهم على الأنصاب ، ولا يأكل مما ذبح على النّصَبِ . وكان إذا دخل الكعبة ، قال : لبّيك حقًّا حقًّا ، تعبّداً ورقّا ، عذت بما عاذ به إبراهيم .

وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي اللّه عنها . قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة ، يقول : يا معشر قريش ، والذي نفس زيد بيده ، ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيري .

وكان يقول : اللهم لو أني أعلم أيّ الوجوه أحبّ إليك عبدتك به ، ثم يسجد على راحته . وكان يقول : يا معشر قريش ، إيّاكم والزنا ، فإنه يورث الفقر .

وفي الحديث أن النبي ﷺ ، سُئِلَ عن زيد ، فقال : « يبعث يوم القيامة أمة وحده » . وتوفي قبل النبوة ، فرثاه ورقة بن نوفل ، رضي الله عنه بأبيات معناها : أخلص نفسه من جهنم بتوحيده ، واجتنابه عبادة الأوثان .

46 وفي صحيح البخاري ، /في كتاب المناقب جملة من أخبار زيد ومناقبه ، وأنه كان يحيى الموؤدة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل بنته : لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤونتها فيأخذها ، فإذا ترعرعت ، قال لأبيها : إنْ شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤونتها . انتهى كلام الشيخ محي الدين .

ولا شك أن ورقة رضي الله عنه ، ما مدح زيداً رضي الله عنه على التوحيد ، إلا وهو من رؤوس الموحدين .

فباللّه ، للعجب مِمَّنْ يأتي إلى شخصٍ موحّدٍ داعٍ إلى التوحيد ، مادحٍ للموحدين في أيام الجاهلية ، وهو في غاية السرور بنبوة النبي ﷺ ، يتوسّمها فيه قبل مجيئها ، ويتشوق إليها ، وينشد في ذلك الأشعار المضمنة مدح النبي ﷺ ، والشهادة له بالرسالة على ما يجده في الكتب ، وهو من أكابر قوم النبي ﷺ ، وابن عمّه ،

وابن عم زوجه الصديقة الكبرى ، والوزيرة العظمى .

فلما أتت النبوة كما ظنّ كان أول مصدّقٍ ، وحصل له من الرقة والهيبة ما أنطقه بقوله : قُدوس قدّوس . ومن السرور ما قبّل به رأس النبي ﷺ ، ثم أنه يطلق عليه الكفر ، أو يسلخه من الصحبة التي يلزم على مَنْ سلخه منها تكفيره .

ما هذا واللّه إلا ضلال بعيد وجهل شديد ، ولا سيما إن ضمّ إلى هذا أنه إذا سُئِلَ عن بعض الاتحادية الذين هم أكفر البرية ، حسَّنَ حاله ، أو أظهر التورع بالسكوت عن الطعن فيه ، بعد إطلاق العلماء عليه الكفر .

وقولهم : إن تأويل كلامه كفر ، فهو لا يزال ذا رأيين بين أمرين قبيحين : إثبات الولاية لمن أثبت العلماء كفره ، ونفي الإسلام عمن أثبت العلماء صحته ، وأعلوا ذكره .

وممن صرّح بإيمانه العلامة كمال الدين الدَّمِيْري الشافعي[1] ، قال في منظومته الكبرى في الفقه ، المسماة برموز الكنوز في كتاب السير ما نصّه : [الرجز]

ثم أتاهُ الوَحْي في غارِ حِرا ... وجاءَه جِبْريلُ بالذي جَرَى

أقْرأه اقرأ باسْمِ ربٍّ قَدْ خَلَقْ ... خلقَ أنواعَ الأناسِي من عَلَقْ / 46 ب

فأرسَلَتْ خديجةُ لِوَرَقَهْ ... تُعْلِمُه بِشأنِهِ فَطَرَقَهْ

فقال آمنتُ بما اللّه اصْطَفاكْ ... به من البِعْثَةِ بالذي كَفاكْ

وقال : طب هذا هو النّاموسْ ... الأكبرُ الذي له التَّقْدِيْس

---

(1) الدَّميري : محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري ، أبو البقاء ، كمال الدين : باحث، أديب ، من فقهاء الشافعية ، من أهل دميرة بمصر . ولد ونشأ وتوفي بالقاهرة . كان أول أمره يتكسّب بالخياطة ، ثم أقبل على العلم وأفتى ودرّس ، وكانت له في الأزهر حلقة خاصة . أقام مدة بمكة والمدينة . من كتبه « حياة الحيوان » و « النجم الوهاج » و « أرجوزة في الفقه » . « الأعلام 118/7 » .

وقالَ بَعْدَما بهِ القلبُ رَدَعْ يا ليتَنِي قَدْ كنتُ إذْ ذاك جَذَعْ
وخصّ من خديجة التّصدِيق وحيدرِ الأكبرِ والصدّيقْ
وبَعْدَ هذا ظَهَرَ الإسلامْ في مكةَ واهْتَدَتِ الأعْلاَم

ومما يقضي منها الإنسان غاية العجب ، أن أهل الزمان عندهم ، أو عند أكثرهم، أو كثير منهم ، أن أهل الفترة ، وهم من بين عيسى ومحمد ﷺ ، كلهم من أهل الجنة ، أو ليسوا من أهل النار ، ولا يضرّهم عندهم إشراكهم باللّه تعالى وعبادتهم الأوثان ، وموتهم على أقبح الأحوال ، لأنهم على زعمهم لم تبلغهم دعوة، وهم مع ذلك مضطربون في أمر ورقة رضي الله عنه .

فبعضهم يقول : إنه ليس بمسلم . وبعضهم يقول : ليس بصحابي ، لأنه أدرك النبوة دون الرسالة ، وقد صحّ عنه من وجوه لا يشكّ فيها ، ولا يخفى على من له إلمام بعلم ، أنه صدّق النبي ﷺ ، فلم يزد على أهل الفترة إلا بأنه ترك عبادة الأصنام ، ووحّد ذا الجلال والإكرام ، وطلب العلم في الأقطار ، حتى صار من الأحبار الكبار ، وأدام ذلك إلى أن صدّق المصطفى المختار ، فلا يخلو تصديقه له من أن يكون مقبولاً ، أو مردوداً .

فإن كان مقبولا كان صحابياً بالإجماع ، وارتفع النزاع . وإن كان مردوداً ، لزم عليه أن يكون حصل له مع تصديقه بالنبي ﷺ غاية النقمة .

مع أن المكذبين به حصل لهم به ﷺ نوع رحمة ، وهو رفع عذاب الاستيصال عند
47 الاستمرار على الضلال ، فقد خطّ زاعم هذا /رتبة هذا المصدّق ، وجعل أمره على قوله الفاسد دون رتبة أهل الفترة ، فكان قوله في ورقة رضي الله عنه ظلاماً لا يقوله ذو خبرة .

مَرَّ بنا كما ترى على ظلام قوله في أهل الفترة ، ما هذا منهم إلا ضلال بعيد ، وضعف في العقول شديد ، ولكنه على قدر هممهم وأعمالهم .

وما ربك بظلام للعبيد ، ولو كان ما يظنه أكثرهم حقًا من نجاة أهل الفترة ، كان سؤال الصحابة رضي الله عنهم ، عن زيد بن عمرو ونحوه للنبي ﷺ ، كما مضى عبثاً . فإن

زيداً من أهل الفترة بلا شك ، وورقة عند بعضهم كذلك ، وكذا سؤال عائشة رضي اللّه عنها ، عن عبد اللّه بن جُدعان[1] ، أنه كان في الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه ؟

قال : « لا . إنه لم يقل يوماً : ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين » . رواه مسلم، عنها رضي اللّه عنها في الإيمان في صحيحه . فانظر كيف يتلعب الشيطان بأهل النقصان من نوع الإنسان ، واللّه المستعان .

وقال الإمام العارف باللّه أبو محمد عبد اللّه بن جمرة الأزدي المغربي ، في الكلام على حديث بدء الوحي في شرحه لمختصره من البخاري في الوجه السادس والخمسين من وجوه الفوائد المأخوذة منه . وقد اختلف العلماء في إيمان ورقة ، فمن قائلٍ يقول : لم يحصل له الإيمان بعد ، لأنه لم يبلغ عمره زمن الرسالة ، ومن قائلٍ يقول : قد حصل له الإيمان ، وهو الأظهر ، لأنّه تمنى أن يُنْصَر النبي ﷺ ومن جملة النصرة أن يكون على طريقته .

وقد حصل له الإقرار بالرسالة حيث قال : هذا الناموس الذي نزّل اللّه على موسى ، فأقرَّ أن اللّه ﷻ موجود ، وأنه هو الذي يرسل جبريل عليه السلام إلى أنبيائه صلى اللّه عليهم وسلم ، وهذا هو الذي يمكنه في ذلك الوقت ، لأن النبي ﷺ ، لم يكن أُرْسِلَ بعد . انتهى كلام الشيخ محمد بن أبي جمرة ، وقال : /الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه في تضاعيف كلامه كما مضى . 47/ب

وقد قدّمنا من شعره ، ما يدل على إضماره الإيمان ، وعقده عليه ، وتأكده عنده . وقال في كلامه على : « نصراً مؤزّراً » ، يدعو لورقة ما نصّه رحمه اللّه ، ورضي عنه ، وأرضاه ، فإن مثل هذا الذي صدر عنه لا يصدر إلا عن تصديق بما وَجَدَ ،

---

(1) ابن جدعان : عبد الله بن جدعان التيمي القرشي ، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل النبوة ، وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب ، وهو أحد حكام العرب . « الأعلام 76/4 » .

وإيمان بما حصل من الوحي . ونيّة صالحة للمستقبل .

ثم قال : وتقدم الكلام على إيمان ورقة بن نوفل ، بأول ما نزل من الوحي ، ومات في فترة الوحي ﷺ كذا قال .

والظاهر من الحديث أن الوحي ، ما فتر إلا بعد موته ، ﷺ ، انتهى . وإيمان ورقة ﷺ أصرح من إيمان مُخَيْريق ، حبر يهود ، كما هو معروف في السير ، أنه قال لليهود في يوم أحد[1] : واللّه إنكم لتعلمون أن نصر محمد واجبٌ عليكم ، فقالوا : إن اليوم يوم السبت ، فقال : لا سبت لكم .

أو كما قال ، ثم أخذ سلاحه ، وقال : إن أصبتُ فأموالي لمحمدٍ يصنع فيها ما يشاء ، ثم لحق النبي ﷺ إلى أحد ، فقاتل حتى قُتل . فلما وجد في القتلى ، قال النبي ﷺ : « مُخَيْريق خير يهود » ، وقبض أمواله ، فكانت عامة صدقاته منها . وذكر الذهبي في تجريده لأسماء الصحابة ، وقال : ذكر السهيلي أنه مسلمٌ . انتهى .

وهو غير مقصّر عن أمر عمرو بن ثابت بن وَقْش[2] ، فهو أصيرم بني عبد الأشهل ، كان قومه يدعونه إلى الإسلام ، فلما كان يوم أحد ، أخذ سلاحه ولحق الصحابة ﷺ ، وقاتل حتى أثبتته الجراحة ، فَسُئِلَ : هل جئت حمية لقومك ، أم غضباً للّه ؟ فقال: بل غضباً للّه ورسوله ، فمات ، فدخل الجنة .

48 روى قصته هذه أبو داود ، عن أبي هريرة ﷺ ، أطول من هذا ، وكان /أبو هريرة ﷺ ، يقول : أخبروني برجل دخل الجنة ، لم يُصَلِّ للّه ركعة ؛ ثم يقول : هو الأصيرم .

ومن ذلك الذي ذكر مسلم في الجهاد من صحيحه ، في باب عدد الغزوات ، عن عائشة رضي اللّه عنها أن النبي ﷺ ، لما خرج إلى بدرٍ لحقه رجل له جرأة ونجدة ليقاتل معه ، فسأله النبي ﷺ : هل هو مسلم ؟ فقال : لا . فقال : ارجع

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام 88/2 .

(2) انظر في ذلك السيرة النبوية 90/2 ، وجمهرة أنساب العرب ص339 .

فلن أستعين بمشركٍ ، ففعل ذلك غير مرّة .

ثم أدركه بالبيداء ، فقال له : تؤمن باللّه ورسوله . قال : نعم ، فقال رسول اللّه ﷺ . فانطلق . وفي بعض النسخ المعتمدة : أنه حبيب بن بيسان بن عتبة بن عمرو بن خريج ، من الخزرج .

وذكره الذهبي في الصحابة ، بل وفي إيمان ضِمام بن ثعلبة ، أخي بني سعد بن بكر ، ﷺ . ليس في أغلب روايات حديثة تشهد ، فإنه ورد حديثه من روايات شتّى في الصحيحين ، عن أنس ، وعن طلحة رضي اللّه عنهما ، وفيه أنه شدّد على النبي ﷺ في المسألة ، وحلفه على أن أرسله إلى الناس ، وأنه أمره بخصال من الشريعة . وفي بعض طرق حديثة ، أنه قال : أتانا رسولك ، فزعم كذا ، وزعم كذا إلى آخره .

ولم يزد بعد فراغه من السؤال على ذلك الوجه السديد على أن قال : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورائي من قومي[1] . وبعد الإمعان في البحث وجد طريق خارج الصحيحين فيها أنه تشّهد .

ولعل ورقة وردت طريق تشهده ، ولم يطلع عليها ، وأعني منها تنزيهه اللّه تعالى وتصديقه بالنبوة والرسالة ، وشهادته بكل من ذلك ، وأنه النبيّ الذي بشّر به ابن مريم .

فقد علم أن ورقة ﷺ ، شارك ضِماماً ﷺ في التصديق ، وزاد بأنه هو الذي ثبته في أمر جبريل عليه السلام ، وأخبره أنه هو الذي أتاه /من غير لبس ، وشهد له وعنده بأنه نبي هذه الأمة ، وأنه رسول اللّه وحلف جهد يمينه على بذل الجهد في المواساة والنصرة في الجهاد . ولم يكلمه كلمة فيها غلظة ، فلم يدع من خصال الدين شيئاً ﷺ . 48/ب

وفي رواية مسند الإمام أحمد ، للهيثمي ، عن جرير ﷺ ، قال : خرجنا مع رسول اللّه ﷺ ، فلما مررنا من المدينة ، إذا راكب يُوْضحُ نحونا[2] ، فقال رسول

(1) الإصابة 271/3 .

(2) وضح الراكب : طلع .

اللّـه ﷺ : « كأن هذا الراكب إياكم يريد » . فانتهى الرجل إلينا ، فسلم فرددناه عليه السلام . فقال له النبي ﷺ : من أين أقبلت ؟ قال : من أهلي وولـدي وعشـيرتي . قال : فأين تريد ؟ قال : أريد رسول اللّـه ﷺ ، قال : قد أصبته .

قال : يا رسول اللّـه ، علّمني ما الإيمان ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا اللّـه ، وأن محمداً رسول اللّـه ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت .

قال : أقررت ، ثم إن بعيره دخلت يده في شبك جرذان ، فهوى بعيره ، وهوى الرجل ، فوقع على هامته ، فمات .

فقال رسول اللّـه ﷺ : « عليّ بالرجل » ، فوثب عمار بـن ياسـر ، وحذيفـة ابن اليمان ، رضي اللّـه عنهما ، فأقعداه ، فقالا : يا رسول اللّـه ، قبـض الرجـل ، فأعرض عنهما رسول اللّـه ﷺ ، ثم قال لهما رسـول اللّـه ﷺ :« أمـا رأيتمـا إعراضي عن الرجل ، فإني رأيت ملكين يدسّان في فيه من ثمار الجنة ، فعلمـت أنـه مات جائعاً » .

ثم قال رسول اللّـه ﷺ : هذا واللّـه من الذين قال اللّـه عـز وجـلّ : ﴿ الذيـنَ آمنوا و لم يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بظُلْمٍ أولئكَ لهمُ الأمنُ وهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[1] .

وفي رواية : مِمَّنْ عمل قليلاً ، وأضَرَّ كثيراً ثـم قـال : دونكـم أخـاكم . قـال : فاحتملناه إلى الماء ، فغسلناه ، وحنطناه ، وكفناه ، وحملناه إلى القبر . فقال : « ألحدوا /ولا تشقوا » . انتهى . 49

فعلمه القليل ، وهو سؤاله . وقوله : أقررت الذي علم منه أنه لو أمهله الزمان : أتى بالشهادتين على وجههما .

وأما إطعامه من ثمار الجنة ، فلأنه مـات في طلـب العلـم ، فمـات شـهيداً . فمـا ظنك بورقة في كل من الأمرين : طلب العلم والتشهد .

---

(1) سورة الأنعام : 82/6 .

لا شك عند من لا علم له بطباع العرب ، لا سيما قريش في شهامتها وبعدها من النفاق ، أنه كان في غاية ما يكون من التمكن منهما .

وللنسائي وأبي يعلى ، وهذا لفظه ، عن عقبة بن مالك الليثي ﷺ ، قال : بعث رسول اللّه ﷺ سريّة ، فغارت على قوم ، فشدّ رجل ، وتبعه رجل من السريّة ، ومعه السيف شاهره . قال إنسان من القوم : إنيّ مسلمٌ ، فلم ينظر فيما قال . فضربه ، فقتله ، فنمى الحديثُ إلى رسول اللّه ﷺ ، فقال قولاً شديداً فبلغه.

فبينا رسول اللّه ﷺ يخطب إذْ قال القاتل : يا رسول اللّه ، واللّه ما قال الذي قال إلا تعوّذاً من القتل ، فأعرض عنه رسول اللّه ﷺ ، وعمَّنْ قبله من الناس ، فلم يصبر أنْ قال الثالثة ، فأقبل عليه تعرف المساءة في وجهه . فقال إن اللّه أبى عليّ أن أقتل مؤمناً ثلاث مرات . انتهى .

ولا شك أنّ ما قاله ورقة ، ﷺ أولى بالحكم في الإيمان من قوله هذا : إنّي مسلمٌ . ولا يردّ على مثل هذا أمر أبي طالب ، لأنه نقل أنه أبى المتابعة في الصلاة ، وأبى النطق بالشهادتين ، وأخبر النبي ﷺ ، أنه وجده في غمرات النار ، فأخرجه إلى ضحضاح منها ، ولولا ذلك لحكمنا بإسلامه ، بما فيه من النصرة والإقرار بالنبوة .

وأما غيره ، فنثبّت له الصحبة بالتصديق ، وبما خصّه من القرائن الدالة على المتابعة .

وأما ورقة بالخصوص ، فلما ظهر عليه من كمال الإذعان والعشق في المتابعة ، /وقوله : أستمر على نصرانيتي إلى أن يأتي هذا الدين يعني دين محمد ﷺ ، فإنه يعلم من الإنجيل وغيره ، أنه ناسخ لكل دينٍ ، كما سيأتي ، ولإخبار النبي ﷺ ، أنه رآه في الجنة ، واللّه الهادي . 49/ب

وممن قال : بأن ورقة صحابي ، حافظ عصره ، الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن

الحسين العراقي الشافعي ، وهو ممن شهد له شيخنا ابن حجر : أنه كمل حفظه، فإنه قال في تاريخه « أنباء الغمر في أبناء العمر » . في من مات سنة أربع وسبعين وسبعمائة ، في ترجمة تقي الدين محمد رافع السلامي ، أن الشيخ تقي الدين السبكي ، كان يقدمه على العماد بن كثير ، وغيره من محدثي زمانه .

ثم قال : قلت : والإنصاف أن ابن رافع أقرب إلى وصف الحفظ على طريقة أهل الحديث من ابن كثير ، لعنايته بالعوالي والأجزاء والوفيات والمسموعات ، دون ابن كثير .

وابن كثير أقرب إلى الوصف بالحفظ على طريقة الفقهاء ، لمعرفته بالمتون الفقهية والتفسيرية ، دون ابن رافع ، فيجمع منهما حافظ كامل ، وقلّ مَنْ جمعهما بعد أهل العصر الأول ، كابن خزيمة والطحاوي وابن حبّان والبيهقي . وفي المتأخرين شيخنا العراقي . انتهى .

إذا علم محله من العلم ، فقد قال في نكته على علوم الحديث لابن الصلاح المسمّى « بالتقييد والإيضاح » لما أطلق وأغلق من كلام ابن الصلاح في النوع التاسع والثلاثين في معرفة الصحابة ، ﷺ في قوله : اختلف السلف في أوله إسلاماً ، وقال : قال الحاكم أبو عبد اللّه : لا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أن علي بن أبي طالب أولهم إسلاماً . واستنكر هذا الحاكم . انتهى كلام ابن الصلاح .

وحكي عن بعضهم أنه جزم بأبي بكر ، وبعضهم جزم بخديجة . ثم قال الشيخ
50 زين الدين : وينبغي أن يقال : /أول من آمن من الرجال ورقة بن نوفل ، لما ثبت في الصحيحين ، من حديث عائشة ، رضي اللّه عنها ، في قصة بدء الوحي ، ونزول: ﴿ اقرأ باسم ربك ... ﴾ . ورجوعه ، ودخوله على خديجة رضي اللّه عنها .

وفيه : فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ، فقالت : اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول اللّه ﷺ خبر ما

رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نـزّل اللّـه على موسى ، يـا ليتني فيها جذع ... الحديث . إلى أن قال : وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزّراً .

ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفَتَرَ الوحي ، ففي هـذا أن الوحي تتابع في حياة ورقة ، وأنه آمن به وصدقه . وقد روى أبو يعلى الموصلي ، وأبو بكر البزار في مسنديهما ، من رواية مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد اللّـه ، رضي اللّـه عنهما ، أن النبي ﷺ ، سُئِلَ عن ورقة بن نوفل ، فقال : « أبصرته في بطنان الجنة، عليه سندس » . لفظ أبي يعلى .

وقال البزار : عليه حلّة من سندس . وروى البزار أيضاً من حديث عائشة رضي اللّـه عنها ، قالت : قال رسول اللّـه ﷺ : « لا تسبُّوا ورقة ، فإني رأيت لـه جنة أو جنتين » . وإسناده صحيح ، رجاله كلهم ثقات .

وقد ذكر ورقة في الصحابة ، ﷺ ، أبو عبد اللّـه ، ابن منده . وقال : اختلف في إسلامه . انتهى .

قال الشيخ زين الدين : وما تقدم من الأحاديث ، يدل على إسلامه . انتهى كلام الشيخ في النكت ، وقد نقله عنه تلميذه شيخنا الحافظ برهان الدين الحلبي ، سبط ابن العجمي ، في تعليقه على الشفا ، مرتضياً له ، وكان السبب في النهي عن سبّه ، ﷺ أنه لما كان قد خالف قريشاً في الجاهلية في الدين ، هو وزيد بن عمرو ابن نفيل ، وَشَرَعا يعيبان دينهم ، ويعيّرانهم /بالإشراك الذي لا يقول به عاقل ، 50/ب شرعت قريش تؤذيهما ، وتسبّهما .

ولا شك أن الإنسان إذا ارتكب فِيْهِ طريقة خفت على اللسان ، وهانت عند الإنسان كائناً ذلك ما كان ، فربما جرى على لسان أحد ، سبّه لذلك ، و لم يكن بلغه إسلامه . فنهى النبي ﷺ ، عن ذلك نهياً عاماً .

وقال الشيخ زين الدين أيضاً في أول ما وجد من شرحه لكتابه « تقريب الأسانيد » الذي صنّفه لولده ولي الدين في حال صغره ، المسمّى « طرح التثريب

في شرح التقريب » عن السيد ورقة : أدرك ابتداء الوحي ، واستخبر النبي ﷺ عن ذلك ، فأخبره ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل اللّه على موسى ، ثم توفي ورقة قبل اشتهار النبوة .

قال أبو عبد اللّه ابن منده : اختلفوا في إسلام ورقة . وقال السهيلي : هو أحد من آمن بالنبي ﷺ ، قبل البعث ، وما ذكره السهيلي هو الصواب .

وقد روى الحاكم في « المستدرك » من رواية هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي اللّه عنها ، أن النبي ﷺ ، سمع رجلاً يسبُّ ورقة ، فقال : « أما علمت أني رأيت لورقة جنة أو جنتين » .

قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ورواه الترمذي ، من رواية عثمان ابن عبد الرحمن الوقاصي ، عن الزهري عن عروة ، عن عائشة رضي اللّه عنها : أن النبي ﷺ ، سُئِلَ عن ورقة ، فقالت له خديجة ، رضي اللّه عنها : كان صدّقك ، ولكنه مات قبل أن تظهر ، فقال رسول ﷺ : « رأيت ورقة في المنام ، وعليه ثياب بياض ، ولو كان من أهل النار ، لكان عليه لباس غير ذلك » .

قال الترمذي : هذا حديث غريب ، وعثمان ليس بالقوي . قال العراقي : قلت، وقد رواه معمر عن الزهري ، /عن عروة مرسلاً ، ليس فيه عائشة ، وهو مرسل صحيح رواه الزبير بن بكار . 51

وقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق بإسناده إلى الشعبي ، عن جابر رضي الله عنه ، قال : سُئِلَ النبي ﷺ عن ورقة ، فقال : « أبصرته في بطنان الجنة ، عليه السندس». فهذا مع حديث عائشة ، ومرسل عروة ، تقوي بعضها بعضاً ، وهي تدل على إسلام ورقة ، رضي الله عنه ، وهو الصواب إن شاء اللّه . انتهى كلام الشيخ زين الدين العراقي .

وقال الحافظ برهان الدين الناجي ، بارك اللّه في حياته : وحديث الترمذي المذكور، رواه في كتاب : « الرؤيا » لافي « المناقب » ، عن أبي موسى الأنصاري .

قال المزّيّ[1] في « الأطراف » ، وهو ابن المثنى عن يونس بن بكير الوقاصي به، وقال في تهذيب الكمال ، له هذا الحديث الواحد في ورقة . وقال الإمام العلامة الفقيه الأصولي المحدّث ، قاضي القضاة ولي الدين ، أبو زرعة بن الزين العراقي المذكور ، في تتمة شرح والده الحافظ زين الدين ، في الفائدة الحادية والخمسين في حديث بدء الوحي ، بعد ذكره لأكثر كلام السهيلي السابق ، وإقراره له على أنه ثَبُتَ إيمانه لمحمد ﷺ .

قلت : وروى أبو يعلى الموصلي ، وأبو بكر البزار في مسنديهما من طريق مجالد ، عن الشعبي ، عن جابر بن عبد اللّه ، رضي اللّه عنهما ، أن النبي ﷺ ، سُئِلَ عن ورقة بن نوفل ، رضي الله عنه ، فقال : « أبصرته في بطنان الجنة ، عليه سندس » . ثم ذكر حديث البزار، عن عائشة رضي اللّه عنها : « لا تسبُّوا ورقة ، فإني رأيت له جنة أو جنتين » .

قال : والظاهر أن ورقة ، رضي الله عنه ، لم يكن متمسكاً بالمبدل من النصرانية ، وإنما كان متمسكاً بالصحيح منها الذي هو على الحق ، فلم يعتقد هذا الاعتقاد ، أي : اعتقاد /النصارى في الأقانيم . انتهى كلام أبي زرعة العراقي . 51/ب

وإلى صحة اعتقاده يشير كلام السهيلي لمن تأمله كما مضى . ثم قال أبو زرعة ابن العراقي ، فيحتمل عندي أن يجاب عن ذكر موسى دون عيسى عليهما السلام، بأن جبريل عليه السلام جاء لموسى عليه السلام بشريعة مبتداة ، غير مبنيّة على شريعة قبلها .

وكذلك مجيئه لمحمدٍ ﷺ ، بخلاف عيسى عليه السلام ، فإنه إنما جاءه بشريعة مقررة للشريعة التي قبلها ، وهي شريعة موسى ، لا تخالفها إلا في يسيرٍ من الأحكام .

---

(1) المزّيّ : يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزيّ : محدث الديار الشامية في عصره . ولد بظاهر حلب ، ونشأ بالمزة ـ من ضواحي دمشق ـ مَهَرَ في اللغة ، ثم في الحديث ومعرفة رجاله ، وصنف كتباً ، منها : « تهذيب الكمال في أسماء الرجال » و « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف». « الأعلام 236/8 » .

ولعل هذا هو السبب في قول الجنّ : إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى . انتهى .

وكذا ما روي عن النجاشي رحمه الله ، من أنه ذكر موسى عليه السلام ، لما قرأ عليه جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنه القرآن ، ثم قال ابن العراقي في الفائدة التاسعة والخمسين ، قال والدي رحمه الله في « نكت ابن الصلاح » ينبغي أن يقال : إن أول من آمن من الرجال ورقة بن نوفل رضي الله عنه لهذا الحديث ، فإن فيه : أن الوحي نزل في حياة ورقة ، وأنه آمن به وصدقه . وذكره في الصحابة أبو عبد الله ابن منده .

وقال : اختلف في إسلامه ، قال والدي : وما تقدم من الأحاديث يدل على إسلامه . انتهى كلام العراقي .

وقال العلامة قاضي الشافعية بالديار المصرية شمس الدين الهروي في شرحه لصحيح مسلم : وظاهر الروايات يدل على إسلامه .

وقال شيخنا ، شيخ الحفاظ برهان الدين الحلبي في شرحه لسيرة ابن سيد الناس : ورقة : هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي ، ترجمة معروفة طويلة ، منها : أنه لا عقب له ، وقد روى الحاكم ، فذكر حديث عائشة : « لا تسبّوا ورقة . قال : وكذلك أخرجه البزار في كتاب الزبير ، فذكر /أثر عروة : في ثياب بيضٍ . 52

قال : ورواه الترمذي في كتاب « الرؤيا » في جامعه ، عن عروة ، عن عائشة . وذكر كلام الترمذي في تضعيفه ، وكلام السهيلي ، قال : وذكره الحاكم في المستدرك في « الرؤيا » . وقال صحيح .

وتعقبه الذهبي في تلخيصه بالوقاصي ، وهو عثمان المذكور ، أي : عند الترمذي، قال : لكن يقويه : « رأينا القسّ ، وعليه ثياب حرير ، لأنه أول من آمن بي ، وصدقني » .

ثم ذكر كلام المرزباني ، وما ذكر شيخه الحافظ زين الدين العراقي في نكته على ابن الصلاح ، وذكر حديث جابر ﷺ : رأيته في بطنان الجنة ، من أبي يعلى والبزار .

ثم قال : وروى البزار أيضاً فذكر حديث عائشة رضي اللّه عنها : لا تسبوا ورقة . ثم قال : صحيح رجاله ، كلهم ثقات . ثم قال : وقال شيخنا في سيرته المنظومة : [الرجز]

ثم أَتَتْ به تؤمّ وَرَقَهْ ... قَصَّ عليه مَا رأى فصدّقَهْ

فَهو الذي آمنَ بَعْد ثانياً ... وكان بَرًّا صادقاً مُواتيا

والصَّادِقُ المَصْدوقُ قال إنّه ... رأى له تَخَضْخضاً في الجنه

قال : وقوله : ثانياً ، أي : بعد خديجة ، رضي اللّه عنها . انتهى .

وقال العلامة شمس الدين الهروي في شرحه لصحيح مسلم : ومن خط الذي نقل من خطّه نقلت ، بعد سوق نسبه إلى كلاب . وأمه هند بنت أبي كبير بن عدي ابن قصي ، ثم ذكر الأحاديث التي ذكرها شيخنا البرهان ، بنحو ما ذكره ، وذكر الرائية من شعره والدالية ، ثم قال : وله أشعار كثيرة غير ما ذكرنا في هذه المعاني ، وفيما ذكرنا كفاية .

وقال العلامة شمس الدين الكفيري في شرحٍ له على البخاري ، سماه «الكوكب الساري » . وقوله : وَفَتَرَ الوحي ، الأصح أن الإيمان التصديق ، وهو يعني ورقة ، قد صدّقه من غير أن يذكر ما ينافيه /انتهى . 52/ب

وهذا الذي قاله هو كلام الكرماني ، قال الكفيري : قلت ، جزم السهيلي بإيمانه واستدرك بما رواه الترمذي أن رسول اللّه ﷺ ، قال : « رأيته في المنام ، وعليه ثياب بيض ، ولو كان من أهل النار ، لم يكن عليه ثياب بيض » .

وفي إسناد ضعيف ، لأن مداره على عثمان بن عبد الرحمن ، لكن يقويه ،

قوله ﷺ : رأيت القسّ ، يعني ورقة ، وعليه ثياب حرير ، لأنه أول من آمن بي وصدقني . انتهى كلام الكفيري .

وقد روى ابن كثير الحديث الذي ساقه من الترمذي ، من عند الإمام أحمد من غير طريق الترمذي التي فيها عثمان . وقال : هذا إسناد حسن . انتهى .

وقال الكفيري أيضاً فيما قرأته بخطه ، فيما كتبه على توضيح توضح الزركشي في ذكر الناموس : ولكن قد ثبت إيمان ورقة . انتهى .

وقال العلامة المغفور له نجم الدين محمد ، قاضي عجلون الدمشقي الشافعي في شرحه لعقيدة الشيباني ، في قوله : [الطويل]

وأَفْضَلُهمْ بعدَ النَّبيّ مُحَمّدا ... أبو بَكْر الصّدِيْقُ ذو الفَضْلِ والسَّدا

لَقَدْ صَدَّقَ الْمختارَ في كُلِّ قَوْلِهِ ... وآمَنَ قبلَ النّاسِ حقًّا ووحّدا

بعد أن ذكر كلام الإمام تقي الدين ابن الصلاح في الجمع بين الأقوال في أول مَنْ أسلم ، قال : ويبقى النظر على هذا من جهة ورقة بن نوفل ، ﷺ ، فإن في حديث عائشة رضي اللّه عنها في الصحيحين ، في قصة بدء الوحي ، أن الوحي نزل في حياة ورقة ﷺ ، وأنه آمن بالنبي ﷺ ، وصدقه ، ولذلك قال الشيخ زين الدين العراقي ، يعني في نكته على ابن الصلاح ، ينبغي أن يقال : أول من أسلم من الرجال ورقة بن نوفل ﷺ ، انتهى .

53 وقد عرف بأقوال هؤلاء العلماء رحمهم اللّه جراءة من اجترأ /على هذا السيد الجليل ، فنفاه من الصحبة ، وأنه جهل ما لا ينبغي أن يجهل ، ثم كفاه جهله حتى تكلم من غير توقف على مراجعة الكتب المصنفة في هذا الشأن ، أو مراجعة من يعرف ، إن كان غير متأهل للتنقيب عن مثل هذا امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ فاسْأَلُوا أهلَ الذِّكْرِ إن كنتمْ لا تَعلمونَ ﴾[1] .

---

(1) سورة النحل : 43/16 .

وامتثالاً لقول النبي ﷺ الذي رواه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجة ، عن ابن عباس رضي اللّه عنهما : « إنّما شفّ العيّ السؤال » .

وورد في معناه عن علي وجابر رضي اللّه عنهما ، واللّه الهادي . ذكر من تكلم على ما للصحابي من التعريف ، وأدخل ورقة ﷺ في معناه اللطيف ، وألبسه بذلك أعلى طراز ، وأجلّ تشريف .

قال الحافظ الكبير أبو بكر الخطيب البغدادي في كتابه « الكفاية في معرفة أصول علم الرواية » ، إن شعبة قال : كان جندب بن سفيان أتى النبي ﷺ ، وإن شئت قلت : له صحبة . وفي رواية : وإن شئت قلت : قد صحبه .

وإن أحمد بن حنبل ذكر من أصحاب رسول اللّه ﷺ أهل بدر . ثم قال : أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول اللّه ﷺ ، القرن الذي بعث فيهم كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة ، أو رآه ، فهو من أصحابه له من الصحبه على قدر ما صحبه ، وكانت سابقته معه ، وسمع منه ، فنظر إليه .

وإن البخاري قال : مَنْ صحب النبي ﷺ ، أو رآه من المسلمين ، فهو من أصحابه ، وإن القاضي أبا بكر محمد بن الطيب ، قال : لا خلاف بين أهل العلم في أنّا نقول : صحابي ، مشتق من الصحبة ، وأنه ليس بمشتق من قدرٍ منها مخصوص، بل هو جارٍ على كل من صحب غيره قليلاً كان أو كثيراً .

كما أن متكلم ومخاطب وضارب ، مشتق من المكالمة والمخاطبة والضرب ، وجارٍ على كل مَنْ وقع ذلك منه قليلاً /كان أو كثيراً ، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من 53/ب
الأفعال ، ثم ذكر أن العرف بعد ذلك تقرر في الصحبة ، على من كثرت صحبته ، وطال لقاءه . انتهى ما نقلته من « الكفاية » .

وقال الإمام تاج الدين السبكي في « جمع الجوامع » : الصحابي من اجتمع مؤمناً بمحمد ﷺ ، وإن لم يَرْوِ ، ولم يطل . انتهى .

وقال شيخنا حافظ عصره ابن حجر في نخبته في تعريف من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام ، ولو تخللت ردّة في الأصح .

وقال الإمام شمس الدين محمد بن عثمان الدايم البرماوي المصري الشافعي في شرح ألفيته المسماة « بالنبذة الألفية في الأصول الفقهية » . في شرح قوله : [الرجز]

ثمَّ الصَّحابيّ الذي قد اجْتَمَعْ مع النبيّ مؤمِناً بذا ارْتَفَعْ
وإنْ يكن لم يروِ أو لم يطلْ أو ما عَزَا مَعَ النّبيّ الأكْمَل

إذاً تقرر أن الصحابة ﷺ عدول ، فلا بدّ من بيان الصحابي مَنْ هو ؟ وما الطريق في معرفة كونه صحابياً ، فذكرت في هذين البيتين المقام الأول ، وقد اختلف في تفسير الصحابي على أقوال منتشرة ، والمختار منها ، ما اقتصرت عليه : وهو أن الصحابي من اجتمع مؤمناً بالنبي ﷺ ، ولو لم يَرْوِ عنه ، ولو لم يطل صحبته معه ، ولو لم يره لكونه أعمى ، كابن أم مكتوم .

وخرج به مَنْ رآهم النبي ﷺ ، حين كشف له عنهم ليلة الإسراء وغيرها . ومن رآه في غير عالم الشهادة كالمنام ، وكذا من اجتمع به من الأنبياء والملائكة في السموات لأن مقامهم أجلّ رتبة من رتبة الصحبة . انتهى .

وتعليله بأنهم أصل غير مسلم له ، بل ليس في الخلق أحدٌ ، لانبي ، ولا ملك إلا وهو يتشرف بصحبته للنبي ﷺ . فعيسى عليه السلام ، أحد أولي العزم ، ولاشك عند مسلم أنه أحد الأمة .

54 وأما /موسى عليه السلام ، فقد قال النبي ﷺ : لو كان حيًّا ما وسعه إلا اتباعي وغيره كذلك ، لأنه ﷺ رسول إلى الخلق كافة بدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يا أيُّها الناس إنّي رسولُ اللّه إليكم جميعاً ﴾[1] . بعد قوله : ﴿ ورحمتي وَسِعَتْ كل شيءٍ فسأكتُبها

(1) سورة الأعراف : 158/7 .

للذين يَتّقونَ ويُؤْتونَ الزّكاةَ والذينَ هُمْ بآياتِنا يُؤْمِنونَ الذينَ يَتّبعونَ النبيّ الأميّ ﴾[1].

فكل من علم أنه لا يتبعه ، لا يدخل الجنة ، فهو رسول اللّه إلى الكلّ ، بعضهم بالفعل ، وبعضهم بالقوة ، وسيظهر الفعل في حقّ الكلّ في القيمة ، حيث يكونون كلهم تحت لوائه ، آدم فمن دونه .

ومن الأدلة أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ ليكونَ للعالمين نذيراً ﴾[2] . وقوله تعالى : ﴿ وإذْ أخذَ اللّهُ ميثاقَ النبيّنَ لما آتيتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وحِكمةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رسولٌ مُصدّقٌ لما معكُمْ لتُؤْمِنَّ بهِ ولتَنْصُرُنَّهُ قال أَقْرَرْتُم وأخذتُمْ على ذلِكُمْ إِصْرِي قالوا أَقْررنَا قالَ فاشْهَدُوا وأنا معكُمْ مِنَ الشّاهدينَ ﴾[3] .

قال البغوي : أراد أخذ الميثاق على النبين وأممهم ، فاكتفى بذكر الأنبياء ، لأن العهد على المتبوع ، عهد على الإتباع . قال : وهذا معنى قول ابن عباس ، رضي اللّه عنهما .

وقال علي ﷺ : لم يبعث اللّه نبياً آدم ، فمن بعده ، إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد ﷺ ، وأخذ العهد على قومه ليؤمنّ به ، ولئن بُعث ، وهم أحياء لينصرنه . انتهى .

فما منهم أحدٌ بِحِلٍّ عن متابعته ، فضلاً عن صحبته . وقد بيّنْتُ هذا غاية البيان عند قوله تعالى : ﴿ لأُنْذِرَكُمْ بهِ ومَنْ بَلَغَ ﴾[4] . في سورة الأنعام من تفسيري « نظم الدرر من تناسب الآي والسور » . المشهور بالمناسبات .

وما تقدم عن ورقة ، ﷺ من قوله : أستمر على نصرانيتي ، إلى أن يأتي هذا

---

(1) سورة الأعراف : 156/7 - 157 .

(2) سورة الفرقان : 1/25 .

(3) سورة آل عمران : 81/3 .

(4) سورة الأنعام : 19/6 .

54 ب الدين /يدل على أنه كان عارفاً بهذا الميثاق ، وأن هذا النبي الكريم ، عليه أفضل الصلاة والتسليم ، إذا أتى نَسَخَ كل دينٍ .

وقد أشار المسيح عليه السلام إلى هذا في الإنجيل ، فإنه مثل الملكوت بصاحب كرمٍ، أرسل إلى كرمه مَنْ يعمله له ، فاستملكوه وكان كلما أرسل عبيده ، ليأخذوا ثمرته، ضربوهم . فأرسل أعزّ مَنْ عنده ، فقتلوه .

ثم قال : فإذا جاء ربّه ، ماذا يفعل ؟ قالوا : يهلكهم ، ويدفع الكرم إلى آخرين، ليعطوه ثمرته .

قال : أما قرأتم قطّ في الكتب أن الحجر الذي رذّله البناؤن صار رأس الزاوية، من أجل هذا أقول لكم : إن ملكوت اللّه ينزعه منكم ، ويعطي الأمم، يصنعون ثمرتها ، ومن سقط على هذا الحجر ترضّض . ومن سقط عليه طحنه. انتهى .

وهو منطبقٌ على ديننا ، فإنه لم يجتمع في دين من الأديان أممٌ ، إلا فيه . ولم يكن أمة سقط عند الناس من العرب ، وصيرورته رأس الزاوية ، نَسْخَهُ لكلِّ دينٍ . وكذا طحنه لكلّ مَنْ خالفه .

وقال مثلاً آخر ، معناه أن إنساناً عمل دعوة ، وأرسل إلى المدعوين ، فاعتلّوا ، ولم يأتِ أحدٌ منهم ، فغضب ، وقال لعبده : اذهب إلى شوارع المدينة، وادع المساكين والعور والعميان والمقعدين ، اخرجْ إلى الطرق والساحات ، ولحّ عليهم حتى يدخلوا ، ويمتلأ بيتي ، ولا أحد من هؤلاء يذوق لي عشاءً . انتهى .

وهو إشارة إلى إرسال عبده محمد ﷺ عند ضلال مَنْ قبلنا ، ومرادهم فدعى الأمم المتنوعة لأنه لم يتقدمنا نبي ، تنوعت الأمم في دعوته ، واللّه الموفق. وفيه ما لعلّه أصرح من هذا .

وورقة رضي اللّه عنه عالم به كلّه ، وقد عمل بمقتضاه ، لم يتوقف عن تصديق النبي الخاتم الناسخ ، طرفة عين ، واللّه الهادي .

55 /ثم قال البرماوي : وكذا من اجتمع به في الأرض كعيسى ، والخضر عليهما

السلام ، إنْ صحّ ذلك ، فإنما المراد الاجتماع المعروف على الوجه المعتاد ، لا خوارق العادات ، فلهذا لا يورد على هذا التعريف شيء من ذلك والتعبير « باجتمع » أجود من التعبير « برأى » النبي ﷺ ، أو رآه النبي ﷺ ، لما ذكرناه .

وأجود أيضاً من التعبير « تصحب ليلاً » يلزم منه الدور ، ما لم يحمل «صحب» على المعنى اللغوي ، ولأن الصحبة عرفاً تتوقف على ملازمة ونحوها .

وخرج أيضاً بالاجتماع ، من رأى النبي ﷺ بعد موته ، قبل الدفن ، كأبي ذؤيب الشّاعر ، خالد بن خويلد الهذلي ، لأنه لما أسلم ، وأخبر بمرض النبي ﷺ، سافر ليراه فوجده ميتاً ، مسجّى ، فحضر الصلاة عليه والدفن ، فلم يعد صحابياً ؟ نعم ، ابن عبد البر ، إنما يعتبر في الصحبة أن يسلم في حياته ﷺ ، وإن لم يره . فالذي رآه ميتاً من باب أولى انتهى .

كذا قال . وابن عبد البر لا يعدّ من لم يَرَ صحابياً ، وإنما ذكر المخضرم في كتابه استيعاباً لأهل ذلك القرن ، بقيد الإسلام ، لا الصحبة ، على أنه قد ذكر في كتابه من هو مقطوع بكفره ، كالمقوقس عظيم القبط ، وقال : إن سنده في ذكره في تحديثه لعبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة بن مسعود ، فدّل ذلك على تعميره .

ثم قال البرماوي بعد قوله السابق : إن الذهبي في التجريد للصحابة قد عدّ منهم أبا ذؤيب ، وقوّاه شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص البلقيني . وقال الطاهر: إنه يعدّ صحابياً ، ولكن مرادهم كلهم الصحبة الحكيمة التي بَيَّنتُها ، لا حقيقة الصحبة ، وخرج بالتقييد بالإيمان لمن رآه قبل النبوة ، ولم يره بعد ذلك ، كما في زيد بن عمرو بن نفيل ، مات قبل المبعث ، وقال النبي ﷺ : « إنه يبعث أمة وحده » ، كما رواه /النسائي . 55/ب

وأما ما ذكر ابن منده وغيره له في الصحابة ، فمن التوسع الآتي بيانه ، قال البرماوي : وليس ورقة بن نوفل من هذا النوع ، لأنه اجتمع به بعد الرسالة ، لما صحّ في الأحاديث أنه جاء له بعد مجيء جبريل عليهما الصلاة والسلام له ،

وإنزال : ﴿ اقرأ باسْمِ ربِّكَ ﴾ عليه ، وبعد قوله له : أَبْشِرْ يا محمد ، فأنا جبريل، أرسلت إليك ، وإنك رسول هذه الأمة ، وقول ورقة له : أَبْشِر ، فأنا أشهد أنك الذي بشّر به ابن مريم ، وإنك على مثل ناموس موسى ، وإنك نبيٌّ مرسلٌ ، ورؤيته عليه الصلاة والسلام لورقة في الجنة ، وعليه ثياب خُضْرٌ ، وجاء أنه قال : لا تسبّوه، فإني رأيت له جنة ، أو جنتين . رواه الحاكم في المستدرك .

وأما قول الذهبي في « التجريد » : إن ابن منده ، قال : اختُلِفَ في إسلامه ، والأظهر أنه مات بعد النبوة ، قبل الرسالة ، فبعيد لما ذكرناه ، فهو صحابي قطعاً ، بل أول الصحابة ، ﷺ . كما كان شيخنا شيخ الإسلام البلقيني يقرره . انتهى كلامه في شرح الألفية .

وقال في أوائل شرح منظومته في رجال العمدة المسمّى « شرح النهر لشرح الزهر » ، آخر الخطبة في ذكره لتعريف الصحابي ، وما يرد عليه بعد قوله : إن البخاري عرّفه بمن صحب النبي ﷺ ، أو رآه .

قال : وأورد أيضاً من رآه قبل النبوة ، فقد يقال : لا يسمى صحابياً . ولهذا قال النبي ﷺ في زيد بن عمرو بن نفيل ، والد سعيد بن زيد ، أحد العشرة ، إذْ مات قبل المبعث : « إنه يبعث أمةً وحده » ، كما رواه النسائي .

وأما ذكر ابن منده وغيره له في الصحابة ، فمن التوسع . وليس ورقة من هذا النوع ، لأنه أدرك النبوة ، وآمن حين جاءت به خديجة إليه بعد النبوة ، وذكر من
56 خبرهم ، ما هو مشهور في /الصحيح .

وأما قول الذهبي في « التجريد » : إن ابن منده ، قال : اختُلِفَ في إسلامه ، والأظهر أنه مات بعد النبوة ، وقبل الرسالة فبعيدٌ ، فإنه ما جاء إلى ورقة إلا وقد قال له جبريل عليه السلام : أبشر يا محمد ، فأنا جبريل ، أرسلت إليك ، وإنك رسول هذه الأمة ، ثم قال : أخرجَ لي قطعة نمط ، فقال : اقرأ ... إلى آخر الحديث ، مع ما في مستدرك الحاكم وغيره من رؤية ورقة في الجنة ، وعليه ثياب خضر . انتهى

كلام البرماوي في شرح منظومته في رجال العمدة . ويؤيده أنه ليس بين النبوة والرسالة زمنٌ طويلٌ .

قال الإمام أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي في تاريخه « مروج الذهب»: وأتاه جبريل عليهما السلام في ليلة السبت ، ثم في ليلة الأحد وخاطبه بالرسالة في يوم الإثنين . وكذا قال الناصر محمد بن عبد الرحيم ابن الفرات في تاريخه ، وزاد لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان قالا : وذلك بحراء . وهو أول موضع نزل فيه القرآن ، انتهى .

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ ، سُئِلَ عن صوم يوم الإثنين ، فقال : « فيه ولدت ، وفيه أُنزِل عليَّ » .

وقال المسعودي أيضاً في تاريخه[1] ، في أخبار الفترة ، ومَنْ كان فيها ، ومنهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قصي ، وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ لحاً .

وكان قد قرأ الكتب ، وطلب العلم ، ورغب عن عبادة الأصنام ، وبشّر خديجة بالنبي ﷺ ، وأنه نبيّ هذه الأمة ، وأنه سيؤذى ، ويكذّب ، ولقي النبي ﷺ ، فقال: يا ابن أخي ، اثبتْ على ما أنت عليه ، فو الذي نفس ورقة بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولتؤذينّ ولتكذبنّ ، ولتخرجنّ ، ولتقاتلَنَّ ، ولئن أدركتُ ذلك لأنصرن اللّه نصراً يعلمه .

56 ب وقد اختلف في إسلامه ، فمنهم /مَنْ زعم أنه مات نصرانياً ، ولم يدرك ظهور النبي ﷺ . ومنهم مَنْ رأى أنه مات مسلماً ، وأنه مدح النبي ﷺ ، فقال[2] :[البسيط]

يَعْفُو ويَصْفَحُ لا يَجْزِي بِسَيِّئَةٍ ويكظمُ الغَيْظَ عِنْدَ الشَّتمِ والغَضَبِ[3]

---

(1) مروج الذهب 88/1 .

(2) البيت في مروج الذهب 88/1 .

(3) يجزي : من الجزاء ، وهو المكافأة على الشيء . وكظم الرجل غيظه : إذا احترعه . وفي =

انتهى كلام المسعودي .

وقد أفصح غاية الإفصاح بمستند البرماوي فيما استبعده مما حكاه الذهبي ، مما رآه ، أظهر . وذلك أنه عبَّر عمن قال : إنه مات على نصرانيته بزعمٍ ، وأخبر أنه استند إلى أنه لم يدرك الظهور ، فإن أراد بالظهور الإخبار بأن جبريل عليه السلام أتاه ، فقد ثبت في الصحيح أنه أدرك ذلك .

ومن حفظ حجة على مَنْ لم يحفظ ، ولا سيما والحافظ من أهل الصحيح الذي أجمعت الأمة على تلقيه بالقبول ، وظهر عذر زاعم ذلك ، وهو أنه خفي عليه ، ما ظهر لغيره .

وإن أراد بالظهور إخبار جبريل عليه السلام بأن محمداً رسول اللّه ، فقد تقدم خلافه، وأنه أخبره بالرسالة في أول الأمر ، وإن أراد به فرض الجهاد ، فليس إدراك وقته بشرط في صحة الإسلام ، وهو قد علم بأنه سيفرضُ ، وآمن به ، وعزم كل العزم على مباشرته .

وأما الموت على النصرانية ، فسيأتي في ترجمة شيخنا ابن حجر لورقة[1] ، رضي الله عنه ، إن راويها ضعيف ، فهي زيادة منكرة ، لأن رواة الصحيح لم يذكروها ، عند ذكر موته ، ولا ذكرها سعيد بن المسيّب ، فيما تقدم عنه من مغازي موسى بن عقبة ، فدخلت في ضابط المردود الذي أصّله إمامنا الشافعي في الرسالة في مَنْ يعتبر حديثه بالعرض على حديث الثقات .

هذا لو كان مجهول الحال ، فكيف إذا كان معروفاً بالضعف ، فهو قول لا يلتفت إليه ، ولا يعوّل عليه ، فلم يبقَ عذر لمن نفاه من الصحبة ، واللّه الموفق .

- التنزيل : « والكاظمين الغيظ » . فسره ثعلب ، فقال : يعني الحابسين الغيظ لا يجازون به . انظر اللسان «كظم» .

الغيظ : الغضب ، وقيل : أشد الغضب . والشتم : قبيح الكلام .

(1) الإصابة 318/6 .

57 وقد علم بما ذكر أنه داخل في كل تعريف تقدّم سواء /في ذلك قولهم : اجتمع بالنبي ، ولقي النبي ، واجتمع بمحمدٍ ﷺ . فإن لقي محمداً ، واجتمع به بعد أن نُبِّئ إتيان جبريل عليه السلام له من اللّه ، وهو مؤمن به ، مسرورٌ بوجوده غاية السرور ، واللّه ولي التوفيق .

ذكر مَنْ عدّ اسمه في أسماء الصحابة ، وأودعه بغير شك كتابه ، مع مالَهُ من قرب القرابة ، واللين في إقباله على دين الحقّ ، والاستجابة والشدة في دينه ، والصلابة ، رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل أعلى الفردوس مأواه ، وجعلني ممن رافقه ووافقه وصافاه ، وقام بواجب حقّه في مناصحته ، ووافاه .

فمن ذكره في كتابه في الصحابة الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر المديني ، وذكر في ترجمته حديث جابر بن عبد اللّه ، رضي اللّه عنهما : أن النبي ﷺ : سُئِلَ عن ورقة بن نوفل ، فقال : « أبصرته يمشي في بطنان الجنة ، عليه قميص من سندس » .

وحديث عائشة رضي اللّه عنها : « لا تسبُّوا ورقة ، فإني رأيت له جنة أو جنتين » . ومن خطّ الحافظ أبي موسى نقلت .

وممن ذكره في كتابه « المصنف في أسماء الصحابة » الحافظ أبو عبد اللّه ابن منده ، وقال : اختلف في إسلامه . والعجب أنه ذكر أكيدر [ملك] دومة الجندل، وغلّطوه في ذلك ، كما قال الشيخ محي الدين النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » .

وقال الذهبي في « تجريده » : ذكره ابن منده ، وأنه أسلم ، وهذا خطأ ، لم يسلم . انتهى .

وذكر ابن منده في كتابه « المقوقس صاحب الإسكندرية ومصر » تبعاً لأبي عمر . قال الذهبي : ولا مدخل له في الصحابة ، وما زال نصرانياً ، ومنه أخذت مصر ، واسمه جريج . انتهى .

وذكر ابن منده أيضاً في كتاب « الصحابة » ، كما تقدم ، عن شيخنا ابن حجر ، زيد بن عمرو ، ولم يدرك النبوة ، بل مات قبلها ، ولم يقدح فيه بشيءٍ ، وليس له /التشرف بالرؤية الشريفة ، ما لورقة ولا من التشوق بالأشعار ونحوها . 57/ب

وذكر ثُويبة مرضعة النبي ﷺ في كتابه « الصحابة » قال الحافظ أبو نعيم : إنه لا يعلم ذكر إسلامها سواه .

وممن ذكر ورقة رضي الله عنه في الصحابة الإمام عز الدين علي بن محمد الأثير الجزري في كتابه « أسد الغابة في أسماء الصحابة » فقال[1] : ورقة بن نوفل القرشي ، قاله ابن منده ، وقال : اختلف في إسلامه وروي بسنده عن ابن عباس ، رضي اللّه عنهما ، عن ورقة ، رضي الله عنه ، أنه قال : قلت : يا محمد ، أخبرني عن هذا الذي يأتيك، يعني جبريل عليه السلام ؟ فقال رسول اللّه ﷺ : « يأتيني من السماء ، وجناحاه لؤلؤ ، وباطن قدميه أخضر » .

قال : وقال أبو نعيم : ورقة بن نوفل الديلي ، وقيل : الأنصاري وروى أبو نعيم ما رواه ابن عباس ، رضي اللّه عنهما ، عن ورقة هذا ، رضي الله عنه ، بنحوه وآخره بلفظه : وجناحاه لؤلؤ ، وباطن قدميه أخضر .

ثم قال : كذا رواه أبو نعيم ، [وقال : الأنصاري] . والذي ذكره ابن منده القرشي . وقد رواه غير واحدٍ ، ولم ينسبوه .

ثم قال : أما القرشي ، فهو [ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى بن قُصي القرشي ، وهو] ابن عمّ خديجة ، رضي اللّه عنهما ، وهو الذي أخبر خديجة أن رسول اللّه ﷺ نبيّ هذه الأمة لمّا أخبرته بما رأى النبي ﷺ ، لما أُوْحِيَ إليه ، وخبره معه مشهور .

ثم روى عن عائشة ، رضي اللّه عنها ، قالت : سُئِلَ رسول اللّه ﷺ عن

---

(1) أسد الغابة 5/416 - 417 .

ورقة ، ﷺ ، فقالت له خديجة رضي اللّه عنها : إنه كان صدّقك ، وإنه مات قبل أن تظهر ، فقال رسول اللّه ﷺ : « اللّه أرانيه في المنام ، عليه ثياب بياضٍ ، ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك » .

ثم أسند عن عروة ، قال : سابّ أخٍ لورقة ، ﷺ ، رجلاً ، فتناول الرجل
58 ورقة ، ﷺ ، /فسبّه ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال لأخيه : « هل علمت أني رأيت لورقة ، ﷺ ، جنة أو جنتين » . فنهى رسول اللّه ﷺ عن سبّه .

ثم قال : هذا القرشي ، وأما الأنصاري والديلي فلا أعرفه ، والقصة التي ذكرها أبو نعيم وابن منده ، يعني الاستخبار عن جبريل عليه السلام ، هي التي جرت لورقة بن نوفل ، ابن عم خديجة ، رضي اللّه عنها ، مع النبي ﷺ .

وممن ذكره في الصحابة ، الحافظ أبو عبد اللّه بن الذهبي في « التجريد » ، وذكر كلام ابن منده ، وقال : الأظهر أنه مات بعد النبوة ، وقبل الرسالة ، ولم يتابع على ذلك ، بل جزم العلماء بأنه أدرك ، ولو سلم له ذلك ما ضرّه ، فإن الشرط الإيمان بمجيء جبريل ، سواء كان للنبوة ، أو للرسالة ، وتقدم بيان ذلك كله .

وممن ذكره في الصحابة الإمام العالم القدوة موفق الدين بن قدامة المقدسي الحنبلي ، ذكره في كتابه « التبيين في أنساب الصحابة القرشيين » . قال بعد خطبة الكتاب :

هذا كتاب ذكرت فيه نسب رسول اللّه ﷺ ، وأصحابه من أقاربه ، ﷺ ، وذكرت لكل امرئ منهم شيئاً من أخباره وفضائله ، ليعرف الواقف عليهم محلّه من الدين ، وموضعه من الفضل ، ثم قال : وخصصت الصحابة منهم ، يعني من قريش، بالذكر ، لاختصاصهم بالشرف بصحبة رسول اللّه ﷺ ، واختيار اللّه لهم .

فقد روي عن ابن عباس ، رضي اللّه عنهما ، في قول اللّه تعالى : ﴿ وسَلامٌ عَلَى

عبادِهِ الذينَ اصْطَفَى ﴾[1] ، قال : هم أصحاب محمد ﷺ .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إنّ اللّه نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد ﷺ ، خير قلوب العباد ، فاصطفاه ، وبعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد /بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه رضي الله عنهم ، خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيّه ﷺ . 58/ب

وقد صَحَّ عن رسول اللّه ﷺ ، أنه قال : « خَيرُ النّاسِ قَرْنِي ، ثمّ الذين يلونَهُم، ثم الذينَ يلونَهُمْ ، ثم الذين يلونهم » .

نفعنا اللّه بمحبتهم ، وأحيانا على سنتهم ، وحشرنا يوم القيامة في زمرتهم .

ثم قال : ورقة بن نوفل بن أسد ، ابن عمّ خديجة ، رضي اللّه عنها ، كان قد تَنصَّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتب ، ينقلها بالعربية .

وكان قد قرأ الكتب والإنجيل ، فلما بدئ رسول اللّه ، ﷺ ، بالوحي ، وأتاه جبريل عليه السلام ، أفزعه ذلك ، وجاء إلى خديجة ، رضي اللّه عنها ، فأخبرها ، فقالت له : أبشر يا ابن عمّ، واثبت ، فو الذي نفس خديجة بيده ، إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة .

ثم جمعت عليها ثيابها فانطلقت إلى ورقة ، وهو ابن عمها ، فأخبرته بما أخبرها به رسول اللّه ﷺ : أنه رأى وسمع .

فقال ورقة : قُدُّوس ، قُدُّوس ، والذي نفسي بيده لئن كنتِ صدقتني يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر ، الذي كان يأتي موسى ، وإنه لنبيّ هذه الأمة . فقولي له: فليثبت .

فرجعت خديجة إلى رسول اللّه ﷺ ، فأخبرته بخبر ورقة ، فسلّى ذلك بعض ما هو فيه من الهمّ .

---

(1) سورة النمل : 59/27 .

ثم بينما النبي ﷺ ، يطوف بالكعبة ، لقيه ورقة ، رضي الله عنه . فقال ورقة : أخبرني يا ابن أخي ، ما رأيت ، وسمعت ؟ فأخبره ، فقال له ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى عليه السلام ، ولتكذبنّ ، ولتؤذينّ ، ولتقاتلنّ . ولئن أنا أدركت ذلك ، لأنصرن اللّه نصراً يعلمه .

59 ثم أدنى رأسه منه ، فقبّل يافوخه ، فانصرف رسول اللّه ﷺ /إلى منزله ، وقد زاده ذلك ، من قول ورقة ، ثباتاً ، وخفّف عنه بعض ما كان فيه من الهمّ .

وقال ورقة فيما ذكرت له خديجة ، رضي اللّه عنها : [الطويل]

إنْ يَكُ حقًّا يا خديجة فاعلمي ... حديثُكِ إيّانا فأحمدُ مُرْسَلُ
وجِبْريْلُ يأتيهِ ومِيْكالُ معهما ... مِنَ اللّهِ وَحْيٌ يشرحُ الصّدرَ مُنْزَلُ
يَفُوزُ به مَنْ فازَ منهم بطاعةٍ ... ويشْقَى به العاني الغَوِيّ المضَلَّلُ
فَريقانِ مِنهمْ فِرقةٌ في جِنانهِ ... وأُخْرَى بأغلال الجحيمِ تُسَلْسَلُ
إذا ما دَعَوْا بالوَيْلِ فيها تتابَعَتْ ... مَقامِعُ فِي هاماتِهِمْ ثُمَّ تُشْعَلُ
فسبحانَ مَنْ تَهْوِي الرياحُ بأمرِهِ ... ومَنْ في الأيام ما شاءَ يَفْعَلُ
ومَنْ عَرْشُهُ فوقَ السّماواتِ كُلِّها ... وأحكامُه في خَلْقِهِ لا تُبَدَّلُ

وله أشعار كثيرة في هذا المعنى وغيره .

وروي أن ورقة كان يمرُّ ببلالٍ ، وقريشٌ تعذبه ، وبلال يقول : أحدٌ أحدٌ ، فيقول ورقة : أحدٌ أحدٌ يا بلال ، ثم يقبل على قريش ، فيقول : أقسم باللّه لئن قتلتموه لأتخذنّه حناناً . انتهى كلام الإمام موفق الدين .

وممن صرّح بإيمانه وذكره شيخنا حافظ عصره ، أبو الفضل ابن حجر في كتابه « الإصابة في الأسماء الصحابة »[1] ، رضي الله عنهم أجمعين . في القسم الأول .

---

(1) الإصابة 3/1 - 4 .

ومِنْ خطّ مَنْ نَقَلَ من خطّه نقلت ، بعد أن قال في الخطبة ، ورتبته على أربعة أقسام ، في كل حرف منه .

فالقسم الأول في : مَنْ وردت صحبته بطريق الرواية عنه ، أو عن غيره سواء كانت الطريق صحيحة ، أو حسنة ، أو ضعيفة ، أو وقع ذكره بما يدل على الصحبة بأيّ طريق كان .

القسم الثاني في : مَنْ ذُكِرَ في الصحابة من الأطفال الذين ولدوا في عهد النبي ﷺ .

القسم الثالث في : مَنْ ذكر في الكتب المذكورة ، من المخضرمين [الذين أدركوا الجاهلية والإسلام] ، ولم يرد في خبرٍ قطّ أنهم اجتمعوا بالنبي ﷺ ، /ولا 59/ب رآوهُ ، أسلموا في حياته ، أم لا . وهؤلاء ليسوا أصحابه باتفاق أهل العلم بالحديث.

القسم الرابع في : مَنْ ذُكِرَ في الكتب المذكورة على سبيل الوهم والغلط ، وبيان ذلك .

قال في القسم الأول من الكتاب المذكور : ورقة بن نوفل بن أسد بن العزى بن قصي القرشي الأسدي ، ابن عم خديجة زوج النبي ﷺ . ذكره الطبري والبغوي وابن قانع وابن السكن ، وغيرهم في الصحابة .

وأوردوا كلهم من طريق روح بن مسافر ، أحد الضعفاء ، عن الأعمش ، عن عبد اللّه بن عبد اللّه ، يعني أبا جعفر الرازي ، قاضي الريّ ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، رضي اللّه عنهما ، عن ورقة بن نوفل ، رضي اللّه عنه ، قال : قلت : يا محمد ، كيف يأتيك الذي ... ، قال : « يأتيني من السماء ، جناحاه لؤلؤ ، وباطن قدميه أخضر » .

قال ابن عساكر : لم يسمع ابن عباس ، رضي اللّه عنهما من ورقة ، رضي اللّه عنه ،

ولا أعرف أحداً قال : إنه أسلم . انتهى كلام شيخنا .

قلت : وقد عرفت كثيراً ممن قال : إنه أسلم ، وحديث الصحيحين كافٍ في ذلك ، وقوله : إن ابن عباس لم يسمع من ورقة غير قادح ، لو سلم من ضعف روح ، فإن غايته أن يكون مرسل صحابي .

قال شيخنا : وقد مايز الطبري وغيره بين صاحب هذا الحديث ، وبين ورقة بن نوفل الأسدي ، لكن القصة مقاربة لقصة ورقة التي في الصحيحين ، من طريق الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، رضي اللّه عنها : أول ما بدئ به رسول اللّه ﷺ الحديث في مجيء جبريل عليه السلام بحراء .

وفيه : فانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى ، ابن عمّ خديجة رضي اللّه عنها ، وكان تنصر في الجاهلية ... الحديث .

وفيه ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ،؟ ليتني أكون حيًّا حين يخرجك قومك .

60 وفي آخره : ولم ينشب ورقة أن /توفي ، فهذا ظاهر أنه أَقَرَّ بنبوته ، ولكنه مات قبل أن يدعو رسول اللّه ﷺ إلى الإسلام ، فيكون مثل « بحيرا » .

وفي إثبات الصحبة له نظير . انتهى . وهو من العجائب ، كيف يماثل بين مَنْ آمن ، بأنه قد بعث بعدما جاءه الوحي ، فانطبق عليه تعريف الصحابي الذي ذكره شيخنا في نخبته بمن آمن بأنه سيبعث قبل أن يوحى إليه ، ثم قال شيخنا : لكن في زيادات المغازي ، من رواية يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، قال يونس بن بكير، عن يونس بن عمرو ، وهو ابن أبي إسحاق السبيعي ، عن أبيه ، عن أبي ميسرة ، واسمه عمرو بن شرحبيل ، وهو من كبار التابعين ، أن رسول اللّه ﷺ، قال لخديجة ، رضي اللّه عنها : إني إذا خلوت ، سمعت نداء ، فقد واللّه قد خشيت على نفسي ، فقالت : معاذ اللّه ، ما كان اللّه ليفعل بك ، فو اللّه إنك لتؤدي الأمانة ... الحديث .

فقال له ورقة : أبشر ، ثم أبشر ، فأنا أشهد أنك الذي بشّر به ابن مريم ، وأنك على مثل ناموس موسى عليه السلام ، وأنك نبيٌّ مرسل ، وأنك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، وإن يدركني ذلك لأجاهدن معك .

فلما توفي قال رسول اللّه ﷺ : « لقد رأيت القسّ في الجنة ، عليه ثياب حرير ، لأنه آمن بي ، وصدقني » . وقد أخرجه البيهقي في « الدلائل » من هذا الوجه . وقال : هذا منقطع . انتهى كلام شيخنا ، ولا يضرّنا انقطاعه ، لأن المقصود منه في إثبات الصحبة بإيمانه بالنبي ﷺ ، في حال نبوته ، وبأنه رسول اللّه موجودٌ في حديث الصحيحين ، كما بينته سابقاً في غير موضع ، مع أن شيخنا قال عقب ذلك ، قلت : يعضده ما أخرجه الزبير ، قال : كان بلال لجارية من بني جمح ، وكانوا يعذبونه برمضاء مكة ، يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يشرك ، فيقول : أحدٌ أحدٌ ، فيمرّ به ورقة رضي الله عنه ، وهو /على تلك الحال ، فيقول : أحدٌ أحدٌ ، يا بلال، واللّه لئن قتلتموه لأتخذنه حناناً . 60/ب

وهذا مرسلٌ جيدٌ ، يدل على أن ورقة ، رضي الله عنه ، عاش إلى أن دعا النبي ﷺ إلى الإسلام ، حتى أسلم بلال . انتهى كلام شيخنا .

وقد تقدم غير مرّة أنه يشترط أحد في صحة الإيمان بالنبي أن يكون بعد الدعاء ، ثم قال شيخنا : والجمع بين هذا ، وبين حديث عائشة رضي اللّه عنها ، أن يحمل قوله : ولم ينشب ورقة أن توفي ، أي : قبل أن يشتهر الإسلام ، ويؤمر النبي ﷺ بالجهاد .

ولكن يعكر على ذلك ما أخرجه محمد بن عامد في المغازي ، من طريق عثمان ابن عطاء الخراساني ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، رضي اللّه عنهما في قصة ابتداء الوحي ، وفيها قصة خديجة مع ورقة ، رضي اللّه عنها ، بنحو حديث عائشة ، رضي اللّه عنها . وفي آخره ، لئن كان هو ، ثم أظهر دعاءه ، وأنا حيٌّ ، لأبلينّ اللّه من نفسي في طاعة رسوله ، وحُسن مؤازرته ، فمات ورقة على نصرانيته كذا قال .

لكن عثمان ضعيف . وقال الزبير : كان ورقة قد كره عبادة الأوثان ، وطلب الدين في الآفاق ، وقرأ الكتب . وكانت خديجة تسأله عن أمر النبي ﷺ ، فيقول لها : ما أراه إلا نبيّ هذه الأمة الذي بشر به موسى ، وعيسى عليهما السلام .

وفي المغازي الكبرى لابن إسحاق ، وساقه الحاكم من طريقه ، قال : حدثني عبد الملك بن عبيد اللّه بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ، وكان واعِيةً ، قال : قال ورقة بن نوفل فيما كانت خديجة ذكرت له من أمر رسول اللّه ﷺ : [البسيط]

يا للرجالِ وصرفِ الدَّهْرِ والقَدَرِ .....

الأبيات وفيها :

هذي خديجةُ تأتيني لأخبرها ... وما لنا بِخَفيِّ الغَيْبِ مِنْ خَبَرِ

61 / بأنّ أحمد يأتيه فيخبره ... جبريلُ أنّك مبعوثٌ إلى البشَرِ

فقلتُ عَلَّ الذي ترجين يُنْجِزُه ... لكِ الإله فرجّي الخيرَ وانْتَظِرِي

وأخرج ابن عديّ في « الكامل » من طريق إسماعيل بن مجالد ، عن أبيه ، عن الشعبي ، عن جابر ، عن النبي ﷺ ، قال : « رأيتُ ورقة في بطنان الجنة ، عليه السندس » . قال ابن عدي : تفرّد به إسماعيل ، عن أبيه .

قلت : أخرجه ابن السكن من طريق يحيى بن سعيد الأموي ، عن مجالد . لكن لفظه : « رأيت ورقة على نهر من أنهار الجنة ، لأنه كان يقول : ديني دين زيد ، وإلهي إله زيد » . وأخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه من هذا الوجه .

وأخرج البزار من طريق أبي معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة أن النبي ﷺ ، نهى عن سبِّ ورقة . وهو في زيادات المغازي ليونس بن بكير . أخرجه عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : سابّ أخ لورقة رجلاً ،

فتناول الرجل ورقة ، فسبّه . فبلغ النبي ﷺ ، فقال : « هل علمت أني رأيت لورقة جنة أو جنتين » ، فنهى عن سبّه . وأخرجه البزار من طريق أبي أسامة عن هشام مرسلاً .

وأخرج أحمد من طريق ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، عن عائشة رضي اللّه عنها ، أن خديجة سألت النبي ﷺ عن ورقة بن نوفل ، فقال : « قد رأيته ، فرأيت عليه ثياب بياض ، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه بياض» . انتهى كلام شيخنا في كتابه في الصحابة .

وقد تقدم الجواب عن كل ما أشار إليه من إشكالٍ في كلامي واضحاً ، واللّه الموفق .

ولقد بان أن حاصل ترجمة ورقة ، رضي الله عنه ، أنه ممن وحّد اللّه في الجاهلية ، فكان من القليل الذين أشار إليهم قوله تعالى : /﴿ ولولا فَضْلُ اللّهِ عليكُمْ ورحمتُهُ لاتّبعتم الشيطان إلا قليلاً ﴾[1] . 61 ب

فخالف قريشاً وسائر العرب في عبادة الأوثان ، وسائر أنواع الإشراك ، وعرفَ بعقله الصحيح أنهم أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، خليل اللّه عليه السلام ، ووحد اللّه تعالى ، واجتهد في تطلب الحنيفية ، دين إبراهيم ليعرف أحبّ الوجوه إلى اللّه تعالى في العبادة .

فلم يكتف بما هداه إليه عقله ، بل ضرب في الأرض ليأخذ علمه عن أهل العلم بكتب اللّه المنزلة من عنده ، الضابطة للأديان ، فإذا سؤاله أهل الذكر الذين أمره اللّه سؤالهم إلى أن اتّبع الدين الذي أوجبه اللّه في ذلك الزمان ، وهو الناسخ لشريعة موسى عليه السلام ، دين النصرانية ، ولم يتبعهم في التبديل ، بل في التوحيد ، وما والاه ، ولم يخرج عنه أصلاً .

---

(1) سورة النساء : 83/4 .

وزيد : زيد بن عمرو بن نفيل ، صاحبه ، وعشيره في التوحيد ، ومنابذة الإشراك ، وأهّل بسبب اهتدائه إلى التوحيد ، ومدحه بملازمته له ، وصار يبحث عن النبي الذي بشّر به موسى وعيسى عليهما السلام .

فلما أخبرته ابنة عمّه الصديقة الكبرى ، بما رأت ، وأخبرت به في زوجها محمد ابن عبد اللّه من المخايل بإظلال الغمامة ونحوها ، ترجّى أن يكون هو المبشّر به ، وقال في ذلك أشعاراً يتشوق فيها غاية التشوق إلى إنجاز الأمر الموعود ، لينخلع من النصرانية إلى دينه ، لأنه قال لزيد لـمّا قال لهم العلماء : إن أحبّ الدين إلى اللّه دين هذا المبشر ، أنا أستمر على نصرانيتي إلى أن يأتي هذا النبي .

فلما حقق اللّه الأمر ، وأوقع الإرهاصات بالسلام ، من الأشجار والأحجار ، على النبي ﷺ ، وبمناداة إسرافيل عليه السلام للنبي ﷺ مع الاستتار منه ، وخاف النبي ﷺ
62 من ذلك ، فاشتدّ /خوفه ، فنقل ذلك إلى ورقة ، رضي الله عنه ، فاشتدّ سروره بذلك ، وثبّته وشدَّ قلبه وشجّعه .

فلما بدا له الأمر بفراغ نوبة إسرافيل عليه السلام ، وأتاه جبريل عليه السلام ، وفعل ما أمره به من شقّ صدره الشريف وغسّل قلبه ، وإيداعه الحكمة والرحمة ، وما شاء اللّه ، وتبدّى له جبريل عليهما السلام ، وأنزل عليه بعض القرآن ، وأخبره به ، قفّ شعر ورَقة ، وسبّح اللّه وقدّسه ، وعظم سروره بذلك ، وشهد أنه أتاه الناموس الأكبر الذي كان يأتي الأنبياء قبله عليهم السلام ، وشهد أنه الذي أنزل عليه كلام اللّه ، وشهد أنه نبي هذه الأمة ورسول اللّه الذي بشّر به عيسى ، فطابق الخبرُ الخبرَ .

وكانت المعاينة أقوى وأسرّ وأذكى وأبرّ ، وتمني أن يعيش إلى أن يجاهد معه، فلم يدع للخير مطلباً حتى أتاه ، ولا من الشرّ مهرباً حتى ابتغاه .

هذا مع ماله بالنبي ﷺ ، وزوجه الصديقة الكبرى من عظيم القرب والانتساب الموجب للحبّ ، رضي الله عنه وأرضاه .

فدخل في مضمون قوله تعالى : ﴿ الذينَ آتيناهُمُ الكتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤمنونَ وإذا يُتْلَى عليهم قالُوا آمنّا بِهِ إنّه الحقُّ مِنْ ربِّنا إنّا كُنّا من قبلِهِ مُسلِمِينَ أولئك يُؤْتَوْنَ أجْرَهُم مَرَّتينِ بما صَبَرُوا ﴾[1].

وجمعنا به في مستقر رحمته في ألذّ عيشٍ ، وأهنئه وأشرفه ، وأعلاه .

وقد بقي من المهمات الدافعة لآفات مدلهمّات موجبة للمضرّات الواضعة ، لأنواع من المبرّات اللازمة للمسرّرات ، التنبيه على أن الشراح أهملوا الكلام على البشر في تخصيص ما بدئ به رسول اللّه ﷺ من الوحي بالأولية ، فإن في ذلك أسراراً كبرى ينبغي أن تُذْرى وتُثبت وتُقرأ لتكون لمبثتها في الدنيا ذكراً ، وفي الأخرى أجراً وسروراً دائماً ، وبشرى .

62/ب فأقول /واللّه الموفق : قد اختلفت الروايات في ذلك ، فمنها ما ظاهرة أن أوله ما نزل : ﴿ اقرأ ﴾ ، والنفس إليه أميل . ومنها ما ظاهره : ﴿ ن ﴾ ، ومنها ما ظاهره: ﴿ المدثر ﴾ ، وفيها ما يومئ إلى أنه أول بالنسبة إلى الفترة .

ومنها ما ظاهره : ﴿ الضّحى ﴾ ، وفيها ما يرشد إلى أنها بعد فترة أخرى والكلّ مناسب للأوليّة التي اقتضتها تلك القضية .

وإذا ذكرت مقاصد السّور التي هذه الآيات أوائلها ، علمت ما في هذا الدين من الأسرار التي تدق عن الأفكار ، وتجلّ عن أن يحاط بها ببدائع الأنظار . فالمقصود من سورة : ﴿ اقرأ ﴾ وتسمى ﴿ العلق ﴾ الأمر بعبادة مَنْ له الخلق والأمر، شكراً لإحسانه ، واجتناباً لكفرانه ، طمعاً في جنانه ، وخوفاً من نيرانه، لما ثبت من أنه يدين العباد يوم المعاد ، وكل من اسميها دالٌ على ذلك لأن المربي يجب شكره ، ويحرّم غاية التحريم كفره .

على أن ﴿ اقرأ ﴾ يشير إلى الأمر . و ﴿ العلق ﴾ يشير إلى الخلق ، و ﴿اقرأ﴾ يدل على البداية ، وهي العبادة بالمطابقة ، وعلى النهاية ، وهي النجاة يوم الدين باللازم .

---

(1) سورة القصص : 28/52 – 54 .

و ﴿ العلق ﴾ يدل على كلٍّ من النهاية ، ثم البداية بالالتزام ، لأن من عرف أنه مخلوق من دمٍ ، عرف أن خالقه قادر على إعادته من تراب . فإنّ التراب أقبل للحياة من الدم . ومَنْ صدّق بالإعادة عمل لها ، وخصّ ﴿ العلق ﴾ لأنه مركب الحياة ، ولذلك سُمّي نفساً .

بسم اللّه الذي له صفات الكمال ، فاستحقّ التفرّد بالألهية ، الرحمن الذي عمّت نعتمه ، فاستوجب الشكر من سائر البرية ، الرحيم الذي وفّق مَنْ شاء من خواصه لِما أنالهم به [من] المواهب السنيّة ، إلى أمره سبحانه في ﴿الضحى﴾ بالتحدث
63 بنعمته ، وذكره بمجامعها في ﴿ ألم نشرح ﴾ فأنتج ذلك /إفراده بما أمره به في ختمها من تخصيصه بالرغبة إليه .

فدلّ في ﴿الزيتون﴾ على أنه أهل لذلك لتمام قدرته الذي يلزم منه أنه لا قدرة لغيره إلا به ، فأنتج ذلك تمام الحكمة ، فأثمر قطعاً البعث للجزاء ، فتشوق السامع إلى ما يوجب حسن الجزاء في ذلك اليوم ، وبأي وسيلة يقف بين يدي الملك الأعلى في يوم الجمع الأكبر من خصال ﴿ الذينَ آمنُوا وعَملُوا الصّالحاتِ ﴾ ، فأرشد إلى ذلك في هذه السورة ، فقال بادئاً بالتعريف بالعلم الأصلي ، ذاكراً أصل من خلقه سبحانه في أحسن تقويم ، وبعض أطواره الحسنة والقبيحة التي اقتضاها الردّ إلى « أسفل » تعجباً من تمام قدرته ، سبحانه وتنبيهاً على تعرفها ، وإنعام النظر فيها .

وقدّم الفعل العامل في الجار والمجرور هنا لأنه أوقع في النفس لكونها أول ما نزل، فكان الأمر بالقراءة أهم . « اقرأ » ، وحذف مفعوله إشارة إلى أنه لا قراءة إلا بما أمره به ، وهي الجمع الأعظم ، فالمعنى أوحد القراءة لما لا مقروء غيره ، وهو القرآن الجامع الأعظم ، فالمعنى أوحد القراءة لكل خيرٍ ، وأفصح له بأنه لا يقدر على ذلك إلا بمعونة اللّه الذي أدّبه بشرح الصدر ، ورفع القدر ، فأحسن تأديبه وربّاه بجعله في أحسن تقويم ، فأحسن تربيته وتهذيبه ، فقال : ما أرشد المعنى إلى أن تقدره في حال كونك مفتتحاً القراءة : باسم ربّك ، أي : بأن يبسمل ، أو

مستعيناً بالمحسن إليك ، لما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا ، بما خصّك به في : ﴿ ألم نشرح ﴾ ، أو بذكر اسمه .

والمراد على هذا بالاسم الصفات العليا ، وعبّر به ، لأنه يلزم من حسن الاسم حسن مدلوله ، ومن تعظيم الاسم تعظيم المسمّى .

وجميع ما يتصف به ، وينسب إليه . قالوا : وهذا يدل على أن القراءة لا تكون تامة إلا /بالتسمية ، ولكونه في سياق الأمر بطاعة الداعي إليها تذكر النعم . 63/ب

لم يذكر الاسم الأعظم الجامع ، وذكر صفة الإحسان بالتربية ، الجامع لما عداه، وتأنياً له ﷺ ، لكونه أول ما نزل حين حبّب إليه الخلاء ، فكان يخلو ، يتعبد لربّه في غار حراء ، فجاءه جبريل عليه السلام بخمس آيات من أول هذه السورة ، إلى قوله : ﴿ ما لم يعلم ﴾ .

ولهذا السّرّ ساقه مساق البسملة ، بعبارة هي أكثر تأنياً في أول الأمر ، وأبسط منها ، فأشار إلى الإسم الأعظم بما في مجموع الكلام من صفات الكمال .

وأشار إلى عموم صفة الرحمن بصفة الخلق المشار إلى تعميمها بحذف المفعول ، وإلى خصوص صفة الرحيم بالأكرمية التي من شأنها بلوغ النهاية ، وذلك لا يكون بدون إفاضة العمل بما يرضي ، فيكون سبباً لكرامة الداعية ، وبالتعظيم الذي من شأنه أن يهدي إلى الرضوان وإشارة إلى الاستعاذة بالأمر بالقراءة لما أفهمه قوله تعالى : ﴿ وإذا قَرأتَ القرآن جَعلنا بينَكَ وبين الذينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ ﴾[1] . أي : من شياطين الإنس والجن : « حِجَاباً مَسْتُوراً » .

وقوله تعالى : ﴿ فإذا قَرأتَ القُرآنَ فاسْتَعِذْ باللّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيْمِ ﴾[2] .

ولما خصّه تشريفاً بإضافة هذا الوصف الشريف إليه ، وصفه على جهة العموم

---

(1) سورة الإسراء : 45/17 .

(2) سورة النحل : 98/16 .

بالخلق والأمر إعلاماً بأن له التدبير والتأثير ، وبدأ بالخلق لأنه محسوسٌ بالعين ، فهو أعلق بالفهم ، وأقرب إلى التصور ، وأدلّ على الوجود ، وعظيم القدرة ، وكمال الحكمة .

فكانت البداية في هذه السورة التي هي أول ما نزل أنسب الأمور ، لأن أول الواجبات معرفة اللّه سبحانه ، وهي بالنظر إلى أفعاله في غاية الوضوح ، فقال : « الذي خلق » ، وحذفُ مفعولِهِ إشارة إلى أن له هذا الوصف ، وهو التقدير
64 والإيجاد /على وفق التقدير الآن فيما كان ، وفيما يكون ، فكل شيء يدخل في الوجود فهو من صنعه ، ومتردد بين إذنه ومنعه ، وضرّه ونفعه .

ولما كان الحيوان أكملَ المخلوقات ، وكان الإنسان أكمل الحيوان ، وزبدة محضه ، ولباب حقيقته ، وسر محصه ، وأدله على تمام القدرة لكونه جامعاً لجميع ما في الأكوان ، فكان خلقه أبدع من خلق غيره ، فكان لذلك أدلّ على كمال الصانع وعلى وجوب إفراده بالعبادة خصّه ، فقال : « خلق الإنسان » ، أي هذا الجنس الذي من شأنه الأنس بنفسه ، وما رأى من أخلاقه وحسّه ومآلته من أبناء جنسه .

ولما كانت العرب تأكل الدم ، وكان قد حرّمه اللّه ، لأنه أصل الإنسان وغيره من الحيوان ، وهو مركب الحياة ، فإذا أكل تطبّع أكله بخلق ما هو دمه .

قال معرّفاً : بأنه نبي هذه الدار على حكمة الأسباب مع قدرته على الإيجاد من غير تطوير في تسبيب « من علق » ، أي : خلق هذا النوع من هذا الشيء ، وهو دم شديد الحمرة ، غليظ جامد ، جمع علقة .

وكذا الطين الذي يعلق باليد ، يسمى علقاً ، وهو مقرّون بخلق الآدمي من الأمرين كليهما . فالآية من أدلّةٍ إمامنا الشافعي على استعمال المشترك في معنييه ، ولعلّه عبّر به ليعمّ الطين ، فيكون مع ما فيه من الإشارة إلى بديع الصنعة ، إشارة إلى حرمة أكل ما هو أصلنا من الدم ، والتراب قبل أن يستحيل .

فإذا استحال وصف بالحلال ، لأنه الاستحالات لها مدخل في الإحلالات في النكاح وغيره . واحمرار النطفة ليس استحالة ، لأنها كانت حمراء قبل قصد الشهوة لها ، وربما ضعفت الشهوة عن قصدها ، فنزلت حمراء ، فإذا تحوّل الدم لحماً ، صار إلى حبس ما يحلّ .

وكذا إذا تحوّل التراب ، بمخالطة الماء ، ثمراً ، أو حبًّا ، حلَّ ، ولـمّا أتمّ سبحانه ما أراد من أمر الخلق ، وهو الإيجاد بالأسباب /بالتدريج ، أخذ في التنبيه على عالم 64 ب
الفرد والإبداع من غير أسبابٍ ، فقال مكرراً الأمر بالقراءة تنبيهاً على عظم شأنه ، وتأنيساً له ﷺ مسكناً لروعه ، ومعلماً أن من جاءه الأمر من قبله ، ليس كأربابهم التي زعموها « اقرأ » .

ولما كان قد قال ﷺ عند هذا الأمر إخباراً بالواقع ، كما يقوله لسان الحال ، لو لم ينطق بلسان القال . « ما أنا بقارئ » فكان التقدير : فربّك الذي ربّاك ، فأحسن تربيتك ، وأدّبك ، فأحسن تأديبك ، أمرك بالقراءة ، وهو قادر على جعلك قارئاً ، عطف عليه قوله : « وربّك » أو يكون التقدير : والحال إنّ الذي خصّك بالإحسان الجمّ . « الأكرم » ، أي : الذي له الكمال الأعظم مطلقاً من جهة الذات ، ومن جهة الصفات ، ومن جهة الأفعال ، فلا يلحقه نقص في شيء من الأشياء أصلاً ، لأن حقيقته الكريم البعيد عن اللوم الذي هو الجامع لمبادئ الأخلاق فالكريم الجامع لمعالي الأخلاق ، وليس غيره يتصف بذلك ، فهو يعطيك ما لا يدخل تحت الحصر .

وأشار إلى أن من ذلك أنه يفيض على أمته الأمنة من العلم والخط ، ما لم يفضه على أمة قبلها على قصر أعمارهم ، فقال مشيراً إلى العلم التعليمي الذي علم ، أي: بعد الحلم عن معاجلتهم بالعقاب جوداً منه ، من غير مانع من خوف عاقبة ، ولا رجاء منفعة « بالقلم » ، أي الكتاب به .

ولما نبّه بذلك على ما في الكتابة من المنافع التي لا يحيط بها غيره ، سبحانه ، لأنها أنبتت عليها استقامة أمور الدنيا والدين في الدنيا والآخرة . وهي كافية في الدلالة

على دقيق حكمته تعالى ، ولطيف تدبيره ، زاد ذلك عظمة على وجه يعمّ غيره .
65 فقال : « علّم » أي : من العلم الضروري والنظري الإنسان ، أي : الذي /من شأنه الأمر ، بما هو فيه ، لا ينتقل إلى غيره ، بل ينساه إنْ لم يلهمه ربّه إيّاه ، « ما لم يَعلَمْ » أي : بلطفه وحكمته لينتظم به حاله في دينه من الكتاب والسنة ، ودنياه من المعاملات والصنائع ، فيفيض عليه من علمه اللدني الذي لا سبب له ظاهر ، ما يعرف به ترتيب المقدمات بالحدود الوسطى ، فيعلم النتائج ، وما يعرف به الحدسيات، وذلك بعد خلق القوى ، ونصب الدلائل ، وإنزال الآيات .

ولو كان ذلك بالأسباب فقط ، لتساوى الناس في مدة التعلم ، وفي أصل العلوم ، كما تساووا في مدة الحمل ، وأصل الإنسانية .

وقد ذكر سبحانه مبدأ الإنسان ومنتهاه ، بنقله من أخسّ الحالات إلى أعلاها تقديراً لربوبيته ، وتحقيقاً لأكرميته .

قال الأستاذ ولي الدين الملوي : ولو كان شيء من العطاء والنعم أشرف من العلم ، لذكره عقب صفة الأكرمية . انتهى .

وفي ذلك إشارة إلى مَنْ يكرم العلماء بالتعليم . وفي الآية الإشارة إلى مطالعة عالمي الخلق والأمر . قال الرازي : وفي كل من العالمين خصوص وعموم . انتهى .

فالمعنى أنه يعلّمك أيها النبي الكريم ، وإن كنتَ أمّياً ، لا تعلم الآن شيئاً ، كما علم بالقلم ، من لم يكن يعلم .

فتكون بما أشارت إليه صفة الأكرمية ، على ما أنت فيه من الأميّة ، أحق بمعنى الخلق في أحسن تقويم ، بما تحوزه من العلم ، بالتعليم ، فتكون أعلم من أهل الأقلام ، وأعلى في كل مقام سامٍ ، فقد بان أن هذه الآيات أحق القرآن بالتدريب في البدايات والتشريف بالنهايات ، فسبحان مَنْ أنزل هذا الكتاب حائزاً على الغايات ، هادياً لقوى الخلق في جميع الحالات .

وأما سورة ﴿ ن ﴾ وتسمّى القلم ، فمقصودها إظهار ما ستر ، وبيان ما أبهم

65 ب في آية « فستعلمون » بتعيين المهتدي ، الذي برهن على هدايته ، حيازته /العلم الذي هو النور الأعظم الذي لا يضلّ بصاحبه بتقبّل القرآن ، والتخلق بالفرقان الذي هو صفة الرحمن .

وأدلّ ما فيها على هذا الغرض ، وكذا « القلم » ، فلذا سُمّيت بكل منهما . وبالكلام على كل منهما يعرف ذلك ، وحاصله أن حرف مبين محيط في بيانه ، كما يحيط ضوء الشمس بما يظهره ، وكما تحيط الدواة بمدادها ، بآية مادلّ عليه مخرجه وصفاته ، واستقرّ الكلم الواقع فيها المعاني التي اشتركت في النظر .

وأما « القلم » الذي أشير إليه في « اقرأ » فإبانته للمعارف أمرٌ لا ينكر . ومقصود « المزمل » الذي نطق بما اشتقّه منه اسمها عندما حصل الروع ، الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار والأوجال ، وتخفف الأحمال الثقال ، ولا سيما الوقوف بين الملك المتعالي ، والتجرد في خدمته في ظلمات الليالي . فإنه نعم الإله لقبول الأفعال والأقوال ، ومحو ظلال الضلال ، والمعين الأعظم على الصبر والاحتمال لما يَردُ من الكدورات في دار الزوال ، والقلعة والارتحال ، واسمها « المزمل » أدل ما فيها على هذا المقال .

ومقصود « المدثر » الجدّ والاجتهاد في الإنذار بدار البوار لأهل الاستنكار ، وإثبات البعث في أنفس المكذبين الفجّار ، والإشارة بالبشارة لأهل الأفكار بحلم العزيز الغفّار ، واسمها « المدثر » أدلّ ما فيها على ذلك . وذلك واضح لمن تأمل النداء ، والمنادى به والسبب .

ومقصود « الضحى » الدلالة على آخر الليل من أن أنقى الأنقياء الذي هو الأنقى على الإطلاق في عين الرضا دائماً ، لا ينفكّ عنه دنيا ولا آخرة ، لما تحلّى به من صفات الكمال التي هي للإيصال إلى المقصود ، بما لها من النور المعنوي « كالضحى » بما له من النور الحسّي ، الذي هو أشرف ما في النهار .

66 وقد علم بهذا أن اسمها أدلّ ما فيها على مقصودها ، /وقد ظهر بإبداء هذه المقاصد قوة المناسبة في إنزال كل من صدور هذه السور للابتداء بالرسالة لإنجاء

الخلق من الضلالة .

أما « اقرأ » فللدلالة على البداية والنهاية ، والأمر بالجد في العبادة للنجاة من خطر الأولى بالنصر على الأعداء الأشرار ، والآخرة بالنجاة من عذاب النار .

ومقصود سورة « ن » فالظاهر من خبرها أنها كانت مقارنة « لإقرأ » ، أو بعدها بيسير . فالدليل على مقصود « اقرأ » بإظهار العلم ، وكشف الحال بأحلى ما يكون من الكشف بالقلم والكتابة ، وغير ذلك من سائر أنواع النجابة .

ومقصود « المزمل » أنسب ما يكون لقول خديجة رضي الله عنها : كلا لا يخزيك الله أبداً ، واستدلالها على ذلك بما له ﷺ من محاسن الأعمال ، وشرائف الخصال .

ومقصود « المدثر » لكونها بعد الراحة بالفترة ، والاشتياق إلى أعلى تلك الحضرة ، والأحوال المكسبة لأعظم المسرّة والاجتهاد ، وفيما أصّلت « اقرأ » من الأمر بالعبادة للأمن من العذاب ، والرجاء للسعادة .

ومقصود « الضحى » مظهر لأن الفترة لم تعقب حسرة ، بل غاية البشرى والمسرّة . وكانت آيات « اقرأ » خمساً ، إشارة إلى أنه في السنة الخامسة من نزولها من حين نزول جبريل عليه السلام إليه بعد مصاحبة إسرافيل له ثلاث سنين ، وهي سنة ثمان وأربعين من المولد يفوق علماً أتباعه الذين كانوا لايعلمون شيئاً على علماء أهل الكتاب الذين شهد له كبيرهم ورقة بصحة أمره .

وذلك لما أرسلت قريش إلى النجاشي عمرو بن العاص ، ليردّ إليهم مهاجرة الحبشة ، فقرأ عليهم جعفر بن أبي طالب أول سورة مريم التي أولها خمسة أحرف على عدد الآيات ، التي هي أول ما نزل ، فصدقه النجاشي ، رضي الله عنه ، وقال : إن هذا والذي أنزل على موسى /ليخرج من مشكاة واحدة[1] ، وشهد أن المسيح لم يزد على ما قال شيئاً ، فتأخرت بطارقته ، فقال : وإن تأخرتم ، والله ، فكان في مقام الجمع الذي

66/ب

(1) في اللسان «شكا» : « وفي حديث النجاشي : إنما يخرج من مشكاة واحدة ؛ المشكاة : الكوة غير النافذة ، وقيل : هي الحديدة التي يعلق عليها القنديل » .

أشارت إليه الأحرف المبدوء بها السورة ، لأنها جمع بالنسبة إلى الكلمات ، لما هي معدّة له من الكمالات ، وفيها من بحور العلم الزاخرات .

وكذا آيات « المدثر » التي بدئ بها النزول لقريب من هذه الإشارة لأولي الفهم والبصارة .

وأما آيات « اقرأ » المشيرة إلى الجمع بمعنى « اقرأ » ، فهي للفرق ، لأن النظر في أول الأمر إلى المرسل إليهم أكثر .

وأما كون المثبت المصدق في أول الأمر نصرانياً ، فهو مشير إلى عظيم النصرة خفية وجهرة ، للنبي ﷺ ، ولأمته المستمسكين بسنته .

وأما كون اسمه ورقة ، فهو مشير إلى أن هذا الدين قد اخضرّ عموده ، وأورق عوده ، وأثمرت فروعه وورووده .

وأما اسم أبيه نوفل ، فمشيرٌ إلى كثرة الغنائم والأنفال لأهل هذا الدين على الدوام والتوالي في كل حال . وأما اسم جدّه أسد فناطق بأن أبطال المسلمين تستأسد على مَنْ ناوأها من جميع المحالفين من كل من عبد العزّى ، وقسم الإله وجرا ، وتبعده غاية الإبعاد ، وتقصيه غاية الإقصاء .

وأما كونه أعمى ، فهو إشارة إلى أن اللّه يفتح بهذا النبي ﷺ أعيناً عمياً ، وآذاناً صمًّا ، كما هو موصوف بذلك في الكتب القديمة : [الكامل]

الصُّمُّ تَسمعُ مِنْ بديعِ ندائِكُمْ ... والعميُ من لألاءِ نورِكَ تُبْصِرُ

ومَنِ اهْتَدَى يا واحداً لكَ تابعاً ... حازَ العُلا ولهُ النَّصِيْبُ الأوْفَرُ

تلقاهُ في يوم الحسابِ وقَلْبُهُ ... مُضْنًى فَيَشْفِيه لديكَ الكَوْثَرُ[1]

تَسْقِيه منه شربةً قُدْسِيّةً ... لا يلتقي مِنْ بَعْدِها ما يَكْدُرُ[2]

---

(1) المضنى : المعذب المتعب . والكوثر : نهر في الجنة يتشعب منه جميع أنهارها ، وهو للنبي ﷺ ، خاصة .

(2) ما يكدر ، أي : ما يعكر صفو شربه .

ويباح جنان النّعيمِ مخلّداً وبروضِها الرَّحْبِ الفنا يَتَبَخْتَرُ[1]

67 /وأمّا كلمات الخمس الآيات العشرون فهي مشيرة إلى سنّي الأجل من نزولها، والانتقال إلى الفردوس الأعلى ، بانقضاء عددها من حين حلولها ، وأشارت بقية السورة إلى أن أبا جهل الذي أطغاه ماله مغلوبٌ كما كان أعظم أسبابه من الصفحة الظالمة القاطعة الغائبة .

وفي غير ذلك مما دبرّ من أمر المصارمة ، كما أفصحت بذلك معانيها من حيث الألفاظ والتراكيب ، ورمز إليه عدد آيات جميع السورة منزلاً على ثلاث ثلاث . فتح مكة المشرفة في سنة ثمان من الهجرة ، وهي سنة ثمان عشرة من نزول أولها ، وعام حَجَّ أبو بكر في اللّه عنه ، ونودي أن لا يحج بعد العام مشركٌ ، وهو سنة تسع من الهجرة .

وعام حجة الوداع ، وهي سنة عشر ، فأشار إلى الحالة الأولى عدّ الشاميّ ، أي : السور ثمان عشر آية منادياً لسان حاله ، يغلب الناهي عن الصلاة ، وغلب إله .

وإلى الحالة الثانية عدّ الكوفي والبصري ، لها تسع عشرة آية . وإلى الختام عدّ المدنيين والمكي لها عشرين آية ، واختلافهما اثنان ، لئن لم ينته عدّها المدنيان والمكي ، ولم يعدّها الباقون .

« أرأيت الذي نهى » لم يعدّها الشامي ، وعدّها الباقون . ومن المعلوم أنّ العدّ توفيقيّ مأخوذ عن النبي ﷺ .

فاختلاف العادّين فيه ، كاختلاف القرّاء في الألفاظ ، كما صورت ذلك في كتابي « مصاعد النظر للأشراف على مقاصد السور » . واختلاف « المزمل » لهذا الاختلاف سواء منهم من عدّها ثماني عشرة ، ومنهم من عدّها تسع عشرة ، ومنهم مَنْ عدّها عشرين . وإن كان المخالِفُ غير المخالَفِ ، فالإشارة كالإشارة .

---

(1) الروض : جمع روضة ، وهي الأرض المخضرة بأنواع النبات .

وأمّا آيات جميع السورة ﴿ المدثر ﴾ فخمس وخمسون عند قوم ، وست وخمسون عند آخرين ، إشارة بالعدد الأول إلى إنذارهم بوقعة بدرٍ التي قال فيها ﷺ عندما أخبره /بعض الصحابة ، ﷺ ، عن بعض الملائكة الذين حضروها ، فأجاب ، وقال : وما يعلم جنود ربك إلا هو . 67/ب

ولفظ رواية الواقدي : أن النبي ﷺ ، سأل جبريل عليه السلام : من القائل يوم بدر من الملائكة : أقدم حيزوم[1] ، فقال : ما كل أهل السماء أعرفه . وكذا رواه البيهقي من طريقه ، فإنها في الخامسة والخمسين من عمره ﷺ ، وهي السنة الثانية من الهجرة .

وبالعدد الثاني إلى غزوة أحد ، من أمره ﷺ بالصبر ، بقوله تعالى : ﴿ ولربك فاصبر ﴾ ، وأما سورة ﴿ن﴾ ، الوالية لهذه في النزول ، المفتتحة بحرف مشير إلى الجمع ، وآياتها ست ، وكلماتها اثنتان وعشرون ، فهي مشيرة إلى الصديق التالي لهذا النبي الكريم ﷺ ، فإنه فتًى في قصة الوفاة ، وقصة الردة ، عما سوى اللّه ، فكان في عين الجمع المشير إلى غاية الرفع ، وكان غيره في عين الفرق ناظراً إلى الخلق ، فأعلاهم حسن لطفه إلى الجمع ، ثم ردّهم بعلى أمره إلى الفرق ، فتقلدوا السيوف ، وخاضوا غمرات الحتوف ، فما مضى إلا مدة يسيرة حتى جَلَوْا ظلام الشّرك بشمس الإيمان المغيرة .

ثم مضى ﷺ لسبيله على منهاج صديقه وخليله في السنة الثالثة والعشرين من نزولها ، وآيات جميع السورة اثنتان وخمسون بالإجماع لا خلاف فيها ، وذلك رمز إلى بيعة العقبة الثانية التي كان الأنصار فيها سبعاً وسبعين رجلاً ، علم بها من المفتون ، فهيأت النبي ﷺ للنقلة ، وحلّ الغفلة ، وكان أهل البيعة في عين الجمع

---

(1) في اللسان «حزم» : « وحيزوم : اسم فرس جبريل ، عليه السلام . وفي حديث بدرٍ : أنه سمع صوته يوم بدرٍ يقول : أَقْدِمْ حيزوم ، أراد أقدم يا حيزوم ، فحذف حرف النداء ، والياء فيه زائدة . قال الجوهري : حيزوم اسم فرس من خيل الملائكة » .

كلهم ، قالوا : والذي بعثك بالحق ، لئن شئت لنميلنّ غداً على الجمع بأسيافنا ، فنهاهم النبي ﷺ ، وقال : إنا لم نؤمر بذلك بعدُ .

ثم قام صاحب الحالة الثالثة المشار إليها « بالمدثر » ، وهو عمر بن الخطاب ، فنقرهم بالناقور ، وقَدَّ /عن جميع الأقطار ، قمصان الزور حتى انتصب المقام الرابع 68
« بالضحى » ودارت له أعظم رحى ، ودخل جميع العرب في الإسلام ، سواء في ذلك وثنيهم ويهوديهم ونصرانيهم وانسابوا على جميع أهل الأديان ، فمزقوا جموعهم بالسيف والسنان ، والضرب والطعان ، وفاقوهم في علمهم بالقلب واللسان ، وأدحضوا حججهم بأعظم تبيان ، فيالها من آيات بينات ، ودلالات واضحات : [الكامل]

ماذا يَقُولُ الملحدونَ وشَمْسُنا ... كَشَفَتْ ظلام ظلالهم فَتَهَتَّكا[1]

وغدا طريقُ الحقِّ أبْيَنَ بَيِّنٍ ... مَنْ ضَلّ عنه فَنَفْسُهُ قَدْ أَهْلَكا

يكفي الذي قَدْ ضَلَّ عنه لزومه ... يومَ التَّغابنِ للعذابِ ولَلبُكا[2]

وراء ذلك من الأسرار ما لا تسعه الأفكار ، كالميم والدال والعين والألف ، تارة بذا ، وختاماً : ذا حرى . ابتداء ، وأحرى ختاماً في اسم محمد وأحمد وعيسى ابن مريم والمسيح عليهم الصلاة والسلام .

وما ذكر فيه كفاية للموفق ، الملهم المنطق ، ومَنْ لم يغنه القليل ، لم يكفه الكثير ، ومن لم يقنع بالقصير ، لم ينفعه الطويل .

واللّه المسوّل أن ينيلنا كل سؤل ، ويكفينا كل مهول ، كما ألهمنا ذلك ، المنجي من المهالك ، وهدانا إلى أحسن المسالك ، فقد تطابقت المقاصد ، وتوافقت المنابت

---

(1) تهتك الظلام : تقطع وانخرق .

(2) يوم التغابن : يوم البعث . وقيل : سمي بذلك لأن أهل الجنة يَغْبِنُ فيه أهل النار بما يصير إليه أهل الجنة من النعيم ، ويلقى فيه أهل النار من العذاب الجحيم .

والمحاصد ، والمطالع ، والمقاطع ، والمرابع ، والمراتع ، والخوافض ، والروافع ، والمشارع والمزارع .

وقد بان بهذا الكلام الذي أهمله الأئمة الأعلام أسرارها ، ليعلم أنه ربّ مبلغ أدعى من سامع ، وباذلٍ أسعى من جامع .

ومن أراد زيادة بتفهم بقية الآيات ، فعليه بتفسيري المسمى « نظم الدرر من تناسب الآي والسور » المشهور بالمناسبات ، واللّه /ولي التوفيق ، واللّه المسوّل في 68 ب
الإسعاد بأشرف رفيق في الكون ، في خير فريق .

وهذا آخر ما يسّره اللّه من ترجمة السيد الجليل ورقة ، عملته ردعاً لمن دقّ باب شرفه ، بسوء طرقه ، وزجراً لمن جاهر بانتقاص شيء من عظيم قدره ، أو استرقه راجياً من اللّه على ذلك الثواب الجزيل ، وطامعاً في أن يكسبني لسان صدق بالذكر الجميل ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وكان فراغي من تسويدها هنا قبل الغروب من يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانية وثمانمائة في منزلي الملاصق للمدرسة الباذرابيه من دمشق ، المزة ، جعلها اللّه دار سنّة وجماعة إلى أن تقوم الساعة ، آمين .

قال ذلك الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المتقن ، ناصر السنة ، وقامع البدعة، أبو الحسن برهان الدين البقاعي الشافعي ، أمتع اللّه الوجود بوجوده ، وأدام النفع به وبمصنفاته ، وحفظه من آفات الدنيا والآخرة ، وختم له بخير في عاقبة ، والمسلمين آمين .

وكان الفراغ من كَتْبِ هذه النسخة المباركة ، يوم الخميس عشرين شهر صفر المبارك ، [سنة] أربع وثمانين وثمانمائة ، أحسن اللّه ختامها على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى عفو ربّه العلي ، عمر محمد سجن ، رحم اللّه سلفه ، وغفر ما أسلفه عنه وكرمه .

ذيـــل

ديوان ورقـة بن نوفل

وهو مجموعة ما نسب إلى ورقة من شعر غير

موجود في مخطوطة الكتاب

[1]

جاء في كتاب نسب قريش ص210 : « ذكروا أن عثمان خرج إلى قيصر ، فسأله أن يملّكه على قريشٍ ، وقال : أحملهم على دينك ، فيدخلون في طاعتك . ففعل ، وكتب له عهداً وختمه بالذهب ؛ فهابت قريشٌ قيصر ، وهمُّوا أن يَدِيْنوا له ؛ ثم قام الأسود بن المطلب ، أبو زَمْعة ؛ فصاح ، والنّاس في الطواف : إن قريشاً لَقَاحٌ ! لا تَمْلِكُ ، ولا تُمْلَكُ[1] ! فاتّسعت قريش على كلامه ، ومنعوا عثمان مِمّا جاء له ؛ فمات عند ابن جفنة[2] ؛ فاتّهمت بنو أسد بن جفنة بقتله » .

وقال ورقة بن نوفل[3] : [من الكامل]

1 هَلَ اتَى ابْنَتَيْ عُثْمانَ أَنَّ أَبَاهُمَا حَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِجَنْبِ المَرْصَدِ[4]

---

(1) في اللسان «لقح» : « وقوم لَقَاح ، وحيٌّ لقاحٌ : لم يَدِيْنُوا للملوك ولم يُمْلَكوا ، ولم يُصْبِهم في الجاهلية سِباءٌ » .

(2) في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص118 : « ولد الحويرث بن أسد بن عبد العُزّى : عثمان بن الحويرث ، أراد التملك على قريش ، من قبل قيصر ، فامتنعت قريش من ذلك، فرجع إلى الشأم ، وسجن من وجد بها من قريش ، ومن جملتهم أبو أحيحة سعيد بن العاصي ، فدسّت قريش إلى عمرو بن جفنة الغساني ، فسمَّ عثمان بن الحويرث ، فمات بالشأم ، ولا عقب له » .

(3) الأبيات 1 - 3 في نسب قريش ص210 .

والبيت الأول في معجم ما استعجم 271/3 .

(4) في معجم ما استعجم : « بجنب الفرصدِ » .

وفي حاشية نسب قريش ص210 : « هل اتى : بفتح لام هل ، وتسهيل همزة أتى بنقل حركتها إلى اللام الساكنة قبلها . وهي لغة فصيحة معروفة ، وعليها قراءة ورش ، إحدى =

2 رَكِبَ البَرِيْدَ مُخَاطِراً عَنْ نَفْسِهِ مَيْتَ المَظَنَّةِ لِلبَرِيْدِ المُقْصَدِ[1]

3 فَلأَبْكِيَنْ عُثْمانَ حَقَّ بُكَائِهِ وَلأُنْشُدَنْ عُمَراً وَإِنْ لَمْ يُنْشَدِ[2]

[2]

وقال ورقة[3] : [من الكامل]

1 لا تَنْسَيَنَّ وَلاَ أُخَالَكَ نَاسِياً أَنَّ العَدَاوَةَ بَيْنَنا لَمْ تَخْلُقِ[4]

2 فَإِذا عَفَوتُ غَيرَ مُكَدِّرٍ وإذا انْتَقَمْتُ بَلَغْتُ رَنْقَ المُستَقِي[5]

- فروع القراءات السبعة المعروفة » .

وفي معجم ما استعجم 271/3 : « يعني عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العُزّى ، سمّه عمرو بن جفنة هناك » .

المنية : الموت . والمرصد عن العرب : الطريق ؛ والمرصد أيضاً : المكان الذي يُرصد منه. والفرصد : موضع بالشام .

(1) البريد : كلمة فارسية يراد بها في الأصل البَرْد ، وأصلها : « بريده دم » . أي : محذوف الذنب ، لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها فأعربت ، وخفّفت ، ثم سمّي الرسول الذي يركبه بريداً . ومظنة الشيء : موضعه ومألفه الذي يظن كونه فيه .

(2) أنشد الشعر : رفع الصوت به .

(3) البيتان في كتاب الاختيارين ص258 .

(4) لم تخلق : أي ثابتة لم تبل .

(5) في الاختيارين ص258 : « أي : إذا انتقمت بلغت أقصى ما يبلغ ، لم آخذِ الصفو وحده » .

المكدر : من الكدر ، وهو نقيض الصفاء . والرنق : الكدر .

[3]

جاء في كتاب أخبار مكة للأزرقي 174/1 ـ 175 : « واللَّقى : إنه لم يكن يطوف أحدٌ بالبيت إلا عرياناً ، إلا الحُمسُ ، فإنهم كانوا يطوفون بالبيت وعليهم الثياب ، وإذا ما طاف أحدٌ من غير الحمس في ثيابه ، وفرغ من الطواف جاء بثيابه التي طاف فيها فطرحها حول البيت ، فلا يمسّها أحدٌ ، ولا يحركها حتى تبلى من وطء الأقدام ، ومن الشمس والرياح والمطر » .

وقال فيه ورقة[1] : [من الطويل]

1 كَفَى حَزَناً كَرِّي عَلَيْهِ كَأَنَّهُ لَقًى بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيْمُ[2]

* * *

(1) البيت في السيرة النبوية لابن كثير 284/1 ، وأخبار مكة للأزرقي 175/1 ، 182/1 . والبيت بدون نسبة في كتاب العين «حرم» ، ومقاييس اللغة 46/2 ، ومجمل اللغة 50/2 ، ولسان العرب «حرم» ، وتاج العروس «حرم» .

(2) الحزن : بتحريك الزاي : الحزن ، وهو نقيض الفرح . والكر : الرجوع ، يقال : كرّ عليه يكرُّ كرًّا : عطف .

وفي اللسان «لقا» : « قال ابن الأثير : قيل أصل اللقى أنهم كانوا إذا طافوا خلعوا ثيابهم ، وقالوا : لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها ، فيلقونها عنهم ، ويسمّون ذلك الثوب لَقًى ، فإذا قضوا نُسُكَهم لم يأخذوها وتركوها بحالها ملقاة » .

وفيه «حرم» : « والحريم : ما حُرّم فلم يُمَسَّ . والحريم : ما كان المحرمون يلقونه من الثياب فلا يلبسونه . قال : كفى حزناً كري ... » .

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الحديث

فهرس القوافي

فهرس الأعلام

فهرس مصادر التحقيق

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة : 2

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وكذلكَ جَعَلْناكُمْ أمةً وَسَطاً لتكونُوا شُهداءَ على النَّاسِ ويَكونَ الرسولُ عليكُمْ شَهِيداً ﴾	143	71
﴿ومَنْ يبدّل نعمةَ اللّـــهِ مِنْ بعدِ ما جاءَتْهُ فإنّ اللّـــهَ شديدُ العقابِ﴾	211	34
سورة آل عمران : 3		
﴿ وإذْ أخذَ اللّـــهُ ميثاقَ النبيِّنَ لما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وحِكمةٍ ثمَّ جَاءَكُمْ رسولٌ مُصدِّقٌ لما معكُمْ لتُؤْمِنَنَّ بهِ ولتَنْصُرُنَّهُ قال أَقْرَرْتُم وأخذتُمْ على ذلِكُمْ إِصْرِي قالوا أَقْرَرنَا قالَ فاشْهَدُوا وأنا معكُمْ مِنَ الشّاهدينَ ﴾	81	171
﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾	104	58
﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾	110	71
﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾	118	58
﴿ إن تمسسكم حسنة تسوؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن اللـــه بما يعلمون محيط ﴾	120	58
﴿ قيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل اللـــه أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم واللـــه أعلم بما يكتمون الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾	167	59

﴿ الذين قال لهم الناسُ إنَّ الناسَ قدْ جمعُوا لكم فاخْشَوْهُمْ فزادَهُمْ إيماناً وقالُوا حَسْبُنا اللَّـهُ ونِعْمَ الوكيلُ فانقلَبُوا بنعمةٍ مِنَ اللَّـهِ وفضلٍ لم يَمْسَسهم سوءٌ واتَّبعُوا رِضوانَ اللَّـه واللَّـه ذو فَضْلٍ عَظيمٍ ﴾	174 - 173	59
﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾	186	59

سورة النساء : 4

﴿ ولولا فضل اللـه عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾	83	186
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا للـه عليكم سلطانا مبينا ﴾	144	59

سورة المائدة : 5

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن اللـه لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى اللـه أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴾	51	59
﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي اللـه بقوم يحبهم ويحبونه أذلـة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل اللـه ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل اللـه يؤتيه من يشاء واللـه واسع عليم إنما وليكم اللـه ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول اللـه ورسوله والذين آمنوا فإن حزب اللـه هم الغالبون ﴾	56 ـ 54	60
﴿ ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط اللـه عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون باللـه والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون ﴾	81 ـ 80	60
﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل اللـه وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ﴾	104	55

سورة الأنعام : 6

﴿ لأُنذِرَكُمْ بِهِ ومَنْ بَلَغَ ﴾	19	171
﴿ الذينَ آمنوا و لم يَلْبِسُوا إيمانَهُمْ بظُلْمٍ أولئكَ لهمُ الأَمنُ وهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾	82	160

سورة الأعراف : 7

﴿ ثمّ لآتينَّهم مِنْ بين أيديهم ومن خَلْفِهم وعَنْ أيمانِهِمْ وعَنْ شمائِلِهِمْ ﴾	17	140
﴿ سأصْرِفُ عنْ آياتي الذينَ يَتَكَبَّرُونَ في الأرضِ بغيرِ الحقّ وإنْ يَرَوا كُلَّ آيةٍ لا يؤمنوا بها وإنْ يَرَوا سبيلَ الرُّشْدِ لا يتخذُوه سبيلاً وإنْ يَرَوا سبيل الغَيِّ يتخذُوهُ سبيلاً ذلك بأنهم كذّبوا بآياتِنا وكانُوا عنها غافِلينَ والذين كذّبوا بآياتنا ولِقاءَ الآخرةِ حَبِطَتْ أعمالهم هَلْ يُجْزَون إلا ما كانُوا يعملونَ ﴾	146 ــ 147	43
﴿ ورحمتي وَسِعَتْ كل شيءٍ فسأكتُبها للذين يَتَّقونَ ويُؤْتونَ الزَّكاةَ والذينَ هُمْ بآياتِنا يُؤْمِنونَ الذينَ يَتَّبعونَ النبيّ الأميّ ﴾	156 ــ 157	171
﴿ قُلْ يا أيُّها الناس إنّي رسولُ اللّــه إليكم جميعاً ﴾	158	170

سورة الأنفال : 8

﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا أطِيْعُوا اللّــهَ ورسولَهُ ولا تَوَلَّوا عنْهُ وأنتُمْ تَسمعونَ ولا تَكُونُوا كالذينَ قالُوا سَمِعْنا وهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾	20 ــ 21	60
﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تخونُوا اللّــهَ والرسولَ وتَخُونُوا أماناتِكم وأنتُمْ تَعلمونَ واعلَمُوا أنّما أموالُكُم وأولادُكُم فتنةٌ وأنّ اللّــهَ عندَهُ أجرٌ عظيمٌ ﴾	27 ــ 28	60
﴿ يا أيُّها النبيُّ حسبُكَ اللّــه ومَنِ اتَّبَعَكَ من المؤمنين ﴾	64	66
﴿والذينَ كَفَروا بعضُهُمْ أولياءُ بَعْضٍ إلاّ تَفْعلُوهُ تَكُنْ فِتنةٌ في الأرضِ وفَسادٌ كَبيرٌ﴾	73	60

سورة التوبة : 9

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من اللــه ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي اللــه بأمره واللــه لا يهدي القوم الفاسقين ﴾	23 ــ 24	61

﴿ يا أيُّها الذينَ آمنوا ما لكُمْ إذا قِيلَ لكُمْ انْفِروا في سبيلِ اللّـهِ اثّاقَلْتُمْ إلى الأرضِ
أرَضِيتمْ بالحياةِ الدّنيا مِنَ الآخرةِ فَما مَتاعُ الحياةِ الدُّنيا في الآخرةِ إلا قليلٌ﴾ 38 61

﴿ ويَحلفونَ باللّـهِ إنَّهم لمنْكُمْ وما هُمْ مِنْكُمْ ولكنهم قَومٌ يَفْرَقُونَ ﴾ 56 61

﴿ يَحلفونَ باللّـهِ ما قالُوا ولقَدْ قَالُوا كلمةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بعدَ
إسْلامِهِمْ وهَمُّوا بما لَمْ ينالُوا وما نَقَمُوا إلاّ أنْ أغناهم اللّـهُ ورسولُهُ
منْ فضلِهِ فإنْ يَتُوبوا يَكُ خيراً لَهُمْ وإن يتولَّوا يعذّبهم اللّه عذاباً
أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير ﴾ 74 61

﴿ وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى واللّـه يشهد إنهم لكاذبون ﴾ 107 61

سورة النحل : 16

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ 43 168

﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ باللّـه من الشيطان الرجيم ﴾ 98 190

سورة الإسراء : 17

﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ 45 190

سورة الأنبياء : 21

﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ 101 68

سورة الحج : 22

﴿ ومن الناس من يعبد اللّـه على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته
فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ 11 61

﴿ يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ﴾ 13 61

﴿ إن اللّـه يدافع عن الذين آمنوا إن اللّـه لا يحب كل خوان كفور
أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن اللّـه على نصرهم لقدير الذين
أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا اللّـه ولولا دفع
اللّـه الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر
فيها اسم اللّـه كثيرا ولينصرن اللّـه من ينصره إن اللّـه لقوي عزيز الذين
إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر وللّـه عاقبة الأمور ﴾ 41 — 38 62

سورة النور : 24

﴿ وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو
عند اللـــه عظيم ﴾ 15 34

سورة الفرقان : 25

﴿ ليكون للعالمين نذيرا ﴾ 1 171

سورة النمل : 27

﴿ قل الحمد للـــه وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ 59 64

سورة القصص : 28

﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى
عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين
أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ﴾ 52 ــ 54 188

سورة العنكبوت : 29

﴿ آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد
فتنا الذين قبلهم فليعلمن اللـــه الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ 1 ــ 3 62

﴿ ومن الناس من يقول آمنا باللـــه فإذا أوذي في اللـــه جعل فتنة الناس
كعذاب اللـــه ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس اللـــه
بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن اللـــه الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ﴾ 10 ــ 11 62

﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت
بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ 41 62

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن اللـــه لمع المحسنين ﴾ 69 77

سورة الروم : 30

﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من
أضل اللـــه وما لهم من ناصرين ﴾ 29 34

سورة ص : 38

﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل اللـــه ﴾ 26 57

سورة غافر : 40

﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ﴾ 83 32

سورة الأحقاف : 46

﴿ ومن لا يجب داعي اللـــه فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين ﴾ 32 — 62

سورة محمد : 47

﴿والذين قتلوا في سبيل اللـــه فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم﴾ 4 — 5 — 77

سورة الحديد : 57

﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد اللـــه الحسن ى ﴾ 10 — 68

سورة المجادلة : 58

﴿ إن الذين يحادون اللـــه ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين ﴾ 5 — 62

﴿ إن الذين يحادون اللـــه ورسوله أولئك في الأذلين كتب اللـــه لأغلبن أنا ورسلي إن اللـــه قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون باللـــه واليوم الآخر يوآدون من حاد اللـــه ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي اللـــه عنهم ورضوا عنه أولئك حزب اللـــه ألا إن حزب اللـــه هم المفلحون ﴾ 20 — 22 — 63

سورة الحشر : 59

﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ 2 — 63

﴿ ما أفاء اللـــه على رسوله من أهل القرى ﴾ 7 — 67

﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يـــوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين

جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ 66 10 — 8

سورة الممتحنة : 60

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعلمون بصير قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد ﴾ 63 6 — 1

سورة القلم : 68

﴿ ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون وإنك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ﴾ 137 6 — 1

سورة المدثر : 74

﴿ يا أيها المدثر ، قم فأنذر ﴾ 127 2 — 1

سورة العلق : 96

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ 121 5 — 1

فهرس الحديث

باب الهمزة

الحديث	الصفحة
« أبصرته في بطنان الجنة ، عليه سندس »	163
« أجلسني على بساط كهيئة الدرنوك ، فيه الياقوت واللؤلؤ ، فبشره برسالة اللـــه ﷻ حتى اطمأن رسول الله ﷺ ، فقال له جبريل عليه السلام : اقرأ »	124
« أحب الدين إلى اللـــه الحنيفية السمحة »	74
« إذا فسد أهل الشام ، فلا خير فيكم ، ولا تزال طائفة من أمتي منصورين ، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة »	76
« أصحابي كالنجوم ، فبأيهم اقتديتم اهتديتم »	70
« أفضل الأعمال الحب في اللـــه ، والبغض في اللـــه »	74
« إن قريشا أهل أمانة وصدق فمن بغى لها العوائر أكبه الله في النار لوجهه »	72
« إن اللـــه اختار أصحابي على العالمين ، سوى النبيين والمرسلين »	69
« إن مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام ، لا يصلح الطعام إلا بالملح »	65
« إني إذا خلوت [وحدي]، سمعت نداء ، وقد خشيت والله، أن يكون لهذا أمر »	113
« إني أنادى من فوقي ، فقال له : إن الشيطان لا يأتي من فوق »	140
« إنه يبعث أمة وحده »	137
« أوثق عرى الإسلام الولاية في اللـــه ، والبغض في اللـــه »	74
« أوصيكم بالسابقين الأولين، وأبنائهم من بعدهم إن لا تفعلوا، لا يقبل منكم حرف ولا عدل »	72
« أي الناس خير ، قال : أنا والذين معي ، ثم الذين على الأثر، ثم كأنه رفض من بقي »	72

باب الباء

« البر كبر »	32

باب الحاء

« حرمات ثلاث من حفظهن حفظ اللـــه له أمر دينه ودنياه، ومن ضيعهن لم يحفظ الله له شيئا ، قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : حرمة الإسلام ، وحرمتي ، وحرمة رحمي »	74

باب الخاء

« خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »	70
« خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم »	69
« خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »	180
« خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم »	71

باب الدال

« دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل جنتين »	93

باب الراء

« رأيت ذلك القس ، يعني ورقة في الجنة ، عليه ثياب خضر » 151

« رأيت ورقة في المنام ، وعليه ثياب بياض ، ولو كان من أهل النار ، لكان عليه لباس غير ذلك » 164

« رأيته في المنام ، وعليه ثياب بيض ، ولو كان من أهل النار ، لم يكن عليه ثياب بيض » 167

« رأيته ، وعليه حلة خضراء يرفل في الجنة . وكان يذكر اللـــه في شعره في الجاهلية ويسبحه » 112

باب السين

« سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي ، فأوحى اللـــه تعالى إلي : يا محمد ، إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء ، فبعضها أضوى من بعض ، فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم ، فهو عندي على هدى » 72

باب العين

« عرضت علي الأمم ، فأخذ النبي ﷺ ، يمر معه الأمة ، والنبي معه النفر ، والنبي معه العشيرة ، أو قال العشرة ، والنبي معه الخمسة ، والنبي يمر وحده » 128

باب الغين

« غفر اللـــه له ، ورحمه فإنه مات على دين إبراهيم » 93

باب الفاء

« فيه ولدت ، وفيه أنزل علي » 175

باب الكاف

« كأن هذا الراكب إياكم يريد » 160

« كذبني ابن آدم ، ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك . فأما تكذيبه إياي ، فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته . وأما شتمه إياي ، فقوله : اتخذ اللـــه ولدا ، وأنا الأحد الصمد ، الذي لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » 74

« كم عدد الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر ، جما غفيرا » 128

باب اللام

« لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق ... » 69

« لا تسبوا ورقة ، فإني رأيته في ثياب بيض » 108

« لقد رأيت القس في الجنة ، عليه ثياب حرير ، لأنه آمن بي، وصدقني ، يعني ورقة » 114

« اللهم ارحم خلفائي ، قال : قلنا : يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟

قال : الذين يأتون من بعدي ، يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس » 76
« لو أن لرجل أحدا ذهبا ، فأنفقه في سبيل الله ، وفي الأرامل والمساكين والأيتام،
ليدرك فضل رجل من أصحابي ساعة من النهار ، ما أدركه أبدا » 69

باب الميم

« ما حاك في صدرك فدعه . قال : فما الإيمان ، قال : من ساءته
سيئة ، فهو مؤمن . ومن سرته حسنة ، فهو مؤمن » 74
« ما من خارج خرج من بيتـــه في طلب العلم إلا وضعت له
الملائكة أجنحتها رضى بما يصنع » 76
« مثل أصحابي مثل النجوم يهتدي بها ، فإذا غابت تحصروا » 70
« مخيريق خير يهود » 158
« من أهان قريشا ، أهانه اللـــه » 72
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ،
[فإن لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الإيمان] » 64
« من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل اللـــه له به طريقا إلى الجنة » 75
« من دل على خير ، فله مثل أجر فاعله » 73
« من سب أحدا من أصحابي ، فعليه لعنة اللـــه ذلة » 73
« من سن في الإسلام سنة حسنة ، فله أجره ، وأجر من عمل
بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء » 73
« مهما أوتيتم من كتاب الله ، فالعمل به لا عذر لأحد في تركه ،
فإن لم يكن في كتاب ، فسنة مني ماضية ، فإن لم تكن سنة مني ،
فما قال أصحابي ، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء ، فأيها
أخذتم به اهتديتم ، واختلاف أصحابي لكم رحمة » 71

باب النون

« النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ،
وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ،
وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي ، أتى أمتي ما يوعدن » 70
« نعم . أخرجته من غمرات جهنم إلى ضحضاح منها » 92
« نعم ، فاستغفروا له، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » 90

باب الواو

« والذي نفسي بيده ، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ، ما أدرك من أحدهم ، ولا نصيفه » 69

باب الياء

« يأتيـــي من السماء ، وجناحاه لؤلؤ ، وباطن قدميه أخضر » 178
« يبعث يوم القيامة أمة وحده » 154

فهرس القوافي

مطلع القصيدة	القافية	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
رحلت قتيلة	النوى	الكامل	12	109
يعفو ويصفح	الغضب	البسيط	1	175
لججت وكنت	النشيجا	الوافر	13	98
أتبكر أم أنت	قادح	الطويل	16	101
لقد نصحت	أحد	البسيط	10	106
هل اتى ابنتي	الـــمرصد	الكامل	3	203
يا للرجال وصرف	غير	البسيط	12	118
يا ليتني	جذع	منهوك الرجز	2	153
لا تنسين ولا	تخلق	الكامل	2	204
وإن يك حقا	مرسل	الطويل	7	116
كفى حزنا كري	حرم	الطويل	1	205
رشدت وأنعمت	حاميا	الطويل	10	83

فهرس الشواهد الشعرية

مطلع القصيدة	القافية	البحر	اسم الشاعر	الصفحة
وإن عبد النار	حجة	الطويل	ابن الفارض	43
وخلع عذاري	سنتي	//	// //	52
نصرنا سنة	كافر	الوافر	ـــــ	55
ارفع ولـــي	وتتقي	الكامل	ـــــ	77
وأسلمت وجهي	زلالا	الطويل	زيد بن عمرو	80 ، 95
وقدر كل امرئ	أعداء	//	علي بن أبي طالب	88
أنفي لك	جاشم	الرجز	زيد بن عمرو	89
إلى اللـــه أهدي	باقيا	الطويل	// // // //	94
أربـــا واحدا	الأمور	الوافر	// // // //	95
ومكن اللـــه	تحاوره	البسيط	برهان الدين البقاعي	133
وثور ومن	ونازل	الطويل	أبو طالب	146
ثم أتاه الوحي	جرى	الرجز	كمال الدين الدميري	155
ثم أتت به	فصدقه	//	ـــــ	167
وأفضلهم بعد	والسدا	الطويل	قاضي عجلون	168
ثم الصحابي الذي	ارتفع	الرجز	البرماوي	170
الصم تسمع	تبصر	الكامل	ـــــ	196
ماذا يقول	فتهتكا	الكامل	ـــــ	199

فهرس الأعلام

حرف الهمزة

* آدم عليه السلام : 171.
* إبراهيم عليه السلام : 33، 78، 79، 80، 81، 82، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 154، 186.
* ابن الأثير (علي بن محمد) : 178.
* أحمد بن حنبل : 35*، 39، 41، 67، 72، 74، 76، 128، 131، 144، 159، 169.
* أحمد بن طارق : 86.
* أحمد بن يزيد المسعودي : 90.
* الإخميمي (أحمد بن أبي القاسم): 51*.
* الأدفوي (جعفر بن تغلب) : 47*.
* أسامة بن مرشد : 124.
* ابن إسحاق (محمد بن إسحاق) : 39*، 41، 78، 79، 82، 89، 94، 95، 97، 101، 104، 113، 115، 116، 120، 123، 124، 130، 133، 134، 143، 144، 145، 150، 183، 185.
* ابن أبي إسحاق السبيعي : 113، 132.
* إسرافيل عليه السلام : 139، 144، 187.
* أسماء بنت أبي بكر : 81، 154.
* إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام : 90، 91.
* إسماعيل بن عبد الله : 72.
* إسماعيل بن مجالد : 88، 185.
* الأسود بن قيس : 68.
* الأشج (عبد الله بن سعيد) : 93*.
* ابن بنت الأعز (عبد الرحمن بن عبد الوهاب) : 46*.
* الأعمش : 132، 182.
* أكيدر (ملك دومة الجندل) : 177.
* ابن إمام الكاملية (محمد بن محمد): 51*.
* الأموي : 104.
* أمية بن أبي الصلت : 94، 108.
* ابن الأهدل (حسين بن عبد الرحمن): 49*.

حرف الباء

* ابن الباغندي (عبد الله بن سعيد): 93*.
* بحيرا (الراهب) : 126، 136، 139، 183.
* البخاري (محمد بن إسماعيل) : 39*، 74، 78، 81، 86، 88، 112، 114، 141، 143، 145، 146، 147، 154، 169، 174.
* البخاري (محمد بن محمد) : 49*.
* البراء بن عازب : 74.
* البرماوي (محمد بن عبد الدائم) : 37*، 42، 69، 70، 150، 151، 170، 172، 173، 174، 176، 185.
* برهان الدين الحلبي : 163، 166.
* البزار (أحمد بن عمرو) : 41*، 65، 69، 72، 90، 91، 115، 131، 163، 165، 166، 167، 186.
* البساطي (محمد بن أحمد) : 49*.
* البغوي (الحسين بن مسعود) : 67*، 82، 87، 96، 171، 182.
* أبو بكر بن أبي شيبة : 72، 90.
* أبو بكر الخطيب (أحمد بن علي): 66، 71*، 72، 169.
* أبو بكر الصديق : 68، 69، 75، 113، 133، 162، 197.
* بلال بن رباح: 111، 134، 150، 181، 184.
* البلقيني (عمر بن رسلان) : 48*، 173، 174.

* البوصيري (شهاب الدين) : 65*، 72.
* البويطي (يوسف بن يحيى) : 76*.
* البيهقي (أحمد بن الحسين): 40*، 41، 75، 87، 90، 104، 113، 114، 115، 120، 162، 184، 198.

حرف التاء

* التباني (يعقوب بن جلال) : 48*.
* الترمذي (محمد بن علي) : 41*، 67، 72، 73، 75، 76، 130، 152، 164، 166، 167، 168.

حرف الثاء

* الثوري (سفيان بن سعيد) : 64*.
* ثويبة (مرضعة النبي) : 178.

حرف الجيم

* جابر بن عبد الله : 41*، 69، 70، 91، 92، 126، 127، 131، 143، 163، 164، 165، 167، 169، 177، 185.
* ابن جابر : 126.
* جبريل عليه السلام : 32، 35، 75، 94، 97، 114، 115، 120، 121، 122، 124، 125، 126، 129، 130، 132، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 150، 151، 152، 155، 159، 165، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 187، 190، 198.
* جعفر بن أبي طالب : 166، 195.
* ابن جماعة (محمد بن إبراهيم) : 46*.
* ابن أبي جمرة (عبد الله بن سعد): 38*، 42، 157.
* جندب بن سفيان : 169.
* أبو جهل بن هشام : 147، 197.

حرف الحاء

* ابن الحاجب (عثمان بن عمر) : 45*.
* الحارث بن أبي أسامة : 129، 146.
* الحارثي (مسعود بن أحمد) : 46*.
* الحافظ العراقي (عبد الرحيم بن الحسين) : 38*، 42، 162.
* الحاكم : 112، 132، 151، 162، 164، 166، 174، 185.
* ابن حبان (محمد بن حبان) : 47*، 67، 72، 75، 128، 162.
* حبيب بن بيسان : 159.
* أبو الحجاج المري : 146.
* ابن حجر (أحمد بن علي) : 36*، 37، 42، 49، 66، 76، 82، 87، 91، 96، 114، 147، 148، 152، 162، 170، 176، 178، 181.
* ابن أبي حجلة (أحمد بن يحيى) : 47*.
* حجير بن أبي إهاب : 90.
* حذيفة بن اليمان : 160.
* ابن حزم : 67.
* الحسن البصري : 64*.
* حسن بن أبي لهيعة : 131.
* حماد بن سلمة : 129.
* ابن حمدان (أحمد بن حمدان) : 45*.
* حيزوم (فرس جبريل عليه السلام) : 198.

حرف الخاء

* الخضر عليه السلام : 172.
* الخطاب (والد عمر بن الخطاب): 78، 79.
* أبو خيثمة (زهير بن حرب) : 34*.

حرف الدال

* الدارمي : 70.
* أبو داود الطيالسي : 69، 75، 89، 90، 129، 158.
* أبو الدرداء : 75، 76، 147.
* ابن دقيق العيد (محمد بن علي) : 46*.
* الدميري (محمد بن موسى) : 155*.
* ابن الديري (سعد بن محمد) : 50*.

حرف الذال

* أبو ذؤيب الهذلي (خالد بن خويلد): 173.
* أبو ذر : 74، 128، 146.
* الذهبي (محمد بن أحمد) : 42*، 47، 158، 159، 166، 173، 174، 176، 177، 179.

حرف الراء

* روح بن مسافر : 182.
* الروياني (عبد الواحد بن إسماعيل): 87*.

حرف الزاي

* الزبير بن أبي بكر : 105، 133، 152.
* الزبير بن بكـــار : 95، 97، 114، 148، 150، 164.
* أبو زرعة الرازي (عبيد اللـــه بـــن عبـــد الكـــريم) : 39*، 41، 42، 49، 66، 75، 88، 92، 112، 115، 123، 132، 165.
* الزهري : 124، 143، 148، 164، 183.
* الزواوي (عيسى بن مسعود) : 46*.
* زيد بن حارثة : 87، 133.
* زيد بن عمـــرو : 37*، 75، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 112، 130، 132، 148، 153، 154، 157، 163، 173، 174، 178، 185، 187.
* زين الدين خطاب : 51.
* زين الدين عمر الكتاني : 46.

حرف السين

* سالم بن عبد اللـــه : 86.
* الساوي (عمر بن سهلان الساوي): 51*.
* السبكي (علي بن عبـــد الكـــافي) : 47*، 162، 169.
* السدي (إسماعيل بن عبد الرحمن): 64*.
* سعد بن أبي وقاص : 72.
* سعيد بن جبير : 182.
* أبو سعيد الخدري : 64، 68، 69، 73، 74.
* سعيد بن زيـــد : 80، 81، 90، 93، 153، 174.
* سعيد بن المسيب : 69، 93، 130، 176.
* ابن السكن : 182، 185.
* السكوني (عمر بن محمد) : 45*.
* سلمان الفارسي : 35.
* سلمة بن نعيم : 147.
* أبو سلمة بن عبد الرحمن : 126، 143.
* سليمان التيمي : 126.
* ابن أبي سليمان : 67.
* السمرقندي (محمد بن يوسف) : 52*.
* سمرة بن جندب : 65.
* السهيلي (عبد الرحمن بن عبـــد اللـــه): 37*، 40، 41، 42، 94، 104، 108، 112، 126، 131، 146، 148، 152، 153، 158، 164، 165، 166، 167.
* ابن سيد الناس (محمد بن محمـــــد) : 42*، 115، 123، 166.

حرف الشين

* الشافعي : 32، 76، 77، 88، 176، 191.
* شرف الدين الدمياطي : 79، 82*.
* شمس الدين البلاطنسي : 51.
* شمس الدين الكرماني : 42، 148.
* شمس الدين محمد : 49.
* ابن شهاب : 143.

حرف الصاد

* الصفاقسي (إبراهيم بن محمد) : 48*.
* صفوان بن عسال المرادي : 76.
* ابن الصلاح (عثمان بـــن عبـــد الرحمـــن): 44*، 162، 167، 168.

حرف الضاد

* ضمام بن ثعلبة : 159.

حرف الطاء

* أبو طالب (عم الرسول) : 92، 145، 161.

* الطبراني (سليمان بن أحمـــد) : 65*، 72، 73، 74، 76، 87، 90، 92.
* الطبري (محمد بن جرير) : 182، 183.
* الطرطوشي (أبو بكر) : 34*.

حرف العين

* عائشة (أم المؤمنين) : 40، 73، 93، 116، 120، 124، 127، 129، 131، 132، 141، 143، 144، 153، 157، 158، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 177، 178، 183، 184، 185، 186.
* عامر بن ربيعة : 91.
* عامر بن زمعة : 90.
* عامر الشعبي : 144.
* ابن عباس (عبد اللـــه بـــن عبـــاس) : 64، 70، 71، 76، 126، 128، 169، 171، 178، 179، 182، 183، 184.
* ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله): 65*، 66، 70، 79، 132، 134، 139، 140، 173.
* عبد بن حمد : 69، 70.
* عبد الرحمن بن أبي الزناد : 133.
* عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب : 88.
* عبد الرحمن بن عوف : 72.
* عبد اللـــه بن الأحلج : 143.
* عبد اللـــه بن جدعان : 157*.
* عبد اللـــه بن الزبير : 120، 145.
* عبد اللـــه بن عبد اللـــه (أبو جعفر الرازي) : 182.
* عبد اللـــه بن محمد بن زياد : 132.
* عبد الله بـــن مســـعود : 34*، 71، 74، 146، 180.
* عبد الله بن معقل : 67.
* عبد الملك بن عبيد اللـــه : 144، 185.
* عبيد بن إسماعيل : 131.
* عبيد بن عمير الليثـــي : 41، 120، 123، 124، 143، 145.
* عبيد اللـــه بن عبد اللـــه بن عتبة : 173.
* عتبة بن ربيعة بن عبد شمس : 125.
* عثمان بن عبد الرحمن : 152، 164، 167.
* عثمان بن عطاء : 126، 184.
* عثمان بن عفان : 72.
* العجيسي (يحيى بن عبد الرحمن): 50*.
* عداس (مولى عتبة بن ربيعة) : 125، 138.
* ابن عدي : 185.
* عروة بن الزبير : 105، 131، 179.
* عز الدين عبد السلام : 44.
* ابن عساكر : 81، 164، 182.
* عقبة بن مالك الليثي : 161.
* علاء الدين القرقشندي : 51.
* علقمة بن قيس : 143، 145.
* علي بن أبي طالب : 68، 88، 133، 149، 162، 171.
* علي بن الجعد : 68، 69.
* علي بن حسين الحكمي : 90.
* علي بن محمد : 88.
* علي بن المديني : 76.
* عمار بن ياسر : 160.
* عمر بـــن الخطـــاب : 69، 72، 78، 93، 154، 199.
* عمر بن الضحاك : 133.
* ابن عمر (عبد اللـــه) : 73، 81، 86، 88.
* أبو عمران الجوني : 129.
* عمران بن حصين : 70، 71.
* عمرو بن ثابت : 158.
* عمرو بـــن شـــرحبيل : 41، 113، 115، 183.
* عمرو بن العاص : 195.
* عمرو بن عبسة : 127.
* عمرو بن عطية : 86.
* العيزري (محمد بن محمد) : 48*.

* عيسى عليه السلام : 33، 91، 92، 94، 97، 113، 125، 133، 136، 147، 148، 150، 151، 152، 156، 165، 170، 172، 174، 184، 185، 187.
* العيني (محمود بن أحمد) : 50*.
* ابن عيينة : 64.

حرف الفاء

* ابن الفارض (عمر بن علي) : 36*، 43، 50، 52، 57، 58.
* ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم): 40*، 175.
* أبو الفرج الأصفهاني : 108، 132، 133.
* فرعون : 126، 147.

حرف القاف

* القابائي (شمس الدين محمد بن علي) : 49.
* ابن قاضي شهبة (أبو بكر بن أحمد) : 51*.
* ابن قاضي عجلون (محمد بن عبد الله) : 38*، 42، 168.
* ابن قانع : 182.
* ابن قدامة (عبد الله بن قدامة) : 42*، 179.
* القصري (فتح بن موسى) : 104.
* قطب الدين (محمد بن أحمد) : 45*.

حرف الكاف

* ابن كثير (عبد الله بن كثير) : 38*، 42، 47، 78، 82، 83، 85، 86، 88، 89، 90، 93، 94، 96، 97، 104، 113، 116، 120، 124، 130، 131، 133، 134، 143، 144، 145، 146، 157، 162، 168.
* الكفيري (محمد بن أحمد) : 38*، 42، 112، 167، 168.
* الكلاعي (سليمان بن موسى) : 40*، 104، 105، 123.
* ابن الكلبي : 133.

حرف الميم

* ابن ماجة : 75، 169.
* مالك بن أنس : 65، 67.
* مجالد : 131، 163، 165، 185.
* المحاملي (الحسين بن إسماعيل) : 40*، 141.
* محمد بن أحمد بن الحسن : 143.
* محمد بن إسماعيل : 76.
* محمد رافع السلامي : 162.
* محمد بن سعد : 88، 90.
* محمد بن الطيب : 169.
* محمد بن عثمان : 86، 91، 143، 185.
* محمد بن أبي عدي : 144.
* محمد بن عمر : 90.
* محمد بن عامد : 184.
* مخيريق النضري : 38*، 158.
* المرزباني : 112، 167.
* المرزوي (محمد بن نصر) : 68*.
* المزي (يوسف بن عبد الرحمن) : 165*.
* أبو مسعود الأنصاري : 73.
* المسعودي (علي بن الحسين) : 40*، 89، 126، 175، 176.
* مسلم (مسلم بن الحجاج) : 39*، 70، 73، 75، 127، 141، 146، 158، 175.
* مصعب بن عبد الله الزبيري : 108.
* ابن معاذ (عبد الله) : 104، 148.
* معاوية بن أبي سفيان : 68.
* معاوية بن قرة : 76.
* مغلطاي (مغلطاي بن قليج) : 37*، 40، 42، 151، 152.
* المقدسي (محمد بن أحمد) : 50*.
* المقوقس : 173، 177.
* ابن أم مكتوم : 170.
* ابن أبي مليكة : 90.
* ابن منده (محمد بن إسحاق) : 42*، 96،

153، 163، 164، 166، 173، 174، 177، 178، 179.
* موسى عليه السلام : 97، 113، 114، 122، 123، 125، 126، 131، 132، 136، 142، 146، 147، 148، 150، 151، 152، 153، 163، 164، 165، 166، 170، 174، 180، 181، 184، 185، 186، 187، 195.
* موسى بن إسماعيل : 132.
* موسى بن عقبة : 86، 124، 143، 176.
* أبو موسى المديني (محمد بن عمر): 41*، 42، 177.
* موسى بن ميسرة : 90.
* الموصلي (عمر بن بدر) : 48*.
* ميسرة (غلام السيدة خديجة) : 98، 116.
* ميكائيل عليه السلام : 116، 129، 151.

حرف النون

* ناصح (غلام السيدة خديجة) : 136.
* نبيح العنزي : 68.
* النجاشي : 166، 195.
* النسائي : 75، 78، 82، 161، 173، 174.
* أبو نعيم (أحمد بن عبد الله الأصبهاني) : 40*، 41، 113، 143، 148، 178، 179.
* نفيل بن هشام بن سعيد : 89.
* ابن النقاش (محمد بن علي) : 48*.
* النووي (يحيى بن شرف) : 37*، 42، 115، 116، 147، 153، 177.
* النويري (محمد بن محمد) : 51*.

حرف الهاء

* الهروي : 116، 166، 167.
* أبو هريرة : 71، 72، 74، 75، 158.
* ابن هشام (عبد الملك بن هشام): 39*، 123.
* هشام بن عروة : 81، 112، 131، 132، 133، 134، 148، 164، 185.
* ابن الهمام (محمد بن عبد الواحد): 50*.
* هند بنت أبي كبير (أم ورقة) : 167.
* الهيثمي (علي بن أبي بكر) : 90*، 91، 159.

حرف الواو

* الواقدي : 93، 198.
* ولي الدين الملوي : 193.
* وهب بن كيسان : 120*، 145.

حرف الياء

* يحيى بن سعيد الأموي : 185.
* يزيد بن بابنوس : 129.
* يعقوب بن شيبة : 68.
* أبو يعلى الموصلي (أحمد بن علي): 41*، 65، 70، 72، 87، 92، 131، 161، 163، 165.
* يونس بن بكير : 78، 82، 89، 101، 113، 115، 116، 165، 183، 185.
* يونس بن عمر : 113.

فهرس مصادر التحقيق

حرف الهمزة

* الأوائل، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد المصري ووليد قصاب، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1975.

* أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، تحقيق رشدي الصلح ملحسن، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1983 م.

* أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير. تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، لاط، لات.

* الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني المصري الشافعي المعروف بابن حجر. دار الكتب العلمية، بيروت، لاط، لات.

* الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1984 م.

* الأغاني، الأصفهاني، مؤسسة جمّال للطباعة، بيروت، لاط، لات. « عن طبعة دار الكتب المصرية».

حرف الباء

* البداية والنهاية، الحافظ بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، لاط، 1990 م.

* بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيد محمود شكري الألوسي البغدادي، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، لاط، لات.

* بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، للإمام أبي عمر يوسف ابن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لاط، لات.

حرف التاء

* تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، توزيع مكتبة الجامعة العربية، بيروت، لاط، 1965 م.

* تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1989 م.

* تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1991 م.

* تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي بن واضح، أحمد بن أبي يعقوب، دار العراق، بيروت، لاط، 1955م.
* التذكرة الحمدونية، ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1996 م.

حرف الجيم

* جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط4، 1977 م.

حرف الحاء

* الحماسة للبحتري، نقله وضبطه بالشكل الأب لويس شيخو اليسوعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1967 م.
* الحماسة البصرية، صدر الدين علي بن الحسن البصري، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983 م.
* الحماسة المغربية، لأبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي، حققه محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1991 م.
* الحيوان، الجاحظ، تحقيق فوزي عطوي، مكتبة النوري بدمشق، ط1، 1387 هـ / 1968 م.

حرف الخاء

* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه محمد نبيل طريفي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418 هـ / 1998 م.

حرف الدال

* ديوان أمية بن أبي الصّلت، جمعه وحققه وشرحه سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998 م.
* ديوان دريد بن الصّمّة، جمع وتحقيق وشرح محمد خير البقاعي، قدّم له شاكر الفحّام، دار قتيبة، دمشق، 1981 م.
* ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق حسين نصار، مكتبة البابي، مصر، ط1، 1957 م.
* ديوان عنترة، مكتبة كرم، دمشق، ودار الكتاب العربي، بيروت، ودار صعب وصادر، بيروت، لاط، لات.

حرف الراء

* الروض الأنف، للإمام الفقيه المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد اللّـه بن أحمد ابـن أبي الحسن الخثعمي السهيلي، طبع مطبعة الرحمانية بمصر، 1332 هـ / 1914 م.

حرف السين

* سمط اللآلئ، الوزير أبي عبيد البكري الأدني، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الحديث، بيروت، ط2، 1984 م.

* السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة، الشيخ بن يوسف أطفيش، بنفقة وعناية الفاضل الجليل الشيخ سالم بن سلطان بن قاسم الرياحي بزنجبار، المطبعة السلفية بمصر، القاهرة، ط2، 1344 هـ.

* السيرة الحلبية، ابن برهان الحلبي، شرحها وضبطها وعلق عليها محمد التونجي، دار المعرفة، دمشق، ط1، 1989 م.

* السيرة النبوية لابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الفكر، بيروت، 1990 م.

* السيرة النبوية لابن هشام، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لاط، لات.

حرف الشين

* شرح أرجوزة أبي نواس، لابن جني، محمد بهجة الأثري، دمشق، 1966 م.

حرف الصاد

* الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق إميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420 هـ / 1999 م.

حرف الطاء

* طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، لاط، 1974 م.

* الطبقات الكبرى، ابن سعد، تقديم إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لاط، لات.

حرف العين

* العقد الفريد، أبو عمر أحمد بن محمد عبد ربه الأندلسي، دار الكتاب العربي، بيروت، لاط، 1983 م.

* العمدة في محاسن الشعر وآدابه، للإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، حققه وفصله وعلق

حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، 1401 هـ / 1981 م.
* عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس، مكتبة القدسي، القاهرة، لاط، 1356 هـ.

حرف الكاف

* الكامل، الإمام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993 م.
* الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر، بيروت، لاط، 1979 م.
* كتاب الاختيارين، الأخفش الصغير، تحقيق فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1984 م.

حرف اللام

* لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1994 م.

حرف الميم

* مروج الذهب، المسعودي، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1965 م.
* المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الإبشيهي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992 م.
* معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983 م.
* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بحاشية المصحف الشريف، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1987 م، و ط2، 1988 م.
* المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1978 م.
* المقاصد النحوية في شرح شواهد شرح الألفية، محمود بن أحمد العيني، مطبوع على هامش خزانة الأدب، دار صادر، لاط، لات.
* المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992 م.

حرف النون

* نسب قريش، لأبي عبد اللّـــه المصعب بن عبد اللّـــه بن المصعب الزبيري، دار المعارف، مصـــر، لاط، 1953 م.

حرف الواو

* الوثنية في الأدب الجاهلي، عبد الغني زيتوني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1987 م.
* الوحشيات، لأبي تمام، علق عليه وحققه عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعـــارف، مصـــر، 1963 م.

فهرس المحتويات

مقدمة 5

الأديان في العصر الجاهلي 14

صاحب الكتاب (البقاعي) 20

ورقة بن نوفل 21

مخطوطة الكتاب 25

كتاب بذل النصح والشفقة 29

ذيل ديوان ورقة بن نوفل 201

الفهارس العامة 207

فهرس الآيات 209

فهرس الحديث 216

فهرس القوافي 219

فهرس الشواهد الشعرية 220

فهرس الأعلام 221

فهرس مصادر التحقيق 227